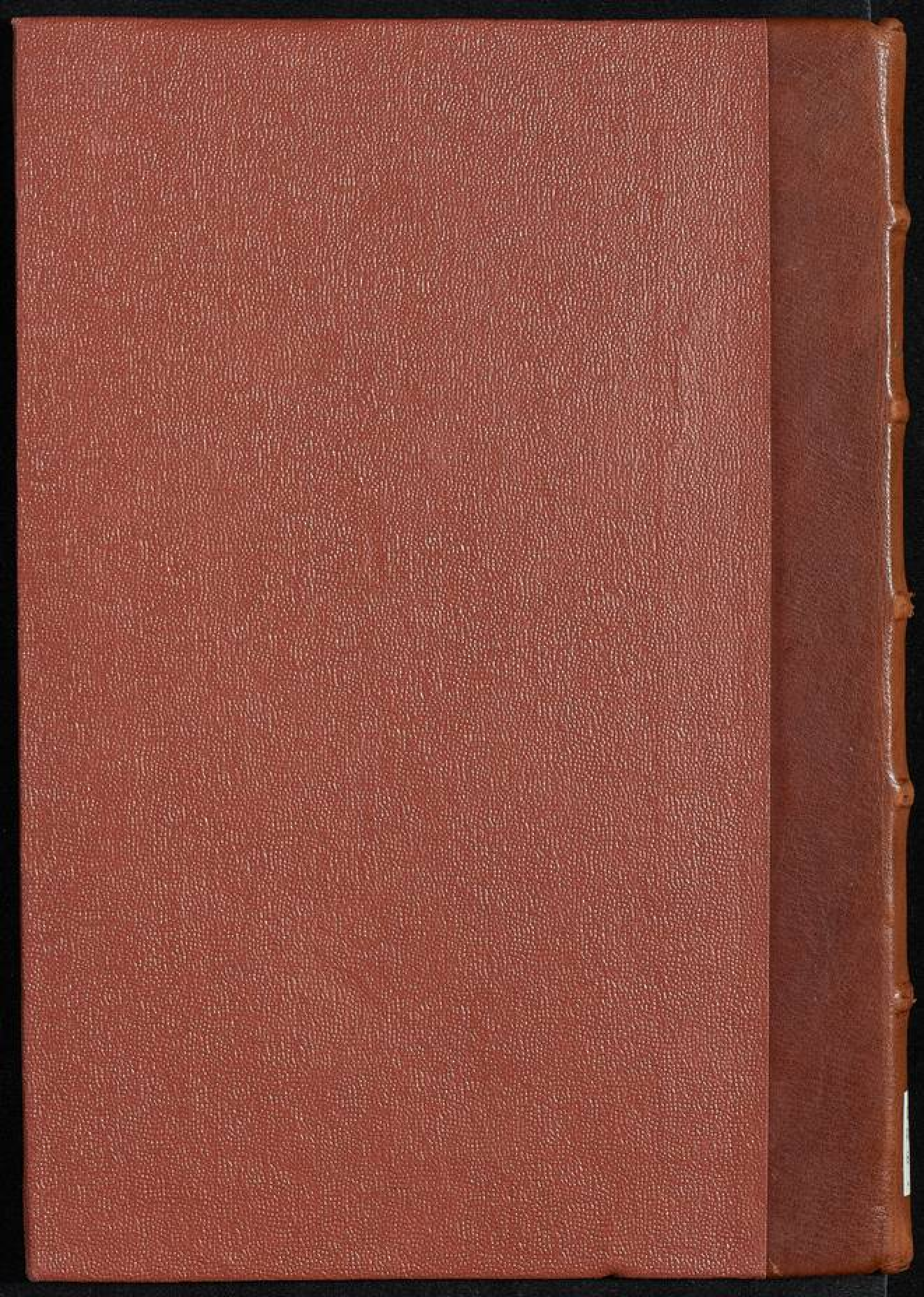
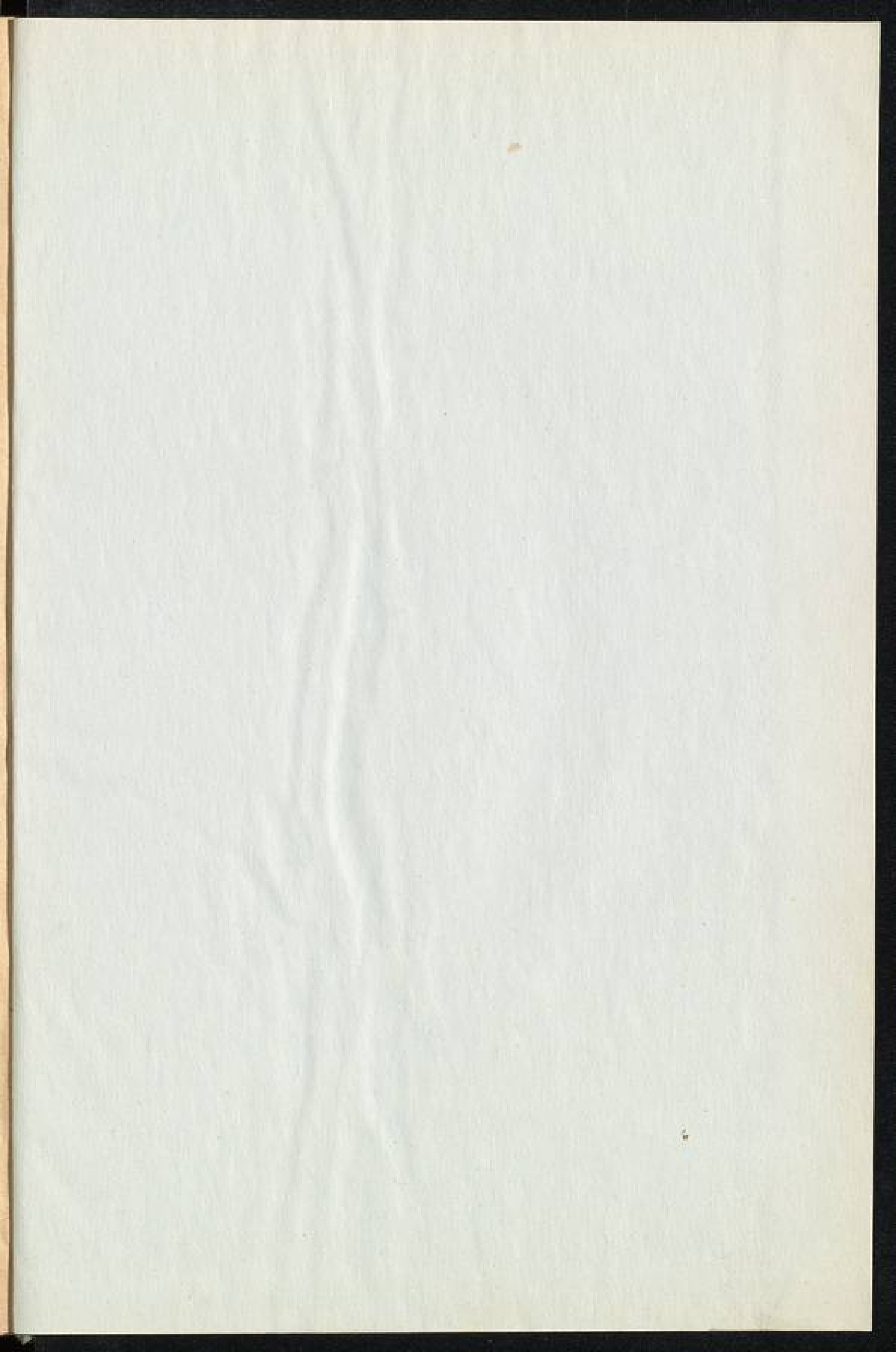





CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
JOHN M.
OLIN
LIBRARY
ITHACA, N.Y.





عبد العزيز فهمي

الحروف اللاتينية لكتابة العربية

أغسطس سنة ١٩٤٤

القاهرة
مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
٤٠ شارع نوبار باشا (سابقا شارع الدواوين)


CORNELL UNIVERSITY LIBRARY
ITHACA N.Y.

الى القارىء

١ — هذا الكتيب قسمان . فى أولهما ثلاثة مطالب : فى المطلب الأول أقدم لك بياناً لما جرى بالمجمع اللغوى فى مسألة رسم الكتابة ، وكيف اقترحتُ لها الحروف اللاتينية ، وكيف أنى فى كلامى على صعوبات العربية ونسبتها إلى غيرها من اللغات ونسبة أهلها إلى غيرهم من الأمم ، قد نهجت طريقة الوصف الواقعى الصادق القاسى ، دون الوصف العاطفى الكاذب الرفيق . وأقدم لك فى المطلب الثانى تفصيلا لجميع ما وصل لعلمى من الاعتراضات على اقتراحى ثم ردى على كلٍّ منها . وفى المطلب الثالث أضع تحتَ نظرك نماذج لخير الطرق التى اقتُرحت لتعديل الرسم مع استبقاء الحروف العربية .

وقد جعلت المطلب الأول إحدى عشرة فقرة متتابعة بحسب ما به من الفكرات الرئيسية المختلفة . أما المطلب الثانى فيقع فى فقرة واحدة هى فقرة (١٢) ، تحتها أدرجت الاعتراضات بالترتيب العددى من الأول إلى الثالث والعشرين . وجعلت المطلب الثالث فقرة واحدة أيضاً هى رقم (١٣) . وكل أرقام الفقرات الثلاث عشرة المذكورة مطبوعة فى هذا الكتيب بالحجم الكبير .

أما القسم الثانى فإنه صورة حرفية لبيان اقتراحى الذى قدمته لمؤتمر المجمع وكان قد طبع بالمطبعة الأميرية ونفدت نسخه . فأنا أعيد طبعه الآن كما هو مع ما كان يتلوه من النماذج . ولم أزد عليه إلا بضعة بيانات وضعتها عند تمثيل هذا الكتيب للطبع . وقد جعلتها هوامش فى ذيل صحائف المتن حتى لا تختلط بأصله .

٢ — وترى فيما بعد فهرساً حاوياً لرءوس مسائل القسم الأول بمطالبه الثلاثة على الترتيب المتقدم .

٣ — وأسترعى نظرك :

أولا : إلى أن هذا الكتيب تم إعداده للطبع وقدم للمطبعة فعلا فى أواخر يونيه سنة ١٩٤٤ ، وأخذت هى فى عملها فى غضون شهر يوليه . وحينئذ كانت الاعتراضات اثنين وعشرين فقط . غير أنى وجدت مجلة « الثقافة » نشرت تباعاً فى أعدادها الصادرة فى ١٨ و ٢٥ يوليه وأول أغسطس سنة ١٩٤٤ اعتراضاً آخر لحضرة الأستاذ يوسف العش من دمشق ، فرأيت الرد عليه هو أيضاً . وبما أن المطبعة كانت قد أتمت نهائياً تهيئة جميع الاعتراضات المدرجة بالمطلب الثانى من القسم الأول للطبع ، وتجاوزتها فعلا إلى المطلب الثالث فهيأتْ بعضه تهيئة ابتدائية ، فقد وجهت نظرها كيما تحتاط لإدراج ردى على اعتراض حضرة الأستاذ المومأ إليه عقب الاعتراضات الأخرى . وقد فعلتْ . فتكون الاعتراضات ثلاثة وعشرين لا اثنين وعشرين فقط كما أشير إليه فى صلب الكتيّب فى صدر المطلب الثانى المذكور .

ثانياً : إلى أنى لم يكن من نيتى أن أطبع ، بهذا الكتيّب ، سوى الاعتراض الثانى والعشرين الذى نشرته « المجلة » البغدادية . أما سائر الاعتراضات الأخرى فكنت معولا على إيداعها ، هى وتعقيباتى عليها ، إدارة المجمع ليطلع عليها حضرات أعضائه ومن يريدون من حضرات المعترضين ، لأنى بطبعى أكره مساجلة الناس والأخذ والرد معهم بطريق النشر العلنى . لكن بعض المهتمين بهذه المشكلة ألحّوا فى وجوب طبع جميع الاعتراضات والتعقيبات ، لما فى هذا من تجلية الأمر للجمهور وتمكينه من تقدير الآراء وإبداء ما قد يكون لديه من أسباب الموافقة أو المخالفة ، مما هو مدعاة للتمحيص الذى قد يؤدى إلى الاستقرار على شىء بعينه . وقد توارد علىّ هذا الإلحاح من كل جانب ، فقبلتُ . وقدمت الكتيّب للطبع مع كل تلك الاعتراضات والردود كما تقدم . على أنى حرصت على عدم ذكر اسم

أحد من المعترضين سوى حضرتى الفاضلين صاحبى الاعتراضين الأخيرين ، وأولهما من العراق والثانى من دمشق . وقد رميت بهذا التجهيل إلى التهوين من وقع ما يكون فى ردودى من بعض العبارات القاسية .

ثالثاً : إلى أنى فى الفهرس لم أشر إلاّ إلى ما فى الاعتراضات من النقط الأساسية . وأما تعقيباتى فلم ألخص شيئاً من نقاطها . بل تركت للقارئ أن يطلع على أصلها ذاته إن أراد .

٤ — هذا . ومن الناس من يتساءلون كيف يمر بخاطرى — وأنا ممن يعتزون بقوميتهم وبلغتهم العربية — أن أستبدل الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، لرسم الكتابة . لهؤلاء المتسائلين كل العذر . لكنى أعرف أيضاً كيف أفهم واجبى وأؤديه فى أى وضع أكون . تركت العمل وعولت على قضاء ما بقى من زمنى بقريتى ، هادئاً ، بعيداً عن المغامرات والمساجلات والمناصبات فى أى منحى من مناحى الحياة العامة . لكن ، لشقوتى ، لم يذرنى القدر أهدأ . بل فوجئت فى عزلتى ، فيما فوجئت به ، بتعيينى عضواً بمجمعنا اللغوى . ترددت بين القبول والرفض . فى القبول مشقة ، وفى رفض المقدور عليه فى ظن الناس ، ما يشبه فرار الجبان . وفكرة الجبن شر ما تضيق به نفسى . قبلت على مضّة معللا النفس بأن الأمر خدمة للعربية بمعهد هادئ بين نخبة من خيرة علمائنا وأدبائنا الأفاضل ، إن قصّرتُ فى مجاراتهم ، كان لى من رجاحة عقولهم ورحابة صدورهم وكرم أخلاقهم، ما يسع قصورى أو تقصيرى ، ولا يشعرنى بشىء من قلة غنائى . وأول ما عنيت به بداهة معرفة واجب عضو هذا المجمع اللغوى . قرأت فى مرسوم تأليفه أن من لبّ مهمته المحافظة على سلامة العربية ، وأن يحقق ما يصدره وزير المعارف لهذا الغرض من القرارات . ثم قرأت فى لائحته أن عليه النظر فى تيسير الكتابة العربية . وفى قرار لوزير المعارف : أن عليه أن يبحث أمر تيسير هذه الكتابة تيسيراً يقى

ألسنة قرائها من اللحن والخطأ . فواجب المجمع فى هذا الصدد معين بالنصوص الصريحة . وأنا من ضمن أعضاء لجنة الأصول المكلفة تأدية هذا الواجب ضمن ما عليها من التكليفات . واجبى إذن بيِّن . هو المحافظة على الفصحى وجعل قارئ ما هو مكتوب بها لايلحن فى قراءته ولا يخطئ . وإذ قبلت عضوية المجمع فإمّا أن أؤدى هذا الواجب بحسب ما أراه ، وإمّا أن أفارق . ولا سبيل فى رأيى لتأديته حق التأدية إلا باتخاذ الحروف اللاتينية وفيها حروف الحركات ، لاإطلاقاً بل على وجه خاص رأيته . أما « الشكل » الكلى أو الجزئى أو حروف أو ذنبات توضع للحركات فى غضون الرسم العربى ، فقد فكرت فيها كثيراً ولم أجد شيئاً منها صالحاً .

فتأدية الواجب هى التى أمرّتْ بخاطرى اتخاذ الحروف اللاتينية ودفعتنى إلى اقتراحها . فليعلمه المتسائلون . ثم ليعلموا أن الكتابة الراهنة إنما تصلح لتصوير العامية فقط . فإن استطاعوا أن يجعلوا أولى الأمر يقررون اتخاذ هذه العامية لغة رسمية للبلاد ، ويعدّلون اختصاص المجمع اللغوىّ ، فعندها أستبصر لنفسى . وهيهات أن يستطيعوا شيئاً من هذا ، هيهات .

٥ — ولا يفوتنى هنا التنويه بذكر رجلين من ذوى الجد والرأى الناضج : الأستاذ شوقى أمين من موظفى المجمع ومحمود عمر رئيس الكتاب بمحكمة النقض والإبرام . أمليت ثانيهما ما وضعته من المسوّدات وتكفل بتبييضه وإعداده للطبع . ولقد نبهنى، فى بعض المواضع ، إلى قصور العبارة عن أداء المعنى المقصود، فأصلحت مانبهنى إليه مغتبطاً بسلامة نظره كل الاغتباط . أما أولهما الأستاذ شوقى فقد تولى عنى تصحيح تجارب (بروفات) المطبعة . ولقد وجدته من المتحرّجين بل المتحنثين (Puritains) المتأثمين فى مفردات اللغة . لا يطيق أن يرى لفظاً لم تجمع كل المعاجم عليه أو على وجه استعماله . وإليك ما استعملت من الألفاظ فلم يرضه : (احتاس . يساوى (بحذف المفعول) . غباء . تندر . نضوج . عديدون

(بمعنى متعددين) . نبوءة. تأكد الرجل من كذا . مِران . معدن (بمعنى منجم كشارة) — لم يرضَ ، بل رأى أن أستبدل بها على الترتيب : (انحاس . يساوى كذا (بذكر المفعول) . غباوة . تنادر . نِضاج أو نُضج . متعـددون . تكهّن . تأكدَ للرجل كذا . مرانة . منجم . قطوب) . ومع اعتقادى بأن ما استعملته من الألفاظ سائغ لا تأباه أقيسة العربية ولا ذوق كتّابها ، غير أنى ، إعجاباً بتحرجه ، قبلت تغيير بعضها بما أشار به أو بغير ما أشار . إنما هناك مسألة لم أستطع زحزحته فيها عن رأيه : فى الجمل الاقترانية ، وهى ما يكون حَدَثُ إحداها واقعاً فى الزمن نفسه الواقع فيه حدث الأخرى ، مثل (زيد كان يقرأ فى الوقت الذى فيه عمرو كان يأكل) ، لا أرى أى مانع فى العربية من أن يقال : (كان زيد يقرأ بينما كان عمرو يأكل) ، كما يقـال : (بينما كان عمرو يأكل كان زيد يقرأ) . غاية الأمر أن استعمال إحدى العبارتين يكون تبعاً لما يُهتم بالإخبار عنه من فاعليهما . لكن سيدنا شوقى يمنع التعبير الأول بتاتاً ، ويرى أن « بينما » لها الصدارة كحروف الاستفهام وأسمائه ، وأن التعبير الثانى هو وحده الصحيح . ويقول إن هذا منبّه عليه فى كتب النحاة ، وأن من يريد استعمال التعبير الأول فعليه أن يستبدل بكلمة « بينما » كلمتى « على حين » أو « فى حين » مثلا ، فيقول (كان زيد يقرأ فى حين عمرو كان يأكل) . ولقد حاولت إقناعه بأن فى العبارة جملتين وأن « بينما » لها الصدارة فى الجملة الثانية التى هى فيها ، وأنى لم أنزلها عن صدارتها ، وأن هذا لا تأباه أساليب العربية على الرغم مما يحتج به من أقوال النحاة . ولكنه توقف وتأبى وكاد يغوّث . فاحتراماً لفضيلة ثباته على ما يعتقده الصواب المتعين ، وإشفاقاً عليه من التغويث ، قد حرّمت على نفسى استعمال « بينما » واستعضت عنها بكلمتى على حين أو فى حين ، وهما على كل حال عربيتان صحيحتان كل الصحة ومطروقتان فى الاستعمال . فلحضرته كل إعجاب به وكل شكر له واحترام .

١٥ أغسطس سنة ١٩٤٤ — عبد العزيز فهمى

فهـــرس

القسم الأول

المطلب الأول (من ص ١ إلى ١٧)

١ — العقل والرأى . الهبات . مخطىء؟ مصيب؟ لمن الحكم؟ —٢— شقاء المتعلم . عناء القارئ . —٣— مركز العربية . المجمع اللغوى حيالها . —٤— آفة العربية . رسمها السرطانى . —٥— علاج السلف . —٦— محاولة المجمع . مساوئ الرسم فى رأى الجارم بك . —٧— متى عرضت اقتراحى على المؤتمر؟ —٨— منهج تقرير الواقع قبل تفصيل الاقتراح . الصراحة القاسية . —٩— سوء التأويل . زجر الأغبياء . مجمل محتويات البيان . —١٠— نصيحة للقارئ . صنوف المعترضين . شر الثلاثة . —١١— المكافأة . مرارة التعديل . ضرورته .

المطلب الثانى (من ص ١٧ إلى ١٣٢)

١٢ — الاعتراضات والرد عليها

بيان الاعتراضات مع ذكر رقم الصحيفة التى فيها مبدأ كل منها : الأول (ص ١٨) دعوى نبذ العربية أو فصحاها . الثانى (ص١٨) عدم وفاء الأحرف اللاتينية بنغمات العربية . الثالث (ص ١٨) القطع بين الخلف و بين آثار السلف . الرابع (ص٢٠) دعوى وجوب احترام رسم القرآن . الخامس (ص ٢٥) دعوى أن تغيير رسم القرآن يخالف الدين لمخالفته إجماع المسلمين . السادس (ص٢٩) دعوى أنه إذا بقى رسم القرآن والحديث على حاله اندرس لعدم وجود من يقرأه .

السابع (ص ٣٠) الرسم من مشخصات القومية فكيف لا يحافظ عليه ؟ الثامن (ص ٣١) الساعة والشهر وحتى الكتابة ؟ التاسع (ص ٣٢) الرسم العربى مستعمل فى غير بلاد العربية فكيف نمس هذه الميزة المشرفة للعرب ؟ العاشر (ص ٣٤) تحسين العربية يكون من طريق القواعد لا من طريق رسم الكتابة . الحادى عشر (ص ٣٦) حروف الحركات اللاتينية كثيرة الاتجاهات فهى ضارة بالعربية . الثانى عشر (ص ٣٦) فى الانجليزية أفعال شاذة وحروف صوامت ولم يتأذ بها الإنجليز . الثالث عشر (ص ٣٧) رسم العربية اختزالى أما اللاتينية فتحتاج من المكان ضعفين أو ثلاثة . الرابع عشر (ص ٣٨) الفتحة كثيرة فى العربية وحروف المد تعيّن الحركة ، وأقيسة الصرف تسهل التلفظ . فالقليل من من الشكل كاف للنطق الصحيح . الخامس عشر (ص ٣٨) نشرة دينية تدعو إلى الشريعة الإسلامية والأخذ بأحكامها فى التقنينات . تُكرّر الاعتراض بالاختزال والاقتصاد وفقدان الانتفاع بآثار السلف . وتزعم أن نتيجة اقتراحى الضرر بالإسلام . السادس عشر (ص٤٧) تعقّد الرسم يشحذ القرائح ويمرن على حل المشكلات فكيف يترك ؟ السابع عشر (ص٤٨) ليست صعوبات العربية من أسباب تأخر الشرقيين كما قلتُ فى اقتراحى . الثامن عشر (ص٥٠) العربية فى دور النهوض فلا محل للكلام فى صعوباتها ولا لدعوى سوء رسمها . والعامية ستقترب من الفصحى عما قليل . التاسع عشر (ص ٥١) ما القول فى كُتَّاب الوزارات والمصالح ومحاضر جلسات المحاكم وما أشبه ؟ أنلزمهم بالفصحى وبالرجوع فى كل خطوة إلى المعاجم ؟ العشرون (ص ٥٣) عدم سماعى المعترضين كبرياء من جانبى وزهو . إيهام بأنى اتخذت كل الأحرف العربية المنقوطة . الأحرف اللاتينية تنكّر أصول الكلمات العربية . الشكل لم يفلس . ليس فى الرسم عيب بل أساس الضرر عدم معرفة القواعد . الحادى والعشرون (ص ٥٨) محاضرة

لأستاذ بكلية الآداب فى الخط العربي وعيوبه ومزاياه . أظهر ما فيها أننا ننقد الرسم العربى « لكن الرسم الأوربى بقى مصوناً من استنكارنا بالدول والأساطيل والطائرات والهيبة والفتنة اللتين تأخذاننا من كل جانب » . كلام طويل كله عبارات خطابية ليس منه فى الموضوع إلا أنه يرى استبقاء الرسم الحالى مع وضع بعض الشكلات التى تزيل اللبس . فلتة نابية عن آداب البحث . عبارة يرويها عن بعض محبى مصر تذعره وتقلق باله . الثانى والعشرون (ص ٧٣) اعتراض لمعالى الأستاذ الجادرجى مدون بعدد ٧ آيار سنة ١٩٤٤ من جريدة اسمها « المجلة » تصدر فى بغداد . الخط العربى اختزالى فهو مفيد لأن أمم الحضارة تميل الآن لاختصار حروف لغتها ، وقد اخترعت فن الاختزال . ضبط حركات الحروف فى الرسم العربى ضرره أكثر من نفعه. اللازم هو تبسيط القواعد فإن لغتنا أصبحت وزراً على طلابها . بعض فكرات لهذا التبسيط . الثالث والعشرون (ص ٩٨) اعتراض نشر فى أعداد ١٨ و٢٥ يوليه وأول أغسطس سنة ١٩٤٤ من مجلة « الثقافة » للأستاذ يوسف العش من دمشق . يستنصر بدلائل العلم والفن والتاريخ وعلم اللغات ، كما يقول . وهو اعتراض مسهب العبارة يصعب تلخيصه هنا ، والأولى الرجوع إلى ملخصه فى موضعه بهذا الكتيب .

المطلب الثالث (من ص ١٣٢ إلى ١٣٦)

١٣ — اقتراحات مختلفة لتيسير الرسم العربى . رفض لجنة الأصول بالمجمع اللغوى لها . صور أحد عشر نموذجاً منها .

القسم الثانى (من ص ١٣٧ إلى ١٨٦)

النص الحرفى للبيان الذى قدمته لمؤتمر المجمع باقتراح الحروف اللاتينية ، وفيه ثلاث وسبعون فقرة ويتلوه بعض النماذج .

القسم الأول

المطلب الأول

— ١ —

١ — آمنت بالعقل ورضيت منه بالحاصل . وجريت وأجريت فى السبيل التى هدى والحلبة التى اختار . وفيما أنا آخذ بسنّته إذا به يرطمنى فى تلك المسألة الوحِلة ، مسألة رسم الكتابة العربية ، التى شقى بها الأوائل واحتاس فيها الأواخر . أدليت فيها برأيى الذى كوّنته على هدْى هذا العقل ، وهو حاضرى ومجرى قلمى ومحركُ لسانى . فإذا هو كان يخدعنى ، وإذا هو ختّال !

ألم تر كيف أنى ما كدت أنطق بهذا الرأى حتى هبّت من صفوف الخاصة والعامة، ممن يساوى ومن لا يساوى ، جماهير هائجة هيجان جماعات الدَّبْر وأرجال الجراد، تعْوِل وتولول صاخبة مستصرخة من يُعْديها على مرتكب هذا الحِنث العظيم ؟

بل إن سيداً من أغزر الناس علماً ، وأكثرهم عملا ، وأقومهم تديناً — بل حتى هــذا السيد المتزن الكريم قد انساق مع التيار فظن الظنون فجمح قلمه ، فأباتنى ، من رحمة له و إشفاق عليه ، غير موسّد .

٢ — ماذا عسانى إذن أن أقول أمام تلك الهبّات والصيحات والمرازءات ؟ أقول . . . أقول . . . أظن أنى مخطئ !

أما سمعت ووعيتَ منذ الصغر قولهم : « ألسنة الخلق أقلام الحق » ؟

هاك ألسنة الجماهير من مخاليق الله تقول إنى مخطئ .

إذن أنا مخطئ حقاً . بهـذا يقضى القياس الذى شرعه أرسطاليس عابد النجوم اللعين .

لكن أظن أنى غير مخطئ !

ألم يبلغك أن الجماهير لا عقل لها ؟ أو لم تقرأ عن « بيكون » فيلسوف الإنجليز أنه قال : « أخس ضروب الرياء مصانعة الدهماء » ؟ أو لم تقرأ ما أثر عن ذلك البطل الخطيب اليونانى من أنه ، إذ صفق له الجمهور وهو يخطب ، التفت إلى من حوله قائلا : « ترى أى خطأ فرط منى ؟ » . بل مالى وللماضى البعيد ؟ أو لم تسمع من بعض الأحياء أن رجلا من خيرة أساتذة العربية هوّسته السياسة فكلِف بالمظاهرات ، وبينما جمهور أرباب الحناجر يزفه على الهتاف إذا بأحد الظرفاء يندسّ صائحاً بكلمة حسنة الرنين قبيحة المدلول ، فاستطاب الجمهور رنينها وطفق يرددها ، وامتثل المزفوف الذى يفهم معناها ، بعد أن لم يغن عنه صوته الذى بح من المعارضة ولكن أذابته حماسة الغوغاء ؟

وإذن فأظننى لم أخطئ ! ما دامت تلك الجماهير من مخلوقات الله لم تصفق بل تلقتنى بالصفير . بهذا يقضى أيضاً قياس لمولانا أرسطاليس العظيم .

مخطئ ؟ غير مخطئ ؟ (That is the question.) هذه هى المسألة .

٣ — وإنها لأحجية أعقد من ذنب الضب ، ومشكلة غبراء عسراء بالغة فى الاعتياص ! فمن لى بحلها وإنقاذى مما يساورنى ، فى صحة رأيى أو فساده ، من الشك الأليم ؟ رُحماك اللهم ! إذا كنت تدرك الأبصار فإنك سبحانك لا تدركك الأبصار ، وقد حكمت بانقطاع وحيك بعد نبيك الكريم ، فإلى من تكلنى ؟ إنه ليس أمامى فى هـذه الدنيا من أهل العلم الذين نصبوا أنفسهم للفتوى فى مثل هذه البلوى إلا اثنان لا ثالث لهما : العقل والهوى . أما العقل فقد استضعفنى واستوطأ حائطى فتسوّرها علىّ ، ثم دلف نحوى وتزلف وداهن وألقى فى روعى أنك خلقته من

نور . فأنستُ به واصطفيته لنفسى . ثم هش وبش وتطامن وهز ذنبه متملقاً وأوهمنى أنك أمرت الشيطان فقبض قبضة من حَمْأَةٍ آسنة منتنة ، فخلقت منها الهوى والزئبق والحرباء ، وأنك أودعت فيها خصائصها فاستبد الهوى بأخويه فكان جماع تلك الخصائص . فهو أثير طيار طيّاش ، همزة لمزة ، هرّاج هبّاج ، لا حد لأفاعيله فى الزمان ولا فى المكان . وهو إذا تجسم كان زئبقا زلجاً زلقاً لا تمسكه اليد ولا تضبطه البنان . ولو أبصره مبصر لما ظفرت عيناه بطائل ، لأنه حرباءة خنثى مشكل هلوك ، تقلبت عبثا بين البعولة ، ولما استيأست ارتدت عن مذهب أمها ، وصبأت إلى عبادة الشمس ، فعوقبت بالتهاويل فى إهابها ، فيها كل لون وليس لها لون .

هذا الكلام المعسول الطريف الظريف كرّه إلىّ الهوى، فلن أستفتيه أبداً ما حييت .

٤ — لم يبق لى بعد من أهل الفُتْيا إلا العقل . وهأنذا أرى أن ما قسمت لى منه فركنتُ إليه وصحبنى كريماً راضياً مرضياً قد غرّر بى فى الساعة الأخيرة من صحبته التى امتد أجلها .

أرى هذا ، وأرى ما أودعته منه فى الناس قد أفلس ، وقلت قيمته وكسد سَومه ، وأن التقول والتأفك والزور والبهتان — وهى من بنات الهوى — أصبحت هى الصائح المحكىّ ، وليس لغيرها صوت ولا همس ولا صدى .

عفوك اللهم ! أإلى هذا العقل المفلس الذى أضحى هو والهوى سيّين فى قرَن ، بل الذى طعنه الهوى فى النوادى والمجتمعات فأسال دمه ، وأقصاه عن مقعده ذات اليمين إلى مزجرة مُستوبَلة مستحقرة ذات الشمال ، بل الذى تبلد واستخذى وسفه نفسه فحجر عليه المحتسب وقتر عليه رزقه فهزِل وبدت من هزاله كُلاه فسامه من شكُوله كل مفلس — أإلى مثله تشاء إرادتك أن تكلنى لحل معمّى تلك الأحجية

وتقرير خطئي من صوابي ؟ ! لا . لا . لا ! إنك لأعدل من أن تريد بي هذا الشر المستطير ، وأحكم من أن تكلفني توجيه وجهي ، في الاستفتاء والاستقدار والاستبصار ، إلى الجامدين من مفلسة العقول .

. . . . .

٥ — رب إنه لا عصمة إلا لك وحدك . وأما مثلي من بني الإنسان فقد كَتَبْتَ عليه النسيان ، والحوادث تنسِي ، والموقف كيوم الساعة ، ترى الناس سكارى وما هم بسكارى . إني نسيت ! لكني ذكرت الآن ! ذكرت أني ظلمت نفسي بما أثمت عقلي . فأستغفرك مما رميته به من تهمة التغرير بي في هذا الرأي الذي أقام قيامة الفارغين . أُشهدك أنه لم يأل جهداً من قبل في تبصيري بهذه القيامة الهوجاء . فاغفر لي ما فرّطت في جنبه ، فإنك أنت العفوّ الغفور .

. . . . .

٦ — ها إني أشعر باستجابة استغفاري ، وها قد صرح المحض عن الزبد ، وبان الصبح لذي عينين — كما قال بعض المتقولين — وانجاب عن البصر الغطاء ، وانقشعت سحابة ذلك الشك الأليم ، واطمأننت إلى أني لم أخطئ ، بل إني بفضل الله جِدُّ مصيب .

فإليك عني ودعني من عبدة الأوهام . واستمع لما أقص عليك من نبأ المشكلة القائمة ، مشكلة رسم الكتابة العربية التي يدور عليها الكلام ، ويكثر فيها الملام ، وتطيش الأحلام .

— ٢ —

١ — إني رجل من أهل العربية ، نشأت في حجرها ومارستها إلى الشيخوخة ، وسأمارسها مادام في الأجل انفساح . وليست ممارسة العربية بالأمر الهيّن . فقد شقيت أنا وغيري بها شقاءً مرًّا :

(١) لأن طول العهد ما بيننا و بين أهلها العرب الأولين نكّر معالمها وعمّى سبلها . كان هؤلاء الأولون يتفاهمون بها و ينطقون عباراتها نطقاً صحيحاً بالسجية ، والسجية لا كلفة فيها ولا عناء ولا استكراه ، لأنها عادة ينطبع عليها اللسان ، كسجيتك فى النطق بلهجتك العامية سواء بسواء . لو كنت شاهدهم، عصر النبوة ، ومن قبل عصر النبوة ، لرأيت الفصحى تتدفق من أفواههم زاكية زاهرة باهرة معتدلة القوام سليمة من الآفات ، لا يجدون فى أنفسهم ضيقاً بها ولا حرجاً ، ولا يحتاجون فى تقويمها لمتون ولا لشروح وحواش وحواشى حواش ، ولا يلجأون لابن من أبناء مالك أو عقيل ولا لأشمونى ولا صبان .

(٢) ولأن قواعد نحو الفصحى وصرفها بالغة فى الصعوبة والتعقد والعسر والارتباك ، ترغمك الآن على الرجوع إلى تلك المتون والشروح ، والتعرف إلى أولئك العلماء الأجلاء .

(٣) ولأنها ، كما وصلت إلينا ، ليست لغة واحدة يخف حملها ، بل هى جملة لهجات جمعها أوائل المسلمين وكدّسوا فى المعاجم مفرداتها جميعاً، وشواهدها جميعاً ، فألقوا على كواهلنا فى المدارسة والاصطناع أضعافاً مضاعفة من الأوقار والأوزار والأحمال الثقال ، وزادونا فى الدرس والتحصيل عناء وشقاء و بلاء ، و بغوا علينا ، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وظلمونا ظلماً عظيماً . وجعلوا من بالعُدْوة القصوى من النظّارة والمراقبين يتفرجون بنا و يبتسمون لقوة صبرنا على احتمال تلك المكاره والأوزار ، إذْ يرون أنفسهم قد خفت عليهم مؤونة لغاتهم فهم يحلقون فوق رءوسنا فى جو السماء ، و يروننا كالبراذين الدّبرة المجرّحة نجر حمل لغتنا ومن ورائنا سائق غليظ يسومنا صعود الجبل وليس لنا من منجد ولا مغيث .

(٤) ولأن خير متعلميها ، من شبان وشيوخ بلا استثناء ، يتعذر على الواحد منهم أن يقرأ أمامك صحيفة واحدة من أى كتاب أو نهراً واحداً من أية جريدة

قراءة متتابعة متصلة الأجزاء ، من غير أن يلحن لحناً فاحشاً أو غير فاحش ، أو على الأقل من غير أن يتوقف ويُقَطِّع أوصال العبارات . وهو فى قراءته مشغول أبدا بتحديد البصر وإعمال الفكر تحسساً لمعنى ما يقرأ ، قبل أن يقرأ ، حتى يستطيع أن يقرأ . وتراه فى تلك الحال كالمجذوب المتوجد أو المكروب المتجلد ، جاحظ العينين تارة ، أخزرهما أو أحوصهما تارة أخرى ، مضروب اللسان بالعثمة والغمغمة والفأفأة وغيرها من ضروب الارتتاج .

٢ — إن كنت من الذين يقتنعون بالدليل وينصاعون لموجَبه ، فالدليل فى متناول يدك . إنك تعرفه من نفسك فى قراءتك حين تتعمد النطق العربى الصحيح . وتعرفه فى قراءة غيرك من خريج جامعة أو أستاذ فى جامعة أو عضو فى مجمع لغوى . وتعرفه على الأخص فيما تسمع من الخطب الارتجالية أو من الخطب المتلوّة أو المذاعة ، ما لم يكن صاحبها قد شكلها أو شكلوها له وكررها فى خلوته مراراً من قبل ، حتى لا يلحن فيها لحناً شائناً يزرى بمكانته لدى جمهور السامعين .

أما إن كنت من الذين لا ينصاعون للدليل ، فأنت متعنت مدع فارغ ، ونفسى على الرغم منك كبيرة ، وهى أكرم علىّ من أن أجشمها خطاب المدعين الفارغين .

— ٣ —

١ — لكن هذه اللغة العربية على ما بها من الصعوبات الجسام هى فى جوهر حقيقتها من أقوم اللغات ، بل لا أبعد إذا قلت إنها ، من كثير من الوجوه ، أقوم اللغات .

ولا تصدق أن المجمع اللغوى أو غير المجمع اللغوى يستطيع أن يمس شيئاً ذا قيمة من مفرداتها أو من أصول قواعدها فى نحوها وصرفها . ولو فرض ، ما لم يقع للآن ، أنه عالج شيئاً من هذا — كما هو مكلف به فى أمر تشكيله — فلن يكون ذلك إلا علاجا فى القشر دون اللب ، وتهذيباً فى الظاهر دون الباطن ،

وتشذيباً فى الشوى دون مساس بجوهر الهيكل . ومن تراوده نفسه بالنفوذ إلى اللب فليس منا ، لأنه يفسد ذاتية اللغة ، ويحرمنا من تفهم ما تركه الأولون فى المناحى الأدبية من التحف والآثار .

— ٤ —

إنما لهذه اللغة الجميلة آفة خبيثة هى رسم كتابتها . إن هذا الرسم ، على ما فى مظهره الآن من جمال ، لهو علة العلل وأس الداء ورأس البلاء . إنه سرطان أزمن فشوه منظر العربية وغشى جمالها ونفّر منها الولىّ القريب والخاطب الغريب . وإذ أقول « سرطان » فإنى أعنى ما أقول ، لأنه كالسرطان حساً ومعنى . اصرِفْ النظر عما هو معروف للجميع وما أشرت إليه فى أصل بيانى من مساوئ هذا الرسم ، وانظر هل تجد فى رسم أية لغة من لغات أمم الحضارة أن هيكلا واحداً يحوى فى تجاويفه أربع كلمات أو ثلاثا أو حتى اثنتين كما يحوى، فى الرسم العربى ، هيكل (علَّمْتَنِيه) أربع كلمات ، وهيكل (علّمْته) ثلاثاً ؛ وهيكل (علّمت) اثنتين ؟ ألا ترى أن تلك الهياكل العربية هى أشكال سرطانية، وأن فعلها فى من يريد قراءتها غير مشكولة بدقة هو فعل السرطان المخيف ؟

— ٥ —

لقد لاحظ المسلمون فى الصدر الأول ما نلاحظه الآن من أن هذا الرسم مصيبة على العربية ، لأنه مضلل لا يشخصها ولا يقى من تصحيفها وتغيير أصل المراد بعباراتها . فعالجوا الأمر أولا بالنقط ، ولما وجدوا النقط وحده لا يغنى عمدوا إلى تكملة العلاج « بالشكل » ، وجعلوا الشكلات مجرد نقطات بمداد أحمر ، كما جعلوا الهمزات نقطات بمداد أصفر . فكان الكاتب مضطرا إلى استعمال ثلاثة ألوان من المداد ، أسود وأحمر وأصفر . ثم خرجوا من هذا التكلف المضنى إلى اتخاذ الشكلات بحسب ما هى عليه اليوم ، مرسومة بالمداد المرسومة به الكلمات . كما

جعلوا للهمزة علامتها الخاصة ورسموها بهذا المداد . ولا زال أهل العربية إلى اليوم — بعد ألف وثلاثمائة وثلاث وستين سنة من الهجرة — يختلفون فى كتابة الهمزة وفى كتابة الألف المقصورة وغيرها ، ولا زال بين رسم القرآن وبين رسم غيره من المكتوبات بون غير قريب ، ولا زالت مصيبة الرسم قائمة لم يحلها « الشكل » الذى أفلس بإجماع العارفين — ولا زالت هـذه المصيبة مانعة من إمكان قراءة العربية قراءة صحيحة مُوَحَّدة الأداء لدى جميع القارئين .

— ٦ —

١ — ولقد اهتم المجمع اللغوى من زيادة عن خمس سنوات بأمر هذا الرسم القاصر المضلل ، كما اهتمت به الحكومة ، واشتغلت ببحث مشكلته لجنة عمادها حضرة الأستاذ الكبير والمربى القدير على الجارم بك . وقد انتهى حضرته أول مرة بأن قدم للجنة الأصول بالمجمع (بجلسة ٢٤ إبريل سنة ١٩٤١) مشروعه الخاص بتيسير الكتابة مصحوباً بتقرير قال فيه عن مساوئ الرسم الحالى ما يأتى حرفيًا بعباره :—

« وبقى علينا أن ننقذ قراء العربية من اللحن الشائن والخطأ المعيب ، وأن »
« نجعل لغتنا الشريفة فى صف مع جميع اللغات الحية التى لا تحتاج فى قراءتها »
« صحيحة إلا أن تترجم الأصوات عن رسوم الحروف » .

« وفى الحق أن القراءة أصبحت عندنا عملا علمياً دقيقاً كثير التعقيد »
« والتركيب ، وصارت فناً من الفنون أو عبئاً من الأعباء ، وإن شئت أن تقول »
« إنها أصبحت لغزاً من الألغاز فقل . إنك لا تستطيع القراءة العربية على »
« وجهها إلا إذا كنت لغوياً صرفياً نحوياً معاً ، فإن لم تكن كل هؤلاء جميعاً »
« عجزت عن أن تكون قارئاً أو شبه قارئ » .

« فإن قالوا إن الشكل يسد هـذه الحاجة ويذلل تلك الصعوبة ، قلنا إن »

« الشكل لا ينقذ من الخطأ بل إنه قد يكون مدعاة للخطأ . وكيف تستطيع »
« العين أن تدرك الحروف وما تحتها وما فوقها فى آن واحد مع الضبط والدقة ثم »
« تنقله إلى أعصاب المخ فتنقله هـذه إلى أعصاب اللسان سليا صحيحاً ؟ لقد »
« جربنا فى مدارسنا أن التلاميذ يخطئون فى قراءة المشكول خطأهم فى قراءة غير »
« المشكول . جربنا أن الطالب المثقف لا يستطيع قراءة القرآن الكريم وهو »
« مشكول على أدق ما يكون الشكل وأحكم ما يكون الضبط . ثم إن الشكل »
« كثيراً ما ينقل عن مواضعه عند الطبع ، فتنقل حركة المفتوح إلى المضموم »
« وتنقل الحركة من حرف يجب شكله إلى حرف لا يتطلب لضبطه شكلا . »
« وأخرى أن الشكل عمل شاق جداً فى الطباعة يحتاج إلى دقة وإلى زمن وإلى »
« أجر مضاعف ، لذلك قلّ من الكتب المشكول، ورأى أصحاب الصحف »
« والمجلات أن الشكل صعوبة مادية لا تذلل » .

٢ — تلك شهادة خبير تعدل ألف شهادة من غيره . كان من كبار مفتشى اللغة العربية ، وكان وكيل دار العلوم ومربى كثير فيها وفى غيرها من أساتذة العربية . ها كه يقول — وصاحب الدار أدرى بما فيها — إن قراءة العربية برسمها الحالى أصبحت لغزاً من الألغاز ، وإن قارئها إن لم يكن لغوياً نحوياً صرفياً فى آن لعجز أن يكون قارئاً أو شبه قارئ ، وإن الشكل مجلبة للخطأ لا تستطيع الأعضاء الموكلة بالنطق الاهتداء به، وإن تلاميذ المدارس يخطئون فى قراءة المشكول خطأهم فى قراءة غير المشكول ، وإن الطالب المثقف لا يستطيع قراءة القرآن وهو مشكول على أدق ما يكون . وليس بعد شهادة هـذا الخبير قول لقائل ، إلا من كانوا يحلون الأمر عاماً ويحرمونه عاماً . ومثل هؤلاء لا قيمة لهم بين الرجال .

٣ — على أن حضرة الجارم بك قد لبث من بعد يكدّ ويستعين بالاختصاصيين فى فنى الخط والطباعة رجاء تحسين مشروعه هـذا الذى قال إنه

يسر الرسم ويقى من اللحن فى القراءة . ولما عدت للعمل بالمجمع بعد غيبة طويلة بسبب المرض ، وجدت هذا المشروع قد أعيد عرضه فى صيغته النهائية على لجنة الأصول التى أنا من أعضائها . وكان ذلك فى منتصف شهر نوفمبر سنة ١٩٤٣ . فلم أوافق أنا ولا غيرى عليه ، بل نقدته نقداً قاسياً . ثم أخذت أفكر فى هذه المصيبة التى حيرت الأولين والآخرين ، وفى طريقة لإطلاق العربية من عقالها حرة كريمة كما ولدتها أمها وكما نشأها آباؤها الأولون ، أولئك الذين يلوح أن فقدانهم الدُرْبة والمرانة أقعدهم عن اصطناع ثوب لها مقيس على قدها ، فحشروها فى قماط ومخنقة مما لا يتخذ إلا للرضّع من الأطفال ، فجنوا عليها جناية كبرى إذ ضغطوا أعضاءها وكبتوها عن النمو وبلوغ ماهى ميسرة له من الكمال .

— ٧ —

١ — فكرت جدياً فى الأمر وقلبته على كل وجوهه ، فاتجه فكرى إلى النظر فى اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم العربية . فنظرت واستيقنت أن لا محيص من هذا الاتخاذ ، إنقاذاً للعربية من مساوئ رسمها التى نعرفها جميعاً والتى أشار إليها حضرة الجارم بك بكل صراحة وجلاء فى تقريره المذكور آنفاً .

٢ — وفى الجلسة الثانية أو الثالثة من جلسات مؤتمر المجمع الذى افتتح فى ١٥ يناير سنة ١٩٤٤ تكلمت فى هذه المسألة الأساسية التى لا يدانيها فى أهميتها شىء مما يشتغل به المجمع ومؤتمره ، فاقترحت لحلها ما انتهى إليه رأيى من وجوب اتخاذ تلك الحروف اللاتينية ، حتى تضبط كلمات اللغة وتسهل قراءتها على الكافة — مثقفين وغير مثقفين ، شيوخاً أو شباناً أو أطفالا ، عرباً أو عجماً — قراءة صحيحة موحدة الأداء فى ألسن الجميع . فطلب إلىّ المؤتمر تقديم اقتراحى هذا بالكتابة ، فكتبته وتلوته بجلستى ٢٤ و ٣١ من يناير المذكور ، فرأى المؤتمر طبعه وتوزيعه على حضرات الأعضاء كيما يستطيعوا المناقشة فيه . وقد كان .

١ — كان لا بد لى فى تفصيل هذا الاقتراح من وصف حال العربية وبيان صعوباتها ، ونسبتها ، من حيث تلك الصعوبات ، إلى اللغات الأخرى ، وبيان حال أهلها المتحملين بها ونسبتهم فى الرقي أو التأخر إلى غيرهم من الأمم . وكان لا بد فى هذا الوصف والبيان من تقرير الواقع فعلا، وكان لا بد فى تقريره تقريراً صادقاً من أن أجرد نفسى تجريداً تاماً من التأثر بشىء من الميول والعواطف ، تلك الصوارف والمشوشات التى أشار الحكماء ، معلمو الإنسانية ، بوجوب التجرد منها كلما أريد تقرير الواقع فى أى شأن من الشئون ، أو الأخذ فى تعرف حقيقة من الحقائق المقدورة معرفتها للإنسان . جردت نفسى فعلا من كل مؤثر عاطفى ، وتناولت الأمر كما لو كنت أجنبياً عن العربية وأهلها لاحق لها ولا لهم عندى ولا مجاملة بيننا ولا ولاء . فخرج الوصف فى الفقرات الثمانى الأولى ، التى ستقرؤها ، وصفاً بالغاً فى التصوير الواقعى (Très réaliste) لا يمارى فى صدقه أقل مثقف يعرف الفرق بين الوصف الواقعي الواجب فى مثل هذا البحث وبين الوصف العاطفى (Idéaliste) الذى يرفضه أئمة الإنسانية لأنه هذر لا غناء فيه . كما خرج ذلك الوصف من أقسى ما يكون فى النعيّ على حال العربية وحال أهلها من خياليين وغير خياليين .

٢ — فمما أوردت فيه ، من الحقائق الواقعية ، الأربع الآتية التى يغض بعض قومنا بصرهم دون رؤيتها كما تخفى النعامة رأسها بين رجليها ، حاسبة فى غباوتها أنها بهذا التوارى المضحك تحمى نفسها من سهام الصائدين :

أولا — قلت : « إن المستشرقين من الأمم المختلفة ليعجبون منا ، نحن الضعاف ، الذين يطأطئون كواهلهم أمام تمثال اللغة لحمل أوزار ألف وخمسمائة سنة مضت » .

وهذا تقرير صادق لا يحتمل المماراة . فإن المعروف عن اللغة العربية أنها مضى عليها — على أقل تقدير — ألف وخمسمائة سنة وهى على حالها فى مفرداتها ونحوها وصرفها . وقل أن توجد لغة بقيت على حال واحدة مثل هذا الزمن الطويل . إذ اللغات فى تطور مستمر يعرفه من ألقى البال وهو شهيد . وكلما تقادم العهد ازداد التطور وأصبح قديم اللغة عبئاً ووزراً يُنقض ظهر المحدثين، لبعدما بينها و بين مانشأ فيهم واعتادوه من مختلف اللهجات . ومن يقل عن الأوزار والأثقال إنها أوزار وأثقال فقوله حق لا ريب فيه ، ومن يراقب إبهاظ هذه الأوزار كواهل حامليها ويرصبرهم عليها وتعبدهم لصنمها صاغرين ، فهو إن يعجب فعجبه طبيعى لا تصنع فيه .

ثانياً — قلت : « إن العربية قد سرى قانون التطور فى مفاصلها وحتّتها فى عدة بلاد بآسية و إفريقية إلى لهجات يخطئها الحصر ، وإنه لم يخطر ببال أى بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسياً أن يتخذ من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها لها نحوها وصرفها كيما يسهل عليهم أمور الحياة » .

والواقع الذى لا شك فيه هو هو الذى قررت ، مهما يهرف الفارغون الذين لا يميزون بين تقرير الواقع و بين إرادة شىء مما لهذا التقرير من المفهومات .

ثالثاً — قلت : «إن أهل العربية مستكرهون على تعرف فصحاها كيما تصح كتابتهم وقراءتهم » . وهذا الاستكراه صحيح مطابق للواقع المحسوس ، وهو كما قلت وأقول : « ظلم و بغى لأنه تكليف للناس بما لا يطيقون » .

ومن أظرف الأشياء أن أستاذاً كبيراً من أساتذة العربية ، ممن يبتغون الإعلان عن أنفسهم أنهم من حماة العربيــة كما أعلن موسولينى وغير موسولينى أنهم حماة الإسلام — هذا الأستاذ العظيم قابلنى مصادفة فسألنى : « كيف تقول إننا مستكرهون على تعرف الفصحى ؟» سألنى متصوراً أنى كبعض من يعرفهم ممن

يكتمون الحق وهم يعلمون . فقلت لغبطته ببساطة تفك قطوب تزمته : « يا سيدى إنها ليست لغة الحارة . وإنك لو لم تكن أكرهت عليها وتعلمتها بعَرْك أذنيك وبالنبّوت لما وصلت إلى مركزك . ولو أن تلاميذك لا يتعلمونها طوعاً أو كرهاً فإنهم لا يظفرون بالشهادات ولا يجدون لهم مرتزقاً فى الحياة بل يقضونها أذلاء متعطلين » .

رابعاً — قلت : « إن اللغة العربية ليست لغة واحدة لقوم بعينهم ، بل هى مجموع لهجات أهل جزيرة العرب ، أودعت المعاجم لتكون كلها هى العربية ويكون مجموعها حجة على من ينتسب للعربية . وإن هذه اللهجات قد ماج بعضها فى بعض فانعجنت واختلطت . وإن أية منها لو أمكن فصلها لكانت دراستها أشق على دارسها من تعلم جملة لغات حية تيسر عليه سبيل الحياة . وإن من الظلم إلزام المصريين وغير المصريين بتعرف كل تلك اللهجات كيما تصح كتابتهم وقراءتهم » .

قلت هذا وهو الحق الواقع . فإن العربية ، كما يدرك كل خبير بها ، خضم يحتشد فى عبابه جملة بحور ، وراكبه لا يأمن فيه الغرق . وإذا ادعى العكس أحد من القصار المتطاولين فليتقدم للامتحان ، وعنده يكرم أو يهان . وواضح أن من تلزمه ركوب هذا الخضم الطامى فقد ظلمته ظلماً مبيناً .

* * *

بهذه الصراحة الواجبة على المتصدي للبحث وللوصف الواقعى الصحيح ، ممن تقتضيه مهمته نبذ الشعر والخيال وأن يسمى الوردة وردة والشوكة المدمية المؤلمة شوكة — بهذه الصراحة وتلك القسوة التى لا محاباة فيها لعاطفة ولا مجاملة لآصرة ولا لولاء مكسوب أو موروث ، نقدت العربية وبينت أن الطرق إليها متشعبة وكلها أشواك وعقبات ، وأن تعلم أية لغة من اللغات الحية ، بل تعلم عدة منها ، أيسر وأهون من تعلم أية لهجة من تلك اللهجات العربية الأولى .

١ — على أنى إذ رأيت مما يلائم طبعى ويُغلى نفسى أمام نفسى ويرضى نفسى عن نفسى أن أجهر بالحق فى مواطن الحق غير هياب ولا وكل ، وقد صدعت به فعلا عُريان مكشوفا لاشية عليه ولا قترة تُغشّيه دون متوسميه — إذ رأيت وصدعت ، فإنه لم يغب عنى أن كثيراً من قومنا خياليون سطحيون لا يفرقون ، عند التقدير ، بين ما فى الواقع وما فى الخيال ، بل يخلطون بينهما ويقيسون ما يسمعون وما يشهدون من الأقوال والأفعال بقياس عقليتهم هم وما فى أدمغتهم هم من ألوان التوهمات والتخيلات . ولقد خفت فعلا من ضلالات هذه العقلية على الحق وعلى أربابها . خشيت أن بعضهم ، إذ يرون هذه الصراحة فى الوصف والقسوة فيه والتنويه بسهولة اللغات الأجنبية بالإضافة إلى ما فى العربية من الصعوبات الجسام — والصراحة واد لم يُسيموا من قبل فيه حتى يألفوه — ربما تحكمت فيهم تلك العقلية المختلطة المخلّطة وطوحت بهم ، خطأ وجهلا ، إلى مهاوى التظنن وسوء التأويل ، فتوهموا فى غباوتهم أنى أكره العربية وأبتغى حذفها من الوجود والاستعاضة عنها بغيرها من تلك اللغات .

٢ — من أجل هذا سارعت (فى الفقرة التاسعة) بالإشارة إلى ما قد يقوم من هذا التظنن الذميم ، ووصفت مقترفيه بالبلادة واستنزلت عليهم غضب الله ، فى عبارة هى أشد ما فى العربية من عبارات الزجر والقمع والاستبراء . قلت ، كما ستقرؤه ، بالحرف الواحد : « لعل البعض يتساءل : ما بال هذا الرجل يُنحى هكذا باللائمة على العربية ويصعّب من أمرها ؟ ألعله يريد نبذها والاستعاضة عنها بلغة أجنبية من اللغات الحية ؟ » ثم أردفت هذا التساؤل بالإجابة الآتية : « حاش لله ! وبعداً لهذا الظن البليد كما بَعِدت ثمود ! وسُحقاً له وحجراً محجوراً ! » .

٣ — ثم استطردت فبينت موقفى من الفصحى وموقفها منى . وأخذت من

بعد فى تقديم علل جنوحى إلى اتخاذ الحروف اللاتينية ، و بينت طريقتى فيها ، وفاضلت بينها و بين غيرها ، ثم فصّلت مزاياها ، وأقمت أثناء البحث كل ما قدّرت أن يرد من الشبه والاعتراضات ورددت عليها . ولم أحجم عن مجابهة كلٍّ بما تحسسته لديه من وجه اعتراض . وكل هذا فى عبارات عربية صريحة لا مداورة فيها ولا التواء .

— ١٠ —

وسواء أكنتَ من النافرين من اتخاذ الحروف اللاتينية أم كنت من غير النافرين ، فإنى أنصح لك أن تقرأ بيان اقتراحى ، الذى طبعته لك مع هذا بنصه الحرفى[١] ، وأن تجشم نفسك الصبر على القراءة فى تؤدة وإمعان ، مهما يكن الفارغون قد أوهموك بأنه من الضلالات . إن لك ولى فائدة فى الأخذ بنصيحتى. أما فائدتك فأنك قد تكسب منه لعقلك ولخلقك الشىء الكثير . وليس لعاقل أن يأبى الاستفادة لعقله ولخلقه. والمسلم، على الخصوص، مكلف بطلب العلم ولو بالصين ، وكل أهلها يوم هذا التكليف وثنيون. بل إن جامعاتنا أصبحت تدرس فيها الفلسفة ، وأئمتها من جبابرة العقول المارقين. بل ليست هذه أول شَرْدة للمسلمين ، فإن كثيراً من رجال الصدر الأول لجأوا من قبل إلى الحكمة والفلسفة يغترفونهما من فيض عقول اليونانيين الملاعين . وأما فائدتى فأن تتحقق أنت والمتصلون بك أن الناس إزاء هذا الاقتراح ثلاثة أفرقاء : فريق من الإمعات سماعون للكذب، لا يقرأون وإنما تصف ألسنتهم السوء تقليداً ورجماً بالغيب . وفريق ثانٍ يقرأون ولا يفهمون ، لأن التفكير فى موضوع اقتراحى يسمو على مستوى عقولهم ، ولغة البيان أيضاً فوق طاقتهم . لكن الواحد منهم إذا سئل عما قرأ حمله سوء خلقه وقلة بضاعته أن يدعى لنفسه ما ليس لها . فهو يزعم أنه فهم ما قرأ . ثم إذا سئل

(١) القسم الثاني من هذا الكتاب .

عما فهم لجأ إلى ما هو أوجز وأ كثر انفهاماً وقبولا عند العوام . إنه يقول : كل الحاصل من هـذه الثرثرة واللت والعجن أن صاحبها يريد أن ينبذ لغة القرآن . وإن استحيا شيئاً مّا قال : إنه يريد تغيير كتابة اللغة العربية وأن يجعلها ككتابة بنى وكرالمبو وكيريا كو من جرسونات قهاوى الأروام . أما الفريق الثالث فإنه يقرأ ويفهم ، ولكن صـدره يتطاحن فيه عاملان ، عامل الإنصاف ، وعامل ضرورات العيش أو إرضاء شهوة من شهوات الأمارة بالسوء . ومتى قضت ضرورات العيش أو شهوات النفس خرِس عامل الإنصاف قليلا ثم عبَس و بسر، ثم ولى مدبراً وتوارى . وهذا الفريق شر الثلاثة ، لأنه يتناول العبارة فيعمد منها إلى ما ينفعه ويصد عمّا يضره . فهو ينتقر ويختزل ويمسخ ويشوه . ثم يبنى على هـذا الانتقار والاختزال والمسخ والتشويه ما شاء من شوامخ الأباطيل و يبيعها للناس . وهو فى كل ذلك على بيّنة من إجرامه وشنيع إصراره ، لا شىء يردعه من عقل أو من ضمير . إذ عامل الإنصاف حين ولّى عنه قد مرض ومات وانقبر . ومهما يكن أهل هـذا الفريق قد قرأوا « أن الحرة تجوع ولا تأ كل بثدييها » ، بل مهما يكن الله أنذرهم بأنه إنمـا يملى لهم ليزدادوا إثماً ، فإنهم لا يأبهون لذلك التبكيت ولا لهــذا النذير . ألم يقرأوا أن الله إنمـا « يضع الموازين القسط ليوم القيامة » لا لما قبل يوم القيامة ؟ أو لم يسمعوا أن الحساب لن يكون إلا فى الآخرة وأن رحمة ربك وسعت كل شىء ؟ أو لم يحفظوا فى كتب الهجاء أن عصفوراً فى اليد خير من كركىّ فى جو السماء ؟ وإذن فلينتهزوا شهود العاجلة وليسعوا لها سعيها وهم مجرمون . وليرفسوا تلك الآجلة التي كلُّها عليهم همّ وغم و بلاء مبين . وكل هذه المحادّة لله وللضمير ، إنما يأتونها ، على ما ترى ، اجترارا لغنم حقير ، أو إرضاء لشهوة من خسيس الشهوات . ألست معى فى أنهم شر الثلاثة ؟ ألا إن ابن حواء عَيْبة أعاجيب !

— ١١ —

ذكرت فى بيانى صعوبات العربية . ونعيت على سوء رسمها الحاضر وعلى زيادة الطريقة الجارمية لهذا السوء . وتعهدت بأن أكافئ جهد استطاعتى من يصل إلى طريقة لكتابة العربية بالحروف العربية ذاتها كتابة فيها يؤدى الحرف بذاته صورته الصوتية أداء صادقاً (العبارة الأخيرة من فقرة ٥٨[1]) . وبينت (فى فقرة ٦٨) أنه يحزننى اطراح الحروف العربية والاستعاضة عنها بالحروف اللاتينية ، وأن ضرورة المحافظة على كيان العربيــة هى التى تضطرنى لهذا الاقتراح البغيض .

وعباراتى فى تينك الفقرتين مكتوبة بالعربية لا بالصينية ولا بالهيروغليفية ، ومفهومها أن الحروف ليست بذاتها محلا للحب ولا للكره ، وإنما هى تستحسن إذا وفت بالغرض منها فيحتفظ بها ، وتستقبح إذا قصّرت عن هذا الوفاء وعجزت كل حيلة عن علاج قصورها فتطرح وترمى فى سلة المهملات .

المطلب الثانى

— ١٢ —

قام على رأيى كثير من الاعتراضات وصل إلى علمى منها اثنان وعشرون سأذكرها لك فيما يلى ، مردفاً كلا منها بردى عليه . وقد صغت هذه الاعتراضات صياغة عربية تحريت فيها دقة التعبير عن مراد بعض المعترضين الذين قصر لسانهم أو قلمهم عن الإبانة بوضوح . وإذا لاحظتَ فى ردودى شيئاً من التكرار ، فعلّته أولا أن كل اعتراض كنت أدوّن ردى عليه بمجرد وصوله إلى علمى . وثانياً أن هذه

(١) وقد كررت هذا التعهد أمام المؤتمر بجلسة ٧ فبراير سنة ١٩٤٤ أثناء مناقشة مشروع حضرة الجارم بك . وكذلك قابلت حضرة الخطاط الاختصاصى الذى كان يستعين به الجارم بك فشافهته بهذا التعهد .

الاعتراضات متداخل بعضها فى البعض ، وقد حرصت على أن يكون كل رد مواجهاً لكل اعتراض ، وأن يكون مستقلا برأسه ، حتى يسهل على كلٍ معرفة جوابى عليه.

الأول

قيل إنى أريد نبذ العربية ذاتها ، أو أن أستبدل لهجة عامية بالفصحى .
قال هذا من القوم كبار وصغار . وهو كما ترى اختلاق صبيانى سخيف .

الثانى

١ — قيل إن الحروف اللاتينية لا تؤدى كل ما فى العربيـة من النغمات ، فهى تحيل الحاء هاء والصاد سينا والضاد دالا ... الخ .

٢ — وموردو هـذا الاعتراض إما أنهم لم يقرأوا بيانى ولم يعرفوا كيف لاحظت هذا الذى يعترضون به ، وكيف عالجته ، فهم معذورون . وما عليهم سوى أن يقرأوا البيان ، فإنهم يجدون (فى الفقرات من ٢٨ إلى ٣٩) مايسقط اعتراضهم ويردهم من هذه الناحية مطمئنين . وإما أنهم قرأوا ولكنهم متعنتون ، والمتعنت مراء شغّاب لايستأهل الخطاب .

الثالث

١ — يقولون إن اتخاذ الحروف اللاتينية يقطع بين الخلف والسلف ، ويحرم الخلف من الانتفاع بآثار السلف فى العلوم والفنون والآداب .

٢ — وهذا الاعتراض قد استثرته أنا نفسى فى فقرة (٢٥) من البيان . وهو اعتراض جدّىٌّ وجيه . لكنه كالطبل يطن وجوفه خلاء . إن علاجه مالىّ بحت ، وكل ما كانت ديته المال فهو من الهنات الهيّنات . مليون من الجنيهات أو مليونان

على الأكثر أو ثلاثة ملايين مع شدة الإسراف فى التقدير ، تصرفها الحكومة لادفعة واحدة فى سنة واحدة بل على التوالى فى بضع سنين ، فتطبع لك كل أمهات معاجم اللغة ، وكل المهم من كتب الآداب منظومها ومنثورها ، وكل المهم من كتب العلوم والفنون إن كان عندنا منها مهم . والإغضاء عن هذا العلاج المالىّ الميسور ، ثم اللجوء إلى تصعيب الأمر والتخويف من عواقبه ، لايراه العاقل إلاّ ضرباً من التعاجز والتباكى لمجرد الإيهام واستبقاء اللغة المسكينة تتكمش فى ثوبها الخلَق الذى كله تنكير وتبهيم وإضلال .

٣ — واجه الحقائق ، ولا تصدق الخالين الذين يخيلون اليك الحبّة قبّة . ارجع إلى كليات العلوم والطب والصيدلة والهندسة والزراعة والحقوق ، وهى عندنا معاهد العلم الصحيح الذى عليه الاعتماد فى إنهاض البلاد ، ثم ارجع إلى مدارس الصنائع والفنون وإلى معاهد الفنون الجميلة من موسيقى ونقش وتصوير — ارجع إليها وسل أساتذتها المصريين ، فإنهم جميعاً ينبئونك أن الدراسة فى كلياتهم ومعاهدهم قائمة على علم الأوربيين وفن الأوربيين وكتب الأوربيين ، وأن خيارهم إنما هم أولئك الذين بعثتهم الحكومة لأوربا وأمريكا فدرسوا هناك صنوف العلوم والفنون ثم عادوا يعلّمونها المصريين . كما يقولون لك إننا ، نحن العرب ، إذا كنا فى زمن حضارتنا عالجنا شيئاً من المسائل العلمية ، مما فضلنا فيه معترف به من العدو قبل الصديق ، فإن ذلك إنما كان قدراً جزئياً ضئيلاً لايسمن الآن ولا يغنى بالإضافة إلى ما وصل إليه الأوربيون ، وإن أى كتاب عربىّ علمىّ قديم إذا اقتناه أحدنا الآن ، وقلما يقتنيه أحد ، فإن ذلك لايكون إلا لمجرد الموازنة بين العلم فى طفولته وبينه فى دور الاكتمال . هذا ما تسمعه من أولئك الأساتذة العلماء. منه تعرف أننا الآن فى العلم والفن عيال على الأوربيين لا على أسلافنا الأولين . كما تدرك أن بعضهم إذا كان يلذّ جمع المشرقيات العربية من قديم الكتب وقطع

الفنون ، فإن سواد الأمة لاحاجة بهم إلى مثل هذه اللذاذات ، بل يكفيهم أن تحفظ لهم فى دور الكتب والآثار الحكومية العامة يراجعها منهم من قد تصبو أنفسهم للاشتغال بتاريخ مسألة من مسائل العلوم والفنون . و إن وجد بينهم من يريدون أن يجهدوا فى هذا السبيل كما يجهد الأجانب من المستشرقين ، فليجهدوا ، فالبيئة بيئتهم واللغة العربية لغتهم ، ودور الكتب والآثار أقرب إليهم منها إلى أولئك المستشرقين.

إذن لا تسمع لمن يفتنك بقالة الانقطاع عن آثار السلف فى العلوم والفنون. فإن تلك الآثار أصبحت ، بالقياس إلى ما عند الأوربيين ، سراباً موهماً إذا جئته لم تجده شيئاً ووجدت الحقيقة المرة تصدمك وتردك خائراً إلى الصواب .

٤ — إن لم يعجبك قولى ولم ترد الرجوع إلى أساتذة الكليات ومعاهد الصنائع والفنون كيما تثق بأننا حقاً فى العلم والفن عيال على الأجانب ، فارجع ولو إلى الصحيفة الأخيرة من ذلك التقرير الجامع الذى وضعه الهلالى باشا وزير المعارف وقدمه للبرلمان . و إن لم ترد فارجع إلى ما قالته اللجنة المالية بمجلس النواب فى تقريرها الخاص بميزانية هذا العام ، ترها تشير على الحكومة بمواصلة إرسال البعثات إلى أوربا لتحصيل العلوم التى تنقصنا وعلى الأخص لتعلم الصنائع والفنون . ولو أن الأمر كان كقالة القائلين لنصحت بإرسال البعوث إلى دور الكتب والآثار بمصر لتلقى العلم والفن فيها عن مؤلفات السلف وما تركوا من مصنوعات ، ولكان ذلك أخصر الطرق وأيسرها نفقة وأكثرها سالكين . فاسمع كلامى أو لا تسمعه ، وأعف نفسك أو لا تعفها ، لكن أعفنى أنا من كلام غير المسئولين .

الرابع

١ — يقولون كيف لا تحترم رسم القرآن ؟

٢ — أنا أحترم القرآن لأنه كتاب الله وأساس الدين ومفخرة العربية .

ولكني لست مأموراً ديانة باحترام رسم القرآن : (١) لأن الله لم ينزل به من سلطان ، ولم يفرض علينا التعبد له برسم القرآن . و(٢) لأنه إذا كان بعض الحمقى تورطوا فادعوا أن رسم كتابة اللغات جميعها — لا رسم العربيـة فقط ولا رسم القرآن فقط — هو توقيفيّ علّمه الله آدم ، فسوّى آدم أحرف كل لغـة وطبخها كالآجرّ ، ولما هبط إلى الأرض وأتى الطوفان فبعد انحسار مائه وجد أهل كل جهـة حروف لغتهم حاضرة لديهم فاستعملوها — إذا كان ذلك البعض تورط فى هذا الزعم ، فإنه ، كما ترى ، زعم كله بلاهة وتخريف واختلاق ما كان لعاقل أن يعيره أدنى التفات . و(٣) لأنه إذا كان بعض متهوسى الصوفية و بعض المبتدعة قد زعموا أن الحروف والأصوات قديمة وأنها إذا رسم بها كلام الله أصبحت هى قديمة كقدم كلام الله ، فإن عقلاء السنيين قاوموا هذه الفرية ونعوا على أصحابها جهلهم المطبق وقرروا الحق من أن رسم القرآن ، كرسم كل كتابة أخرى ، إنما هو من اختراع الإنسان . أى أنه حادث لا قديم ، ومهما يُكتب به القرآن فلن يزال حادثاً لا قديماً . و(٤) لأن صورة هذا الرسم التى كانت فى عهد عثمان بن عفان وكتب مصاحفه بها إنما كانت صورة بدائية سقيمة قاصرة[١] خيف من سخافتها وقصورها أن تضلل المسلمين فى قراءة القرآن ، فسارع الخليفة عبد الملك بن مروان إلى كشف هـذه الغمة ، وتولى الحجاج بن يوسف عامله فى العراق تنقيط القرآن منعاً لالتباس بعض حروف كلماته ببعض ، وباشر له التنقيط جماعة من خـيرة الحفاظ . ولما لوحظ مع الزمن أن النقط إذا كان يضبط الحروف ويمنع تبديل حرف منها بحرف يماثله فى الهيكل ، فإنه ، كما أسلفت ، لا يضبط صورة أداء

(١) لم يعثر على أثر من مصاحف عثمان بن عفان . ولـكن المرحوم حسن أفندى الهوارى من رجال دار الآثار العربية عثر بين القبريات التى بالدار على حجر منقوش عليه اسم الميت وعبارة تتضمن الدعاء له وتاريخ جمادى الآخرة سنة ٣١ . أى أن هذا النقش كان فى خلافة عثمان بن عفان . وإليك بعـد صورته الفتوجرافية تعرف منها كيف كان الرسم وقتها بدائيا سخيفاً يغم النفوس ويحسر العيون . (انظر ص ٢٤ بعد)

الحرف من ناحية الحركات والسكون ، ولا يمنع التصحيف من هذا الباب ، فقد فكّر المسلمون فى أن كشف هذه الغمة يكون بشكل حروف كلمات القرآن . فشكلوه أولا بالنقط بمداد مخالف ، ثم عدلوا إلى شكله بالطريقة الجارية الآن . ولو أن رسم القرآن الذى كتبت به مصحف النبى صلى الله عليه وسلم والذى نقل بذاته فى مصاحف عثمان بن عفان كانت له أدنى قدسية ، لما جرأ ابن مروان ولا الحجاج ولا أحد ممن بعدهما ، كبر أو صغر ، على أن يمس هذا الرسم أدنى مساس . و(٥) لأن الكتابة العربية التى اتخذها عثمان بن عفان لرسم القرآن كان جمهور المسلمين يقولون إنها مستمدة من خط الجزم الكوفى ويظنون أن الكوفى مستمد من المسند الحميرى خط أهل اليمن(١) . وما زالوا على هذا الفهم حتى جاء المستشرقون الأوربيون فى القرن التاسع عشر — أى بعد زيادة عن ألف ومائتى سنة من الهجرة — وبحثوا ونقبوا ، بحثاً لا عاطفياً خيالياً بل علمياً واقعياً ، استنطقوا فيه الجوامد وهى لا تكذب ، لأنها ليس لها لسان كلسان الإنسان تذبذبه بالإفك والبهتان — استنطقوها ثم بينوا لنا ، نحن أهل العربية الساهين ، أن النقوش دلتهم على أن كتابتنا أصلها نبطىّ . كما علمونا ، بفضل بحوثهم التاريخية ، أن النبط كانوا قوماً أشداء من العرب العاربة منازلهم القسم الشمالى من الجزيرة جنوبى الشام وفلسطين ، وأنه كان لهم مملكة قامت من سنة ١٦٩ قبل المسيح إلى سنة ١٠٦ من بعده ، ثم استولى عليها الرومان وأزالوها ، وأن عاصمة ملكهم جهة الشمال « سلع » وكان اسمها عند قدماء المؤرخين من الفرنجة « بطرا Petra » أى الصخرة ، وعاصمتهم الجنوبية كانت تسمى « الحِجْر » . وهى المعروفة الآن باسم مدائن صالح على خط سكة حديد الحجاز ، وأن هؤلاء النبطيين كانوا يعبدون اللات والعزى ومناة وهُبل ، وأنه للاتصال المستمر بينهم وبين أهل الحجاز نقل الحجازيون عنهم

---

(١) بل زعم بعضهم أنه متلق عن خط كاتب الوحى لنبى الله هود عليه السلام .

رسم كتابتهم بل وعبادة آلهتهم . هـذا هو الثابت للآن والمأخوذ به فى جامعة فؤاد الأول[١] .

٣ — وسواء كان رسم العربية الذى رسم به القرآن منقولا عن النبطيين من شمال الجزيرة كما قال المستشرقون المتأخرون ، أو عن اليمنيين من جنوبها كما قال المتقدمون ، فإنه فى الحالتين رسم وثنى بلا نزاع . بل اللغة العربية نفسها التى نزل بها القرآن لم ينشئها القرآن ، بل هى كانت لسان قريش وغيرهم من قبائل العرب . وقد كانوا جميعاً وثنيين ، إلا عدداً نزراً من أهل الكتاب . فهى لغة هؤلاء الوثنيين، وقد نزل بها القرآن ، وما كان يمكن أن ينزل إلا بها ، فإن الله تعالى يقول: « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » .

٤ — إذا كان هذا هو الحق وكان الله يقول : « والله لا يستحي من الحق » ، ويقول : « أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أم من لا يَهِدِّى إلا أن يُهدَى ؟ » ثم يردف هـذا بالنعى على المنصرفين عن حكم العقـل فيقول : « فما لـكم كيف تحكمون ؟» ـ يقول هذا إيذاناً لنا بأن الحق وحده هو الواجب الاحترام ، وأنه وحده الذى لا يُستحيَى من الجهر به ، وبأن الباطل ممقوت وعباده مأفونون سيئو الحكم والتقدير . إذا كان هذا هو الحق ، فإنى ، احتراماً للحق ، واحتراماً للقرآن ، وعملا بوصايا القرآن ، أقرر بأنى لست مكلفاً باحترام رسم القرآن ، ولست ألغى عقلى لمجرد أن بعض الناس أو كلهم يريدون إلغاء عقولهم ، ولا يميزون بين القرآن العظيم ، كلام الله القديم ، وبين رسمه السخيف الذى هو من وضع الوثنيين القاصرين .

إفهم عنى هـذا . وما يهمنى أن ترى رأيى أو لا تراه ، فإن الله يقول : « إنك لا تهدى من أحببت ولـكن الله يهدى من يشاء » .

---

(١) راجع رسالة « أصل الخط العربى » التى وضعها حضرة الأسـتاذ خليل يحيى نامق ونال عليها درجة الماجستير من كلية الآداب بجامعة فؤاد وهى مطبوعة سنة ١٩٣٥

صورة النقش الذى عثر عليه المرحوم حسن افندى الهوارى

[منقولة عن كتاب أصل الخط العربي للاستاذ خليل يحيي نامق]

وهذه قراءته مفصولا بين كل سطر وما بعده بخط :

بسم الله الرحمن الرحيم هـذا القبر — لعبد الرحمن بك جبير (أو جبر ، أو جبار ، أو خير) الحجازى (أو الحجرى) اللهم اغفر له — وأدخله فى رحمة منك وآتنا معه — استغفر له إذا قرأ (ت) هـذا الكتب (الكتاب) — وقل آمين وكتب هـذا ا — لكتب (الكتاب) فى حمـدى (جمادى) الأ — خر من سنت (سنة) إحدى و — ثلثين (ثلاثين) .

(انظر هامش صفحة ص ٢١ قبل)

الخامس

١ — يقولون كيف تريد أن ترسم القرآن ؟ وكيف تخالف الدين بمخالفتك إجماع المسلمين ؟ بل إن أحدهم أرسل لى صورة برقية بعث بها لجلالة الملك يطلب إليه حماية الدين من هذا الشر المبين .

٢ — أما كيف أريد أن أرسم القرآن ، فإنك لا شك علمت أن أسعد يوم فى حياتى هو اليوم الذى أرى فيه كتاب الله مرسوماً رسماً يضبط بذاته كيفية أداء كلماته بلسان العالم والجاهل والمسلم وغير المسلم والعربىّ والأعجمىّ ، أداءً صحيحاً لا يحتمل لحناً ولا تصحيفاً . علمتَ هذا وعلمتَ أن الحروف اللاتينية بما فيها من حروف الحركات وما يضاف إليها من حروفنا العربية ذات النغمات التى لا تؤديها الحروف اللاتينية هى وحدها إلى الآن ، فى رأيى ، التى توصل إلى تحقيق هذه الأمنية . وإذ كان أول ما يهمنى هو المحافظة على سلامة أداء القرآن فرأيى بالبداهة إنما هو رسم القرآن بهذه الحروف اللاتينية وما أضيف إليها من العربية . وإنى أعالنك بهذا مطمئن الضمير مراقباً الله وحده فيما أقول وما أعالن به .

٣ — يهبُّ الهبابون صائحين قائلين إن هذا حرام لمخالفته إجماع المسلمين الذين تواضعوا من عهد النبى الكريم على رسم القرآن بالحروف العربية . وأقل ما يجاب به هؤلاء الهبابون أن المسلمين فى عهد عبد الملك قد خرقوا إجماع من قبلهم إلى عهد النبي ، فوضعوا النقطات التى لم تكن فى صحف النبى ولا فى مصاحف عثمان بن عفان . ثم خرقوه بعد عبد الملك بن مروان فوضعوا الشكل بطريقة ثم بأخرى . ولست أعترض عليهم فى خرق الإجماع ثلاث مرات ، فإنهم إنما أرادوا الإصلاح ما استطاعوا . والإجماع الفاسد لا حجة فيه على أحد من المسلمين . وأنا أيضاً أريد الإصلاح ما أستطيع فأبدل الحروف اللاتينية من الحروف العربية

وأ كفى المسلمين سوء رسم العربية الذى يشكو منه الناس أجمعون ، والذى قال عنه الجارم بك ، ما موجزه : « إن هذا الرسم أصبح فناً من الفنون بل لغزاً من الألغاز ، وإنك إن لم تكن لغويًا نحويًا صرفيًا معاً لما كنت قارئاً ولا شبه قارئ ، وإن الشكل لا يقى من اللحن والخطأ ، وإنه جرب فى المدارس أن الطالب المثقف لا يستطيع قراءة القرآن مع أنه مشكول على أدق ما يكون » .

وإذا كانت الحروف العربية وثنية منقولة مباشرة عن الوثنيين فإن اللاتينية إنما أنقلها الآن عن النصارى وهم أهل كتاب أقرب من الوثنيين إلينا نحن المسلمين. بل إن المتفق عليه أن حروف الكتابة عند جميع أمم أوربا مأخوذة عن اليونانيين الذين أخذوا حروفهم عن الفنيقيين،وأن جميع الكتابات السامية والآرامية وفروعها التى منها العربى النبطى أصلها أيضاً مأخوذة عن الفنيقيين ، فاتخاذ الحروف اللاتينية لرسم العربية ليس فيه إلا مجرد استرداد لعاريتنا نحن الشرقيين بعد أن هذبها العقل اليونانى وأشاعها فى بلاد أوربا .

٤ — على أن الاعتراض بمسألة « الإجماع » هو تكأة العاجزين . وهم أناس مقلدون غلف العقول ، إذا صرعهم الحق لملموا أشلاءهم وهرولوا لاجئين إلى قدس الدين ، بل إلى لفظ الدين ، يرمون عن قوسه ، ويتخذونه مجناً يتقون به ما يلحق من طعنات مصميات ، والدين فى قداسته ، كما يعرف رجاله المحترمون، لا شأن له برسم كتابة العربية ، وحروف لفظ الدين (الف . لام . دال . ياء . نون) أوهى من أن يكون لها أى أثر فى هذا السبيل . لكنهم فى كل حركة وسكنة هكذا يفعلون ، ترهيباً للبسطاء وإيهاماً وخداعاً باسم الدين ، والله يشهد إنهم لكاذبون .

٥ — اعلم أن الدليلين ، أى المصدرين الأساسيين الوحيدين فى الشرع الإسلامى ، هما كتاب الله والصحيح من سنة نبيه الكريم لا غير . وأن هذين

المصدرين لما لم يكونا شاملين بالتفصيل لكل أحكام العبادات ولكل الأحكام الأخرى التى تطبق عند طروء ما يطرأ على المسلمين من الأحداث ، وما يقوم بينهم من أقضية المعاملات ، فقد اضطر المسلمون أن يرجعوا إلى الكتاب وصحيح السنة كيما يستنبطوا منهما تفصيل الأحكام فى تلك الشؤون . ولما كانت الحوادث دائمة التقلب والتجدد وكان معظم تقريرات ذينك المصدرين وارداً فى حوادث وأقضية بخصوصها ، اضطر المسلمون أن يقيسوا الحوادث والأقضية بأشباهها ونظائرها مما تناوله الكتاب والسنة ، وأن يطبقوا عليها ما قرراه من الأحكام فى تلك النظائر والأشباه . ومن أجل هذا جعلوا القياس من المصادر المعتبرة فى الشريعة . وهذا أمر تدعو إليه الضرورة وتأمر به البداهة العقلية تحقيقاً لمصلحة الاجتماع . ثم نظروا فوجدوا أن أحوالا قائمة أو تقوم فى الناس — وعلى الأخص فيما فتحه المسلمون من الأمصار — من عادات فى آداب السلوك ، وفى كيفية تناول وسائل الحياة والاستمتاع بها ، ومن اصطلاحات ومواضعات وعرف فى المعاملات ، لم يأمر بها كتاب ولا سنة ، ولم يمنع منها كتاب ولا سنة ، فأوجبوا بقاء تلك الأحوال — ما هو قائم منها وما يقوم — على ما هى عليه ، واعتبارها أصلا يُصار إليه إذا حدث بسبب حال منها نزاع . وسمّوا علة هذا الاعتبار « الإجماع » وجعلوه من أدلة التشريع الإسلامى ومصادره . وكان هذا الجعل أمراً لازماً تدعو إليه أيضاً ضرورات الاجتماع . لكن هذا « الإجماع » الذى عبر العلماء عن قوته بكليات من القول المحكم الوجيز ، كقاعدة « العادة مُحكّمة » وقاعدة « المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً » وقاعدة « القديم على قدمه » — هذا الإجماع لا يجوز ألبتة أن يعطل مصلحة من مصالح المسلمين . بل إنه إذا كشفت ظروف الأحوال عن ضرره بالمجموع وكان فى اطّراحه والاستبدال به خير للمسلمين ، فإن واجب الحاكم الشرعى أن يأمر باطراحه والاستعاضة عنه من الأنظمة والأحكام بما يحقق مصلحة

الاجماع . وإلى هـذا الواجب أشاروا أيضاً بقواعـد منها « الضرورات تبيح المحظورات » . و « درء المفاسد أولى من جلب المصالح » . و« الضرر يزال » .

هذا هو مركز « الإجماع » الذى يقولون عنه عند المسلمين . وإذ كانت طريقتى فى رسم العربيـة ورسم القرآن الكريم تزيل الضرر وتحقق مصلحة المسلمين تمام التحقيق ، فأعفنى من زيادة الكلام فى وهانة هذا الاعتراض .

٦ — على أن العربية ستبقى بفضل الله دائماً هى العربية ، فإذا كان بعض رجال الدين المحترمين يجدون — كما قد يلوح لى — على أنفسهم غضاضة مّا أو مشقة مّا من ترك القديم ، فليبق لهم رسم القرآن وصحيح الحديث على ما هو عليه الآن ، كما قلت فى بعض المواقف ، وليُكتبا لجماهير الناس بالرسم الجديد . بهذه المثابة يبقى القرآن وصحيح الحـديث مقروأين قراءة صحيحة من جميع الناس ، محفوظين عند جميع الناس . وإن لدينا الآن بالمعاهد الدينية كثيراً من العلمـاء وآلافاً من الطلبة ، وهؤلاء إذا بقي لهم رسم العربية كما هو ، واستمروا فى قراءة كتبهم برسمها الحاضر ، فإنهم سيكونون أيضاً فى طليعة قراء العربية بالرسم الجديد ، إذ يكفيهم معرفة حروف الهجاء الجـديدة وحروف الحركات الثلاث حتى يستطيعوا القراءة بلا أدنى عناء . وإذا قدر لمشروعى النجاح ، وهو ما أعتقد أن سيكون عاجلا أو آجلا ، فلعل لنا فائدة فى بقاء حضراتهم على استعمال الرسم الحاضر ، هى أن يؤدوا لنا فى المستقبل عمل المستشرقين ، ويحلوا لنا رموز ما لم يطبع بالرسم الجـديد من قديم الكتب والمؤلفات . بل لعل ما نحن فيـه يكون فرصة ساقها الله لحضرات علمائنا الأجلاء وهو ينظر إليهم هل يهتبلونها فيشمروا عن ساعد الجد لتنقية كتب الحديث الشريف ممـا وضعه ودسه علينا الزنادقة والخوارج والقصاصون والسذج من الصالحين وهواة الإسرائيليات والمتزلفون لذوى السلطان ، وذلك حتى لا يكتب بالرسم الجديد وينشر للجاهير من الأحاديث إلا ما صحته لا شك فيها ولا ارتياب ؟

لعلها تكون فرصة هيأتها يد القدر ، فهل هم منتهزوها ففاعلون ، كيما ينالوا ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ، وهو ثواب ضمنه الله للعاملين المحسنين ؟

السادس

١ — كتب بعضهم يقول : إذا اتخذت الحروف اللاتينية لكتابة العربية وبقى القرآن والحديث بالحروف العربية فمن يقرؤهما فى المستقبل ؟ ألا تكون الكتابة العربية حينئذ بمنزلة الكتابات التى اندرست كالقبطية القديمة (هو يعنى كتابة قدماء المصريين) وغيرها ؟ .

٢ — كلا ياسيدى . ها أنت ذا ترى فيما أسلفت مايطمئنك على بقاء القرآن والحديث مكتوبين بالرسم الحالى ، فلن يندرس هذا الرسم بل سيكون له دائماً من رجال الدين وطلبة المعاهد الدينية من يقرأونه ويحافظون عليه .

٣ — على أنه لا يغيب عن سيدى أن اختراع الطباعة والفوتوغرافيا والفونوجراف كدّس فى عدد عظيم من دور الكتب بمشارق الأرض ومغاربها أكداساً من الكتب العربية قديمها وحديثها ، مطبوعها ومصورها ، كما كدّس أقراصاً تشخص جرْس ما للحروف العربيـة من النغمات . وليس تكديس ذلك فى البلاد الأجنبية لهواً من أهلها ولعباً ، بل إن هناك من العلماء من يعكفون على قراءتها للوقوف على ما بها ، لا لاستفادة فلسفة أو علم أو فن أو أدب هم فى حاجة إليه ، بل للوقوف على تاريخ الفلسفة والعلوم والفنون والآداب ومراحلها التى تكون قطعتها من قبل فى بلاد العربية ، ثم للوقوف على كيفية النطق بالعربية الفصيحة ، بل وعلى كيفية النطق بلهجاتها العاميـة فى مختلف البيئات . فإذا كان هؤلاء العلماء المستشرقون يقرأون هذا الرسم ويحددون جرس العربية وهى غير لغتهم ، كما قرأوا من قبل لغة قدماء المصريين البائدة وإن لم يصلوا

لتحديد جرسها لانقراض الناطقين بها ، أفتظن أننا نعدم ، واللغة لغتنا ، أن يقوم من بيننا الكثيرون يعملون عمل المستشرقين ، حتى لو فرضنا أن المعاهد الدينية عندنا لا تحافظ على الرسم القديم ؟ إنك يا سيدى جِدُّ متشائم . ولكنك تخلق لنفسك هذا التشاؤم بالصناعة لتخلق الاستشكال . أما أنا فجد متفائل . وكلٌّ يعمل على شاكلته وربك أعلم بأينا هو الأقرب للعربية رُحماً ، وأينا هو الأهدى إليها سبيلا . ولو كان فى علم الله تعالى أن تشاؤمك حق وأن تفاؤلى وحسن ظنى بقومنا باطل لوجب أن أوارى أنا وكل قومنا انحطاطنا عن أعين الناس وأن ندفن رؤوسنا فى الطين .

السابع

١ — يقولون إن رسم الحروف من مشخصات القوميـــة ، فكيف نعدم هذا المشخص ؟

٢ — وهذا اعتراض غريب . الحق الذى لا ريب فيه أن مشخصات كل أمة ، فى يوم الناس هذا ، اثنان لا ثالث لهما : وحدة الوطن الإقليمية والسياسية ووحدة اللغة . أما وحدة رسم الكتابة فلا يقول أحد إنها من مشخصات الأمم ، لا هى ولا وحدة الزى ، كلا ولا وحدة الدين . إن الفرنسيين والإنجليز والأمريكان والطليان والأسبان والبلج وغيرهم ، كلهم يتخذون حروفاً واحدة لرسم كتابتهم ، وكلهم يتخذون زيًّا واحداً للباسهم من الرؤوس إلى الأقدام ، وكلهم نصارى على دين المسيح . ولم يقل أحد إنهم جميعاً أولو قومية واحدة أو إنهم جميعاً أمة واحدة يشخصها الزى أو رسم الكتابة أو تشخصها وحدة الدين . وكذلك الإيرانيون والجاويون لا يقول أحد الآن إنهم هم والعرب أمة واحدة لمجرد أنهم يشتركون معهم فى رسم الكتابة وأنهم كسواد العرب يدينون بالإسلام . بل إن كلا من تلك الأمم إنما يشخصها استقلالها سياسياً بأرض وطنها ثم وحدة لغتها فحسب . وها أنت ذا

ترى الحرب قائمة على قدم وساق بين أمم كلهم مسيحيون ومتشابهون فى رسم الكتابة وفى الأزياء . فلا تسمع لكلام المهوشين الذين يوهمونك بالباطل لمصلحة مزاعمهم التى يناقضها الواقع المحسوس فى كل بلاد الله .

الثامن

١ — من أطرف الاعتراضات أن أحدهم أرسل لى بالبريد تذكرة مفتوحة يقول فيها ما حاصله ، بما يقرب من لغته ويبرز فكرته : (أما كفانا أن الساعة بعد ما كانت بالعربى عملوها بالأفرنجى ، وأن الأشهر بعد ما كانت بالعربى عملوها بالأفرنجى ، ولم يبق لنا إلا الكتابة بالعربى ، فحتى هذه البقية الباقية تريد أن تفرنجها ؟ ياشيخ فُضَّكْ من التخريف) .

٢ — قد تسخر من هذا الرجل وتقول إنه عامىّ ساذج أو إنه من قبيل أولاد النكتة من المصريين الذين قال أحدهم تنادراً باقتراحى : (بقى خرجنا من الفرعونية وقعنا فى اللاتينية) ، وقال آخر ، عند ما بلغه قولى إن اقتراحى من مزاياه أن يعم العربيـة : (هو لا يعممها بل يبرنطها) — لا تسخر من مرسل تلك التذكرة المفتوحة ، فإنى أراه خيراً من جميع المعترضين . ذلك بأن الساعات إذ اتُّخِذت ابتداء من الزوال وساعته كانت تبتدئ من الغروب ، فقد اختلط عليه حساب أذان المغرب ، ثم معرفة باقى أوقات الصلاة ، ومدفع الزوال لا يفيده علماً بها . وإذ كان هو فراشاً أو ساعياً أو كاتباً صغيراً فى مصلحة يصرف له راتبه بحساب الشهر الإفرنجي ، فكثيراً ما يفاجئه أهل منزله بطلعة رجب ، وليلة نصف شعبان، وليلة عاشوراء ، ممايقتضى نفقات يسهو المسكين عن الاحتياط لها أول الشهر يوم « القبضيّة » . وفى ذلك حرج عليه . وإذا تغيرت الحروف العربية كان تغيرها عليه مصيبة ثالثة ، لأنه لا يستطيع أن يقرأ حساب الخباز والخضرى والجزار . أقل

ما فى اعتراض الرجل أن له أسباباً يبينها ليدفع عن نفسه بلوى الحروف اللاتينية . ولكن ما ظنك بمن يعترضون لوجه الشيطان ، ويخيلون إليك مع هذا أنهم باعتراضهم إنما يبتغون وجه الله والمحافظة على دين الإسلام ؟

التاسع

١ — يقولون إن رسم الكتابة العربية مستعمل لكتابة لغات إيران والهند والملايو (جاوه وسومطره وغيرهما) ، فكلها تابعة للعرب فى هذا الشأن ، وإن المسلمين هناك ، وعددهم لايحصى ، يكتبون ويقرأون القرآن والحديث بهذا الرسم العربى . فكيف تريد حرمانهم من هذه المزية وحرمان العرب من هذا الشرف الكبير ؟

٢ — سبحان الله ! لئن كانت لغات تلك البلاد مبتلاة بمثل ما العربية مبتلاة به فى حركات كلماتها ، فالأخلق بالمعترض أن يقلب سؤاله فيقول : كيف أن العرب ، وهم إخوان أهل تلك البلاد فى الدين ، قد رزأوهم بمصيبة الرسم العربىّ السخيف ووضعوا غلّه فى عنق لغاتهم وجعلوهم عليهم بلسان الحال من الساخطين ؟

٣ — حقاً إن أهل تلك البلاد يكتبون لغتهم بالرسم العربى ويكتبون به القرآن ، ولكن هل تظن أن عامتهم أو خاصتهم يفهمون شيئاً من القرآن ؟ كلا بل يلوح لى أنه إذا وجد فيهم من يتعلم العربية ويكتبها ويقرؤها ، فكما يوجد من المستشرقين من يتعلمها لا أكثر ، وإذا طبعت هناك كتب عربية فكما تطبع فى أكسفورد وليدن وليبزج لا أكثر .

قدم لى أحد من عادوا من حج هذا العام كتيباً مطبوعاً سنة ١٩٣٣ فى مدينة لاهور بالبنغال ، به بعض سور من القرآن وبعض أدعية مكتوبة بالرسم العربىّ . ولكن كل سطر منها تحته ترجمته بلغة تلك البلاد . مما يدل أولا على أن القرآن

مترجم من العربيــة إلى لغة هؤلاء المسلمين من عهد بعيد ، وثانياً على أنهم إنما ينطقون بكلمات القرآن كما تنطق الببغاء بدون أن يدركوا لهـا معنى إلا ما تؤديه لهم الترجمة المكتوبة تحتها . ومن ناحية أخرى إذا تأملت فى مقدمة هذا الـكتيب ، وفى طريقة إشارته إلى بعض سور القرآن ، ثم فى طريقة كتابته للقرآن نفسه ، لعلمت أولا أنهم فى لغتهم يحرفون أسماء السور فيقولون : (سورة فتح . رحمان . واقعة . مُلك . مزمل . نبأ . إخلاص) بحذف أل التعريفية . وثانياً أنهم يكتبون هيكل كلمات القرآن على أصله النبطىّ القديم ، فيكتبون الـكلمات الآتية من سورة الرحمن هكذا : (ينتصرن . يكذبن . جنتن . عينن . تجرين . زوجن . قاصرت . مدهامتن . عينن . نضاختن . ذى الجلل) بحـذف حرف الألف من موضعها فى كل من هذه الـكلمات والاكتفاء بألف صغيرة فوق الحرف الممدود . وفى هذا دلالة حسّية على أن واضعى رسم المصاحف المتداولة بيننا الآن ، إذ وضعوا الألفات مواضعها فى كل تلك الـكلمات فقد خالفوا رسم الهنود المطابق هيكله للرسم العربىّ الأصلىّ ، وأنهم هم والهنود كانوا من قبل خرقوا الإجماع أيضاً بوضع الألف الصغيرة فوق الحرف الممدود ، مما لم يكن له سابقة فى مصاحف عثمان بن عفان . ومن هذه الناحية ترى أن الإجماع على أصل الرسم الذى لم تـكن فيه ألف ولا إشارة لألف قد خرقه المسلمون ، مرة أولى ، بإشارة الألف ، أى تلك الألف الصغيرة التى بقى الهنود ملازمين لهـا ، ومرة ثانية ، فى بلاد العربية التى وضعت فى مصاحفها حرف الألف داخل هيكل الـكلمات ، مستبقية أيضاً تلك الألف الصغيرة فوق الحرف الممدود ، فى بعض الـكلمات ، وغير مستبقية لهـا فى البعض الآخر . مما يزيدك علماً بأن رسم المصحف لا قدسية له ولا يحتج فيه بأى إجماع .

٤ — أما كون اتخاذ الحروف اللاتينية يحرم العرب هذا الشرف العظيم فقابُ حال كذلك ، لأن من يرمى الناس بداهية لا يحوز لنفسه بفعلته شرفاً بحال .

العاشر

١ — يقولون إن تحسين حال العربيــة لا يكون من طريق تيسير رسم كتابتها وإنما يكون من طريق تقريب أصولها وقواعدها ، لأن الاتجاه لتيسير الرسم معناه نقل العبء من القارئ إلى الكاتب . وبيان هذا : أن القارئ إذا تيسر الرسم فهو ينطق بما يقع عليه بصره نطقاً مضبوطاً فى ذاته مطابقاً للرسم . وقد تكون العبارة التى يقرؤها غير مضبوطة فى ذاتها بحسب أصول اللغة وقواعدها ، فيعتاد القارئ قراءة ما هو غير مضبوط عربيةً من العبارات التى قد تسجَّل بالطباعة فيستديم ضررها . وأن هذا الضرر لا يمتنع إلا إذا أوجبنا على الكاتب أن يتعلم أصول اللغة وقواعدها ، حتى لا يكتب إلا صحيحاً ، وحتى لا يقرأ الناس إلا الصحيح . وبهذا يؤول تيسير الكتابة إلى نقل العبء من القارئ إلى الكاتب .

٢ — مهما يكن بيانى لهـذا الاعتراض معقداً فإنه على كل حال اعتراض خارج عن الموضوع . وما أشبهنا ، إزاءه ، بالباحثين عن طرفى الحلقة المفرغة تقوم الساعة علينا قبل أن نهتدى إلى المطلوب ! إن مسألة البحث فى أصول اللغة وتيسير قواعد نحوها وصرفها ، تلك التى يقول المعترضون إنها هى العلاج الشافى لأدواء العربية ، هى مسألة أخرى قائمة بذاتها ، وهى مطروحة فعلا على المجمع اللغوىّ ، يرُود مداخلها ومخارجها ويحاول ما وسعت قدرته تمهيد ما يقبل منها التمهيد . أما ما نحن بسبيله الآن فهو مسألة تيسير رسم الكتابة العربية . وعلة البحث فيها استقلالا هى ما لاحظه الناضل من محبى العربية والمنضول ، والفاضل والمفضول ، والرائحون والغادون ، والقدماء والمحدثون ، وطوب الأرض ونجوم السماء ، من أن خليل مطران والجارم والعقاد والأسمر وهيكل وطه حسين وأحمد أمين وأحمد حسن الزيات والمازنى ونظراءهم من الشعراء والأدباء ، وإلى جانبهم أساتذة

العربية بالمدارس ، وأنطون الجميل وفكرى أباظه وزكى عبد القادر والشناوى والسوادى ورصفاؤهم من رجال الصحف والمجلات ، أولاء جميعاً يجهدون و يكدون ويخرجون لنا من قصائد الشعر وكتب الأدب وكتب التعليم والمقالات المختلفة فى السياسة والاجتماع ، ما كله محرر على أدق مايكون من المطابقة لأصول العربية وقواعد نحوها وصرفها ، وما كله مرسوم على خير مايكون رسم الكتابة العربىّ الحالىّ . ومع هذا فإن قراء تلك الأشعار والكتب والمقالات لايستطيعون قراءتها على الوجه الذى أراده واضعوها المتمكنون فى اللغة وقواعدها . بل هم يخطئون فى قراءتها خطأ شنيعاً يخرج بالعبارات عن أصل معناها المراد . وذلك لأن رسم الكتابة فى ذاته قابل — بسبب عدم وجود حروف الحركات أو « الشكل » الذى أفلس — لأن يُنطق به ، رغم أنف أولئك الكاتبين الفحول ، على جملة وجوه منها الصحيح وأكثرها خاطئ معيب . ومن أجل هذا مست الضرورة ، قديماً وحديثاً ، لبحث هذا الرسم ذاته . وكل الكلام الآن دائر عليه دون سواه ، بقصد معالجته وجعله متمحّضاً لوجه واحد من الأداء . بحيث إذا رسمه الشعراء والأدباء والكتاب المذكورون وغير المذكورين ، من أساطين العربية المعصومة أقلامهم من الأغلاط — على صورة يتعمدونها ولا يريدون سواها ، قرأه القارئ حتما جزما كما أرادوا . وإذن فما محل هذا الاعتراض ؟ وما معنى تسجيل الأغلاط واستدامة الأغلاط ؟ .

لنفرض ، هنيهة ، أننا جارينا حضرات المعارضين ، فأخرسنا ألسنتنا عن الجهر بالشكوى من سوء رسم العربية وأمسكنا عن البحث فى أمر إصلاحه وصرفنا كل همنا فى مسألة تسهيل أصول اللغة وتبسيط قواعد نحوها وصرفها ، ثم لنفرض أيضاً المستحيل ، نفرض أن هذا الاتجاه لم يُبقِ أحداً من الناس إلا وقد رفعه إلى صف من ذكرنا من كبار الشعراء والكتاب ، أفلا يرى المعارضون أن سوء الأداء وكثرة التصحيفات وشنيع الأغلاط لن تنقطع ما دام رسم الكتابة

باقياً كما هو ، وأن الضرورة ستلجئنا إلى ما نحن فيه من الصراخ والمطالبة بالبحث فيما نبحث فيه الآن من إصلاحه ؟ أفلا يرون حقاً أننا بمثل هذا الإعتراض نضيع الوقت فى اللف والدوران والبحث عن طرفى الحلقة واغلين فى البعد عن محجة السداد ؟ .

٣ — تعمدت الإسهاب فى الرد مجاملة لحضرات المعترضين . وإلا فإنهم لو كانوا من أعضاء المجمع اللغوىّ لعرفوا أن اعتراضهم وردّى هذا المسهب كلاهما عبث لا خير فيه . إن لائحة المجمع تجبّهما . نصها صريح فى أن عليه البحث فى تيسير رسم الكتابة العربية . ووزير المعارف عهد إليه بهذه المهمة بقرار منه خاص ، وهو مكلف نظاميا بتنفيذ قرارات الوزير . ومورد النص لا مساغ للاجتهاد فيه .

الحادى عشر

١ — يقولون كيف تستعمل حروف الحركات وهى فى اللغات الأجنبية متعددة ومتعددة الاتجاهات فى النطق ، وبعضها ، مع أنه هو هو ، قد يحرك الحرف حركتين مختلفتين ؟ .

٢ — ومن يقرأ ، فى اقتراحى ، مسألة الحركات العربية والحروف الثلاثة المختارة لها (فقرة ٤١ إلى ٤٣) ، يجد أن هذا الاعتراض مستحيل وروده عليه .

الثانى عشر

١ — يقولون إن فى اللغات الأجنبية أفعالا شاذة وفى رسمها حروفاً صامتة لا ينطق بها . فالإنجليزية ، مثلا ، فيها جملة من تلك الأفعال الشاذة ، وفى كثير من كلماتها حروف مثل gh لا ينطق بها ، ولم يتأذ الإنجليز برسم لغتهم ولا بما فيها من الشذوذ فى تصريف الأفعال .

٢ — وهذا كلام لايصح بحال أن يقال . فإن الأفعال الشاذة فى الإنجليزية والكلمات التى فيها حروف لا ينطق بها مثل gh فى كلمة night وما أشبهها أو ينطق بها كنغمة f كما فى كلمة rough وغيرها ، إذا أحصيتها جميعاً وجدتها قد لا تتجاوز أربعمائة فعل وكلمة أو خمسمائة مع المبالغة فى التقدير . وكل الطلبة المصريين — دع أهلها الإنجليز — يعرفونها ولا يخطئون فى نطق رسمها . لكن تعال إلى العربية . إن فيها كما يقولون نحو (٨٠٠٠٠) ثمانين ألف أصل بخلاف المشتق مما يمكن منه الاشتقاق . فإذا جعلنا لكل من هذه الأصول خمسة مشتقات فى المتوسط أو أربعة أو حتى ثلاثة فقط ، لحصل عندنا (٢٤٠٠٠٠) مائتان وأربعون ألف كلمة ، كلها مركبة من أصوات جوهرية لا تُعرف حركات حروفها بذات رسمها . ولشتّان ما بين خمسمائة كلمة فى الإنجليزية و بين هذه الآلاف المؤلفة فى العربية ! فأية قيمة إذن لمثل هذا الاعتراض ؟ .

الثالث عشر

١ — يقولون إن الكتابة العربية اختزالية فهى اقتصادية ، إذ الصحيفة الواحدة منها إذا كتبت بالحروف اللاتينية ملأت كلماتها صحيفتين أو ثلاثاً . بل قد سمعت نقلا عن أحد كبار الأذكياء أنه قال إن بعض الفرنسيين حاول الانتفاع بمثل هذه الميزة الاختزالية فوجد أن عبارة Hélène a eu des bébés (هيلانة رزقت أطفالا) يمكن كتابتها هكذا : (hlnaudbb)

٢ — فأما فكرة الاختزال والاقتصاد فمردود عليها فى بيانى (فقرة ٢٣) . وأما عبارة « هيلانة » فمن الأحاجى التى كثيراً ما ينشر مثلها فى الصحف الإفرنجية لتسلية الناس . ولا شك عندى أن حاكيها أراد بها الإشارة إلى أن رسم لغتنا كرسم تلك الأحاجى المعمّيات ، وهو فى إشارته من الصادقين . ويخيل إلىّ أنه

من الحذاق المتصونين الذين يربأون بأنفسهم عن زيادة التصريح وما تسحبه زيادة التصريح على صاحبها من ألسنة حداد . لكننا نحن عن إشارته ساهون .

الرابع عشر

١ — يقولون إن الفتحة كثيرة فى الألفاظ العربية ، وإن حروف المد ، الواو والألف والياء ، يجذب الحرف منها ماقبله فيحركه بحركة تناسبه ، فلا يبقى من بعد فى الكلمات سوى الضم والكسر والتشديد والتنوين والسكون ، وإن أقل الأقدار من الشكلات يكفى للدلالة على هذا متى خيف اللبس . بل إن للعربية فى تصاريفها صيغاً قياسية معروفة اعتادها الناس ، فهم ينطقون بها نطقاً صحيحاً مشكولة كانت أو غير مشكولة . ثم يقولون بناء على هذا كله إنه لا لزوم لا لإيصال الشكلات بالحروف ولا لتغيير الحروف ذاتها بحروف لاتينية توضع فى غضونها حروف الحركات .

٢ — لكن القائلين بهذا يسهون سهواً تاما عن أن هـذه الطريقة لا تفيد البادئين فى التعليم ولا أنصاف المتعلمين ولا الأجانب عن العربية بل ولا المتعلمين تمام التعليم من أهل العربية أنفسهم . إنها تقتضى أن يكون القارئ عارفاً من قبل بمفردات اللغة وبعلمى الصرف والنحو . ألم يقل الجارم بك : « إنك إن لم تكن لغوياً نحوياً صرفياً معاً لعجزت عن أن تكون قارئاً أو شبه قارئ » ؟ أو لم يقل : «إن الشاب المثقف يخطئ فى قراءة المشكول خطأه فى غير المشكول ، وإنه يخطئ فى قراءة القرآن مع كونه مشكولا على أدق ما يكون الشكل » ؟ وإذن فهذا الاعتراض ، أو بالأحرى هذا المذهب ، غير موصل للغرض الذى نسعى إليه .

الخامس عشر

١ — وردنى بالبريد عدد من جريدة لم أتشرف من قبل بمعرفتها ، لسبب بسيط خاص بى ، هو أنى غير مغرم بقراءة الجرائد ، وبحسبى جريدة واحدة أقرأ

فيها ، لا كل الأخبار ، بل بعض المفيد من الأخبار . ولسببين آخرين خاصين بها هي، أولهما أني لما فضضت غلافها قرأت أنها جريدة أسبوعية ، ولكني وجدت تاريخها ربيع الآخر سنة ١٣٦٣ بلا تعيين يوم من الشهر ولا أسبوع ، فأدركت أنها من الجرائد التي تظهر مرة وتختفي أخرى بحسب التساهيل ، وثانيهما ما قرأت فيها من أنها جريدة دينية إسلامية ، وأنا مكتف بما يسر الله لي من ديني ، وموقن بأن لا مزيد عليه عند كائن من كان من المسلمين . وهو سبب يصرفني عن إضاعة درهم واحد في شراء مثلها حتى لو كانت غير مغمورة بل كانت ذائعة بين المصريين وغير المصريين .

٢ — قرأت في تلك الجريدة مقالا أشار اليه مرسلها ، فسررت سروراً بالغاً لعثوري على إنسان يكتب العربية نقية سليمة من كل عيب ، مهما يكن الاسم المجهول الموضوع في ذيل المقال دالا على الذات الكاتبة أو يكن لفظاً مستعاراً من أحد المسخَّرين . وليس يرين على سروري ما رأيت في المقال من بعض العبارات النابية ، لأني أعرف أن لكل كاتب نبوات قد يندم على فروطها . كما لا يقلل من سروري أن صاحب الجريدة ، مع تفضله بإيصالها إلى منزلي ، توهم أني لن أقرأ ذلك المقال فكتب في الفهرس الذي على الغلاف ما يفيد أن المقال هو بحث في فوائد اقتراحي ، إغراء لي بقراءته . كأنه في سهوه وتكليف نفسه مشقة الاحتيال يريد أن يعلمني ما أعلمه من أن الحيل الشرعية جائزة في عرف بعض المسلمين ، وأنه لا مانع من أن يستعملها المسلم وعلى الأخص متى كان صاحب صحيفة دينية تائهاً في حب الله ، غارقاً في بحر الحقيقة مع أهل الباطن من الأقطاب الموكلين بتدبير أمور الكون . أليس مثله يوحى إليه في غيبوبته أن من واجبه ديانة أن يحتال على الناس حتى يبلغهم أن الأخلاق الدينية شيء وأنه وهو القطب الرباني المكلف بالتبليغ شيء آخر بعيد عنها بعد أهل النار من أهل الجنة ؟ أو ليس أنه يُقذف في

قلبه أن يقول للناس إن آية صدقه فى هذه الرسالة واضحة للصغير والكبير والأكمه والبصير ، هى أن الأخلاق معنى والقطب الرسول مادة ، وأنه شتان ما بين المعانى الذهنية وكتل الماديات المرئيات ؟ ولا يقلل أيضاً من سرورى أنه يطعن فى اقتراحى بكل ما وسعه ، فيقول إنه سِقْط مستحيل التنفيذ لأنه يضيع على الموجودين والمستقبلين الانتفاع بثقافة الماضين ، ويزيد أعباء الطابعين ، ويكلف من النفقات ما يخطئه عدّ العادّين وحساب الحاسبين . ولا يقلّل منه أنه يشيد بالرسم الحالى ويخلق من سخافته جلالا ، بل يذهب إلى حد الدعوى بأنه سيتحقق فيه تَنَبّؤ بعض المتكهنين من أنه سيكون خط كتابة كل العالمين ، إلى ما يزعم وما يوهم به من هذا القبيل . بل ولا ينقص سرورى أن تدينه نفخه فزين إليه أن يقول إنى استلهمت بعض اقتراحى من فيض مكارمه النورانية ، كأن للمغمور الذى يتجر بالدين فضلة علم أو أثارة فهم تسقط من بين أسنانه إلى أيدى اللاقطين . كل هذا لايذهب بسرورى من بلاغة المقال . لأنى ، من ناحية ، فاهم أنه لو لم يطعن ولم يسهب ورسالته دينية ، لأوهمته نفسه أو لتوهم قارئوه — إن كان له قارئ — أنه لم يؤدها على ما يرام . ولأنى ، من ناحية أخرى ، رأيت أن له غرضاً أساسيا يسعى إليه ، هو تسوىء كل القوانين الوضعية القائمة الآن فى البلاد ، والرجوع إلى ما بناه الفقهاء الأكرمون من صرح الشريعة الغراء . وهو غرض مهم فى ذاته ومن شأنه أن يدفع إلى الإشادة بما ترك الإمام الليث بن سعد وباقى السلف الصالح من الآثار ، كما يدفع إلى النعىّ على كل حادث يتوهم منه المساس بتلك المخلفات .

٣ — وأؤكد أيضا للقطب الربانى طابعِ المقال أن ما كتبوه له فدوّنه من أن «مَثلى فى قصور الأسباب التى عللت بها بعض نقط اقتراحى كمَثَل الزنجى يخرج من مجاهل إفريقية فيبدى رأيه فيما لا علم له به من شؤون المتحضرين»[1] ، ثم

(١) مشيراً بذلك إلى ماقلته فى مسألة « الشكل » وإفلاسه جاهلا قول الجازم بك فيه .

ما دونه أيضاً من أن « النتيجة النهائية للأخذ باقتراحى هى إضعاف الإسـلام »
— أؤكد للقطب أن كل هذا التورط فى التجريح لا يمنع سرورى بأسلوب مقاله الرشيق . بل إنه يزيد فيه بما يجعلنى أبتسم لسهوه عن أن الوعول لا تؤوب من نطح الصخرة إلا بكسر قرونها ، وأن جرح العجماء ، إن جرحت ، جُبار . ومن أجل هذا فإنى أحله من كل إثم يجول فى خاطره أنه ارتكبه بوصف أنه قطب مسلم يحرر أو يطبع صحيفة تدفع عن دين الإسلام وأخلاق الإسلام . بل أستغفر له الله بل أقول له استمر أنت ومن يكتب لك هنيئاً مريئاً غير داء مخامر .

٤ — ولكنى مع تحليله من إثم ما قال وما قد يقول مما يتعلق بى ، لا أملك التجاوز له عما تعـدى فيه إلى غيرى من كرام الناس تعديا كله صغار واستفال . من هم يا حضرة الطابع أولئك المشايعون الذين يعبثون بمحاضر الجلسات ؟ وإلام ترمى بموازنتك بين المتقدمين من أعضاء المجمع وبين المتأخرين ؟ وهل أتاك عن المتأخرين أنهم يغمطون فضل المتقدمين الأولين ؟ وماذا يقذى بصرك ويرمده من رجال القانون ومن الأطباء والمهندسين ؟ اربَعْ على ظَلْعك واشتغل ببضاعة أخرى فى تجارتك بالدين . واعلم أن كل هذا من جانبك تورط من أشنع التورطات وأن اسمه بالعربية الدس والفتنة والإيقاع . وهنا فقط أعلمك أن مقالك لا يستأهل إلا الإحراق . وما يهم أحداً أعربىٌّ هو أم أعجمىٌّ ، فاحفظه فى مخلاتك إن شئت وكله هنيئاً أو غير هنىء . فقد زهّدت فيه الناس . كلْه أنت وحدك ، فإن خضراء الدمن لا تُخطب ، والعسل فى محجمة الحجام يُعاف .

٥ — على أن آثام هذا الطابع لا تصرفنى عن واجبى ، بل هى تحفزنى إلى المضىّ قدُما فيه . إنى أريد أن أهمس فى أذنه ، أو بالأحرى فى أذن من كتب له المقال ، بملاحظتين بسيطتين خاصتين بالغرض الأساسىّ الذى يسعى إليه . وإن لم يُلق باله إليهما كان عمله عبثاً فى عبث ، وتجارته بالدين خساراً فى خسار .

الأولى — أن الدين لله . أما سياسة الإنسان فللإنسان . وما لله ثابت لا يتغير ، لأن الله حيّ قيوم أبديّ يستحيل عليه التغير . أما ما للإنسان فكالإنسان ، يتغير ويتبدل ويحول ويزول بفعل الزمان والمكان والأحداث . وإذا كان أحد لا يستطيع فى الإسلام أن يمس العقائد وفرائض العبادات ، فإن الحاكم فى الإسلام عليه ، بهذا القيد ، أن يسوس الناس عاملا على ما يحقق مصالحهم بحسب الزمان والمكان ومقتضيات الظروف والأحوال ، مؤسساً عمله على الحق ، حائطاً له بسياج من العدل الذى بدونه لا تنتظم أمور العباد . فهل يرى حضرة الطابع أو الكاتب فى القوانين الموجودة الآن ، من مدنية وتجارية وجنائية ومالية وإدارية ، ومن نظم للهيئات المكلفة بتطبيقها وللهيئات التشريعية العليا المختصة بسنها وإصدارها — هل يرى فى تلك النظم والقوانين ما يخالف شيئاً من عقائد المسلمين أو يعطل فرضاً من فروض الدين ؟ أو لا ينظر ويسمع هو ومن لف لفه ، إن كان لهم أعين يبصرون بها أو آذان يسمعون بها ، أن فى الدولة المصرية من تلك النظم هيئة اسمها وزارة الأوقاف قائمة بتعمير مساجد الله وإقامة شعائر الدين فى بيوت الله ؟ وهل يحسب أن فقهاءنا الأكرمين ، لو كان الله مد فى أجلهم إلى اليوم ، كانوا يأخذون فى سياستنا بغير الموجود الآن من القوانين التى تتطور بالاستمرار تبعاً لأحوال الناس بل وللظروف العالمية جمعاء ، وهى فى كل أدوار تطورها تحت ضمانة أهل الشورى والحل والعقد من نواب البلاد ومن فوق نواب البلاد ؟ إنى أقرأ ضميرك من بعيد . إنك لا تستطيع الجواب . لأنك إن أجبت سلباً كذبت على السلف الصالح علناً . وإن وافقتنى فوّت على نفسك غرضك من إصدار صحيفتك فأجهزت عليها وقبرتها وضاعت عليك تجارتك بالدين . غاية ما يحملك الوهم على اللجوء إليه لتدعى لنفسك شبهة فى مخالفتى ، تلك المخبثة التى نبه إليها قبلك كثير من رجالنا المحترمين . أقصى ما عندك أن تشير إلى بعض

المسائل الأخلاقية وأن تقول إنها مخالفة لآداب الدين . أنا معك إن كنت أنت منها بريئا . ولكن لبث قليلا ! إن قسيسى النصارى لما خرجوا عن حدود دينهم الذى هو فى أصله دين الله يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر — لما خرجوا وبطشوا بالعباد وعذبوهم باسم الدين وأحرقوا بعض العلماء باسم الدين ، لا لجريرة سوى أنهم شغلوا عقولهم فاهتدوا إلى بعض قوانين الله وسننه فى هذا الوجود — لما طغى القساوسة إلى هذا الحد ، ضجت منهم شعوبهم ، وما زالت تكافح حتى وصلت إلى الضرب على يدهم ؛ واستصدرت دساتير تقررت فيها حرية الرأى وحرية العقيدة وغيرهما من الحريات ، وذلك كيلا يكون للقساوسة ولا لغيرهم عليهم من سبيل . ولقد جاء الدستور المصرىّ مقراً تلك المبادئ الديموقراطية السليمة فيما قرر من الأحكام . لبث قليلا لأعلمك أن الحكومة المصرية تعمل ما فى وسعها للقضاء على كل ما يدور بخلدك من مسائل البغاء والميسر والخمور والإغراق فى نزوات السفور ، مما تعتده أنت مروجاً لتجارتك ، وتتمنى على الله فى سرك أن يديمه حتى لا تنهار حيطان متجرك فيخرس لسانك . ولكن ما وسيلة الحكومة لاجتثاث تلك المنكرات وعلى الأخص ما يرتكب منها فى الخفاء مما يعلم الله من هم المرتكبوها أأنا أم أنت أم غيرنا من محترفى الدين وغير المحترفين ؟ ما وسيلتها وفى البلد كثير من غير المسلمين من أجانب ومصريين ؟ أنت تدرك العوائق كما أدركها وفيها تلك الحريات التى قررها الدستور ، ولكنك تريد تأدية رسالتك ولو بالقول العقيم .

لامعدى لك ياسيدى فى كل ما همست به فى أذنك الآن عن إحدى اثنتين : إما أن تطلب أنت وأضرابك إلغاء الدستور وما قرره من الحريات ، وما وكله من أمور التشريع إلى نواب البلاد ، الذين إذا كانوا عارفين بأحوالها وما يلزم لها من القوانين ، فإن أغلبهم لم يدرسوا الشريعة الإسلامية لا كالسلف ولا كالخلف من الفقهاء ، بل فيهم كثير ممن لا يدينون بالإسلام — إما أن تطلب هذا فأقوم

فى وجهك أنا وغيرى من المصريين المسلمين وغير المسلمين، و إما أن تسكت وتقول ليس فى الإمكان خير من الكائن الآن . وأنصحك بأن هذا هو الأجدر بك و بأمثالك فى هذا القرن العشرين .

نسيت أن فى نفسك تكأة لك أخرى غير تلك المنكرات ، مسألة التعامل بالفوائد . ولكنى أرى صوتك فيها خافتاً ، إما لأنك تتعامل بها فعلا وأنك إذا استعطيت فمعطيك مسلم تقى ورعه من دَنّ ورعك ، لا يعطيك إلا سرّا . ثم هو يشفق دائماً عليك ، لأنكما أخوان فى الدين ، فلا يزيد عن خمس عشرة لكل مائة مما يناولك من القروض . وكلا كما من آخذ ومعط يتقى غضب الله بما يتقن من طرق الاحتيال عليه . إما لهذا خفوت صوتك و إما لأنك ، وأنت سيد الفهماء ، قد أدركت أن للمعاملات العالمية تياراً يموج بهذه المسألة وأضرابها ، وأنك إن لم تقصر ما تراه حكم الإسلام فيها على خاصة نفسك — إن شئت أن تتوب وأن تكون من المتحرجين — فإن أحداً لن يستمع إليك . ولو أن مصر لم تعمل بقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » بل طاشت فأخذت بما قد تأتى به أنت ومن يكتب لك من هذا القبيل ، لقاطعها العالم ، ولما استطاعت الاقتراض لشراء محاصيل أهاليها ولتحويل ديون الأجانب التى عليها ، ولأغلقت البنوك أبوابها ولانحطت الزراعة ووقفت الصناعة وتعطلت التجارة وانهدمت مصلحة الجمارك على رأس من فيها من الموظفين ، وكنت أنت ومصر معاً من الهالكين . ولعلك تحفظ قوله تعالى : « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » ، وتخاف هذا المآل . لكن من يدرى ؟ لعل رسالتك تضطرك إلى نبذ قول الله وراء ظهرك والمخاطرة بمصر وحكومة مصر و برلمان مصر وأن تنعق بهذا المحال لمجرد الإيهام بأنك تخدم الدين .

الثانية — حط من غلوائك ، وتعلم منى أننا الآن عيال على الأور بيين لا فى خصوص العلوم والفنون فحسب ، بل كذلك فى أمور التشريعات والقوانين .

وإن ثقل عليك قولى ، فسل رجال كلية الحقوق وكلية التجارة ، وأقلام قضايا الحكومة التى تجهز مشروعات القوانين ، وسل كل من بالمحاكم الأهلية والمختلطة من القضاة المصريين ، ومن يشتغل لديها من المحامين المصريين . سلهم يأتوك جميعاً بالخبر اليقين . ومن أجل هذا ، مضافاً إليه طريقتك العوجاء فى خدمة الدين ، يؤسفنى أنى ، حتى لو كنت قويا فى صحتى ، لن أجيب رغبتك فى الرجوع لسلفنا الصالح فى أمر القوانين .

إنك يا سيدى كما وقفت على أبواب المجمع اللغوى لاستراق السمع لابدّ أنك إذ أقصاك أهل العلم عن محلتهم قد وقفت لهم أيضاً على الأبواب ومن وراء الحجرات فالتقطت ذات مرة قولهم : « إن الحكم على الشىء فرع عن تصوره » . وإذا كنت — على ما أظن — لم تتصل ، أنت ولا من يكتب لك ، بقوانين الأوربيين ولم تدرس شيئاً من قوانين الأوربيين ، فهل ترى لنفسك حقا فى الموازنة بين عمل سلفنا الصالح وعمل الأوربيين ؟ لو سمحت لى بأن أدلك على الحق الواقع لما أحجمت عن إفادتك ، بل سماحك ليس فى العير عندى ولا فى النفير . اعلمْ مُعَلَّماً ، أن العقول التى كشفت لك عن عجائب الكهرباء وفجرت لجارك ينابيع النور فى كل زاوية من أركان بيته العامر ، وأغنته عن المسارج والقناديل وهمّ المسارج والقناديل ، وهيأت للناس التلغراف السلكي واللاسلكى ، وكشفت لك عن خواص الراديو فجعلتْ سمعك الضعيف يدرك ما يحدث بأقصى بقعة فى الكرة الأرضية من الأصوات — كما كشفت لك عن معجزات الطيران الذى طبق عليك وعلىّ وعلى جميع الناس أرجاء السماء — هذه العقول الجبارة لها أخ من أبويها يشتغل إلى جانبها بمسائل القانون ، ويسمو فى بيئته إلى ما يسمو إليه إخوته الآخرون . ولكنك لا تراه لأن نظرك قصير ، وكلما حاول أن يشخص ليراه ردعته عن التطفل على الناس وعن الاشتغال بما لا يعنيه ، لأنك متدين

غيبوبى ، باطنى ، إذا خرجت من قشرتك وتجسست فى غير حيك كشفت عن عجزك وسقطت إلى الحضيض . أرجو أن تحفظ هـذا الدرس الذى لن تجد غيرى من الصرحاء يقدمه لك مجاناً لوجه الله . أرجو أن تحفظه وأن تقول لنفسك كُفى عن التهويل .

٦ — ثم لتعلم ياسيدى أن ما أقول لك لا يمس أدنى مساس بقدر سلفنا الصالحين . إنى أعرف لهم فضلهم العظيم أكثر مما تعرف أنت وأضرابك . وأعرف أن العقل الإنسانى لم يرق فى أية بيئة إلا على سنة التدرج وباستفادة اللاحقين من عمل السابقين .

ارجع إلى عمـل الصالحين السابقين يُفْدك فى العبادات والمعتقدات لأنها لا تتغير بمر السنين . أما أحوال الاجتماع وسياسة الاجتماع وقوانين الاجتماع ، فاتركنا أنت وغيرك نساير فيها أم الأرض ، مادام قوّامنا فيها — على كره منك — يحترمون الدين ولا يخلون بشيء من أمور الدين .

٧ — أنا وأنت مقتنعان بأن عملك وعمـل كثير من أضرابك دنيوى واه لا شأن له بالدين ، لأنى أفهم الدين ، ولأنك أنت ترى بعينى رأسك أن جهات التشريع عندنا تشتغل فى دائرة غير دائرة الدين .

لا تبتئس من الحق المر ! وإذا هاجك الحق فأصررت على الادعاء بأن لعملك قيمة أخرى غير الارتزاق من تجارة الدين ، واستمررت تزعم أن فيه خدمة للدين ، وأن لك به قصراً فى الجنة بجوار الصالحين ، فابتئس ما شئت وخادع أنت والكاتب لك ما مدّ الله لكما فى الغىّ ، وحسابى وحسابكما سنلاقيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه . ويومئذ سأسمعكما مصطرخين ترددان : « ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل » فأعرف أى المخلوقات أنتما . وعليك وعلى هـذا الكاتب لك السلام ، إن اتبعتما الهدى وسلكتما سبيل المؤمنين .

السادس عشر

١ — يقولون : إن رسم العربية الحالىّ له فائدة عظمى ، فإن إيجازه وتعقده يقتضيان إعمال الفكر فى استبانة الوجه الصحيح من أوجه أدائه . وفى إعمال الفكر ما يشحذ القريحة ويدرّبها على حل المشكلات .

٢ — أرأيت غفلة أشد من هذه ؟

إن اللغة وسيلة للتفاهم بين الناس ، والتفاهم وسيلة لإدراك المعلومات ، و إدراك المعلومات وسيلة لتكييف سلوك المرء فى الحياة أو للسير فى طريق كشف المجهول من حقائق هذا الوجود ، و كشف هذه الحقائق وسيلة لتسخيرها لمصلحة الإنسان. إذا علمت هذا أدركت أن اللغة أولى درجات سلّم الوسائل والغايات . وأنها دون ما فوقها وسيلة بحتة لا يقصدها عاقل لذاتها . ولو أنك تعلمت العربية أو الصينية وحبستها فى مخك لا تخاطب بها أحداً ولا يخاطبك بها أحد ، ولا تكتب بها لأحد ولا يكتب لك بها أحد ، لكنت فى تعلمها عابثاً مسرفا على نفسك بل مختل الشعور. إذا فهمت هذا أيضاً فاعلم أن للغة خادمَين رابضَين تحت رجلى السلم بدون مسعاتهما لا يظهر لها أثر فى الوجود ، هما اللسان ورسم الكتابة . فإذا انعقد اللسان كان أخرس ، و إذا تعقدت الكتابة كانت كمثله خرساء . وخرس اللسان طبيعىّ أو مرضىّ ، وخرس الرسم صناعىّ جهلىّ. فاعتراض حضرتك الذى وقفتك الآن على ما فى مطاويه معناه أن مخاطبة الخرس من أجلّ وسائل التربية والتثقيف ، و إضاعة العمر فيها تشحذ القرائح وتمرن على حل المشكلات ! أنت يا سيدى فى السنة الأولى من الإلزامىّ وستستمر راسباً فيها حتى تموت على حين غيرك جاز المراحل وأصبح أستاذاً فى كلية العلوم . فاستر وجهك وصن لسانك عن مثل هذا الهراء .

السابع عشر

١ — قلت فى بيان اقتراحى إن مشقات العربية « تحملنى على الاعتقاد بأنها من أسباب تأخر الشرقيين » . فهب المتحمسون صائحين : كيف تقوله والحال أن تأخر الشرقيين له أسباب أخرى ليس منها صعوبات العربية ومشقاتها ؟ كيف تقوله واللغة تابعة لقوة أهلها تزدهر إبان قوتهم وتضعف إبان اضمحلالهم ؟ كانت العربية مزدهرة فى صدر الإسلام ثم انحطت حين اضمحلت بلاد العربية بما انتابها من الأحداث وبانحراف أهلها عن مقررات الدين .

٢ — هذا اعتراض « دون كيشوت Don Quichotte » يضرب بسيفه الخشبى فى أطباق الهواء ليمزق الهواء . إنى أتكلم عن حال العربية الآن . بعد نيف وألف سنة من صدر الإسلام ، وهم يتحدوننى بصدر الإسلام ! إنى أتكلم عن حالها فى عصر الناس الحاضر وما تغلغل فى بلاد العربية من الأجانب ومن لغات الأجانب ، وما قام فى مصر وفلسطين ولبنان والشام والعراق وتونس والجزائر وطنجة ومراكش وباقى بلاد العربية من معاهد تنشر فيها الفرنسية والإنجليزية وغيرهما من لغات أمم الحضارة السهلة المأخذ البعيد رسمها عن التعقد والارتباك . إنى أنظر إلى الطبيب والصيدلى والكيمائي وخريج كلية العلوم الذى لا يستطيع أن يتقن الفصحى ، وعربيته هو لا تؤاتيه فى تعليم الناس ما يجول بخاطره من الأفكار فيميت فكرته ويحرم منها مواطنيه ، وإن نشرها فبلغة أجنبية لا يفهمها سواد المواطنين . وإذ كانت جماهير الأمم إنما تتقدم الآن أو تتأخر بمقدار ما ينشر فيهم وما يفهمونه من مسائل العلوم ، فلا شك أن مشقات العربيـة من أسباب تأخر الشرقيين . بل إنى إزاء هذا الاعتراض التهريجى لا أحجم عن القول بأنها أهم أسـباب تأخر الشرقيين . تتناحر ألمانيا والروسيا وإنجلترا وأمريكا لتنفذ

فى العالم إرادة أيتها تستقل بالغلبة ، وكل واحدة منها تعتمد فى قوتها على العلم دون سواه . وسفير العلم اللغة منطوقةً أو مكتوبةً وليس له سواها من سفير . فإذا تعقدت وارتبكت اضمحل العلم فى أهلها فاضمحلوا وتأخروا بلا نزاع .

٣ — على أنى قد أمسك عن مناقشة هؤلاء المتحمسين ، فلا أقول لهم إن ازدهار العربية فى صدر الإسلام إنما كان لقرب أبنائها من آبائهم الأولين [١] . ولا أقول لهم إن المجمع اللغوى أمامه كثير من الاصطلاحات العلمية يحاول ترجمتها إلى العربية فلا يستطيع ، لأن مدلولاتها حديثة الوجود ، غريبة عن العرب قبل الإسلام وبعد الإسلام ، فيضطر إلى تعريبها بلفظها الأجنبى وإخراجها فى ثوب من الرسم العربى ، فتجىء متنكرة المعالم لا يفهم أصلها ولا فصلها أحد من سواد الجماهير . ولا أقول لهم كفُّوا عن الاحتجاج بمقررات الدين ، فإن حالنا اليوم فى الدين خير من حال أغلبية من أتى بعد الخلفاء الراشدين من المسلمين الأولين . قد أمسك عن مثل هذا ، وآخذ قولهم قضية مسلمة . ثم أسألهم : متى يا ترى تفىء القوة من غيبتها وتتبوأ بلاد العربيـة حتى يرجع إلى العربية ما كان لها فى الصدر الأول من الازدهار ؟ أنبئونى عما قرأتموه فى النجوم عن هـذا الموعد المرقوب . ألعل لكم من الخليج الفارسى إلى مراكش ، ومن حضرموت إلى حلب ، جيوشاً جرارة ، ومدافع هدارة ،

---

(١) إن الخليل بن أحمد صاحب كتاب « العين » وهو أول معجم لغوى ، توفى فى سنة ١٨٠ هجرية . والأصمعى توفى بعده بنحو ٣٢ سنة أى حوالى سنة ٢١٢ هـ . وأبا منصور الهروى صاحب معجم « التهـذيب » توفى فى نحو سـنة ٢٧٦ هـ . وأبا نصر الجوهرى صاحب معجم « الصحاح » توفى حوالى سنة ٤٠٠ هـ . وكل هؤلاء العلماء اللغويين إنما وضعوا كتبهم أخذا من أفواه الأعراب البادين فى الصحراء . فاللغـة العربية كانت حافظة لكيانها بطبعها إلى آخر القرن الرابع الهجرى ، ولا شأن لقوة العرب ولا لضعفهم فى هذا الباب . إنما قوة العرب كان لها شأن كبير لا فى ذات اللغة بل فى الصناعة العلمية اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وما أشبه ذلك . وقد اضطروا لهـذه الصناعة لأن ما أصابوا من الفتوح أكثر بينهم الأعاجم فأفسدوا اللغـة وساعدوا قانون التطور على هذا الإفساد . اضطروا لهـا كيما يحجزوا هذا التيار الجارف الذى قضى على كثير من السجية العربية السليمة الأولى .

ومراكب برّ سيارة ، وسفناً مخّارة ، تقرب لكم يوم القوة ويوم ازدهار اللغة الموعود ، ولكنكم تخبئونها تحت جناح القدر فلا أرى لها أثراً ولا أحس لها ركزاً ولا أسمع عنها خبراً من الأخبار ؟ ! !

٤ — واجهوا الحقائق . سهلوا صعاب الفصحى فإنه ليس لنا عنها محيص . سهلوا قبل كل شيء رسم كتابتها المعقد السخيف . حرروها منه تفهمكم وتفهموها ، ووفروا وقتكم لتفتيش مخابئها فلعل فيها ما قد ينفعكم فى الحال والمآل . واحتفظوا بقرائحكم تشحذوها فى علم نافع وغرض مفيد . واعلموا أن الغيب لله إن شاء استجاب لنا فرفعنا مما نحن فيه . وإن شاء لم يستجب . فاعملوا ليومكم الذى أنتم فيه كما يعمل العقلاء . ادخروا منه لغدكم ، فإن قوّاكم الله — كما هو رجاؤنا — كنتم على استعداد للاستمتاع بقوتكم . وإن كانت الأخرى — لا قدر الله — رحتم مؤدين واجبكم كراماً مأجورين . لا تتحككوا كذباً ورياءً بمقررات الدين ، فوقت هذا قد فات . ولا تتطوحوا فى الحماسيات الصبيانية باسم الآباء ، فزمنها قد مات . وشر البرية من تمحك باطلا بالدين وأكل خبزه خداعاً باسم الدين ، وأعجز الناس من استنام على ذكرى الآباء ومجادة الأجداد .

الثامن عشر

١ — يقولون ما حاصله : عَدِّ عما تذكر من صعوبات العربية وسوء رسمها ، واعلم أن العربية اليوم فى دور النهوض ، وأن العامية تقترب من الفصحى ، وذلك بفضل الجرائد ومؤلفات الأدباء ، وبفضل الخطباء فى المجامع وفى المذياع ، وفضل المحامين فى دور القضاء . وأنه لن يمضى إلا قليل حتى تزول الأمية ويصبح الناس جميعاً يقرأون ويفهمون الكتب والجرائد والمجلات ، وحتى لا يكون بين العامية والفصحى إلا قاب قوسين أو أدنى .

٢ — هذا الاعتراض خارج أيضا عن الموضوع . ومن الأسف أن أرانى مضطراً للتكرير . الموضوع الذى نحن بصدده هو تيسير رسم الكتابة العربية « بحيث يؤدى كل حرف من كل كلمة صورته الصوتية أداء صادقاً واقياً من الغلط واللحن الشنيع وغير الشنيع » . فهل زوال الأمية وفهم الكتب والجرائد واقتراب العامية من الفصحى يؤدى هذا المقصود ؟ ألم أقل لك إن خريجى الجامعة ومن فوقهم لا يستطيع الواحد منهم أن يقرأ صحيفة من كتاب أو نهراً من جريدة دون أن يخطئ في العربية خطأ فاحشاً . وإن رسم الكتابة العربية أصبح ، كما قال الجارم بك، لغزاً من الألغاز ؟ وهل زوال الأمية ، وما عطف عليه ، فيه قوة سحرية تفك هذا اللغز وتضع على الحروف ما تستحقه من الحركات ؟ دعنا إذن من هذا الاعتراض المفارق للموضوع .

التاسع عشر

١ — يقولون : إذا فرضنا أن ماتنشره الطباعة من كتب الأدب ومن الجرائد والمجلات يستطيع ناشروه إخراجه وفق أصول العربية وقواعدها ، فما الرأى فى الكتابة بالوزارات والمصالح والمحاكم وبمحاضر الجلسات ؟ إن ضبطها يستلزم أن يكون محرروها من الموظفين ملمين بتلك القواعد والأصول ، وأن يرجعوا إلى المعاجم كلما أشكل عليهم وزن اسم أو وزن فعل من الأفعال ، وإلا فإن كتابتهم بالأحرف اللاتينية ، التى تضبط النطق ولا تحتمل إلا وجهاً واحداً من الأداء ، تخرج كلها خاطئة فى العربية مضللة للقارئين . ثم يقولون إن الأولى إذن الاحتفاظ بالرسم الحالى الذى يحتمل الصحيح من الأداء وغير الصحيح ، تخفيفاً على هؤلاء الموظفين .

٢ — اعلم ياحضرة المعترض : أولا : أن كتاب الوزارات والمصالح هم

الآن ممن قطعوا مراحل التعليم إلى التوجيهى أو إلى الثقافة على الأقل . وكثير من رؤسائهم هم فوقهم فى المؤهلات . فغالباً ما تكون الفصحى سهلة عليهم لا يحتاجون فيها المراجعات . على أنك تعلم أن الكِتاب لا يخرج من وزارة أو مصلحة إلا بعد تسويد وتبييض وتدخين لفافة من التبغ وتناول قدح من القهوة ، وتقديم واجبات المجاملة أو المداورة أو التجبيه للزائرين ، مما يؤذى العمل وقد يؤذيك . فإذا فرض أن الرئيس أو المرءوس كان غير عارف وزن كلمة من الكلمات ، فأى تعطيل يضيرك أو يضيره فى تعرف وزنها من المعجم ، وهو إن عرفه مرةً أغناه إلى آخر الحياة ؟ أوَ ليس صرفه دقيقتين فى هذا الأمر المفيد أجدى عليه وعليك وعلى العمل من صرفه معظم الوقت فى تلك الملهيات والمعوّقات ؟ ثانياً : أن أقصى ما تلاحظه على كتاب المحاكم أنهم يكتبون محاضرهم بفصحى مشوشة أو بالعامية . ومن الذى قال لك إن واجب كاتب الجلسة أن يصحح ما يسمعه من المرافعات وأن يفسد عامية المحامى أو الخصم أو الشاهد بردها إلى الفصحى ؟ ليستمر كتاب الجلسات وكتاب محاضر البوليس على تدوين ما يسمعون من الفصيحة أو نصف الفصيحة أو العامية الصرفة بلا أدنى تعديل . فإن هذا واجبهم ، لما فيه من ضبط للمعانى التى أرادها المحامون والخصوم والشهود ، والتعديل فى ألفاظ هؤلاء غالباً ما يكون إفساداً وتشويشاً للمعانى التى يقصدون . ها أنت ذا قد رأيت أن كل تلك الأوراق التى تشير إليها لا يضيق بها كاتبوها ولا يرجعون لمعاجم ولا لاستفتاءات . ثم لتعلم أن جميعها أوراق خاصة لا يقرؤها إلا ذوو الشأن فيها ، ولا يطبع منها شىء ولا ينشر فى الناس . وإذن فسواء أكانت عباراتها عربية فصيحة أم كانت عامية بحتة ، فإن أحداً لا يتعلم منها شيئا ولا يضره من أخطائها العربية شىء . فاعتراضك يا سيدى ضرب فى غير مضرب ونفخ فى غير نار .

العشرون

١ — أخبرنى يوماً أحد محررى (المصور) أن هنـاك طعونا يوجهها بعضهم على اقتراحى قائلين : « بمخالفته لدين الإسلام » . وسألنى رأيى فقلت له : « إنى لا أعير مثل هذا الهراء أدنى التفات ، فإنه أهون علىّ من الغبار الذى يصيب ردائى أو حذائى . فما بالك أنت تهتم به ؟ » ألحّ المحرر كيما أبين له وجه عدم اكتراثى لمثل هذه الأباطيل . ولكونه إنساناً أديباً ظريفاً فقد بينته له فى شىء من التفصيل، ووصفت له هؤلاء الفارغين بما يستحقون .

٢ — علمت من بعد أن فلاناً ابن فلان نشر فى بعض المجلات المحترمة اعتراضاً على اقتراحى . ولكون الأب كان فى بيئته من الرجال المعدودين فقد استحضرت المجلة واطلعت على الاعتراض . فرأيت الكاتب عمد إلى تلك العبارة من حديثى فرواها وحدها، ثم بنى عليها من التجريح ماشاء . وأهون التجريح أنه يقول لى ما حاصله : « إنا عرفناك قاضياً تسمع كل قول تقصياً للحق وتثبيتاً للعـدل ، فماذا أصابك ؟ وما هذه الكبرياء وذلك العُجب الذى جعلك اليوم لا تستمع لمن يوجه إليك الكلام ؟ » .

هذا المعترض أحس أن المقام الذى أفضيت فيه بتلك العبارة هو مما يجب على كل مسلم يحترم نفسه ويحترم دينه أن يُظهر فيـه أقصى ما يمكن من الكبرياء . أحسّ فهرب من توضيح المقام . كما أغمض بصره عمـا بيّنته للمحرر فى صلب الحديث من تعليل موقفى إزاء الجاهلين . وكل ما أورده هو قوله إن تلك العبارة نشرت « بالمصور » فى حديث لى خاص « بالإسلام والحروف العربية » ولم يزد . إنه اختزل عمداً للتبهيم وليستحل أمام الناس الإسهاب فى التجريح . لأنه لو اصطنع الأمانة فى النقل ، وذكر موضوع سؤال المحرر على حقيقته كما هو مذكور أمام

حدقتيه فى ديباجة الحديث لاستحيا من نفسه لأنه رجل مسلم . ولو أنه لم يكنه بل كان نصرانيًّا أو يهوديًّا أو مجوسيًّا لما أطاق أن يطعن عليه أحد فى دينه ، ولكان أقل جزاء عنده للطاعنين الأخذ بالتلابيب . فإذا تضاءل هـذا الجزاء ، ونزل إلى مجرد تشبيه وقع الطعن بوقع الغبار على الحذاء ، فهذا أقصى درجات التسامح فى الائتّار . وهـذا التسامح كان هو الأحرى بأن يعاب . على أن حضرة المعترض إذا كان لم يستح من نفسه فهلا استحى من طيف أبيه أو من عقلاء المسلمين الذين يرون من الواجب على المسلم أن يكون كبير النفس مترفعاً عن خطاب كل جاهـل يزعم أن فى تغيير حروف الكتابة على أية صورة مسًّا بالدين ؟ إذ حتى بقطع النظر عما بينته فى صلب الحديث ، فإن المعترض، وكل مسلم ، يعلم علماً ضروريًّا أن رسم الكتابة لو كان له أية علاقة بالدين لكان النبى أول الكاتبين القارئين ، ولما وصفه الله بالأُمّىّ فى القرآن الكريم ، ولما لبث هو فى مكة سنين عدة بعد الرسالة يتحدى المشركين بقوله تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون » .

تلك شردة من المعترض الذى يلوح لى أنه ككثير من الشباب يشتهى تجريح من هو أكبر منه سناً ، حاسباً أن ذاتيته تعلو بهذا التجريح . وقد وجد الباب للتجريح مفتوحاً على مصراعيه فولج . وليس له ولشردته عندى إلاّ تلقيهما بتلك الكبرياء وذلك الترفع والعُجب اللذين إليهما أشار . لكنى أطمئنه أنها ليست كبرياء حقد بل كبرياء رثاء ، فزمن جواز الاضطغان ولّى ولم يبق فى الأجل غير ذماء ، خير ما ينفق فيه التبسم لما فى الناس من شذّات وشردات وشطّات .

٣ — ترك المعترض هذه الناحية وتكلم فى الموضوع ولكن : —

(١) ليس صحيحاً أنى فى اقتراحى استبقيت كل الحروف العربية المنقوطة كما توهم عبارة حضرته . بل الصحيح أن تلك الحروف خمسة عشر لم أستبق منها إلا

خمسة فقط لانظير لنغماتها فى الحروف اللاتينية وهى (ج خ ض ظ غ) . والإفرنج يؤدون نغماتها بتراكيب كل منها مكون من حرفين (dj.ch.dh.dz.gh) فكنت متردداً بين أمرين : اتخاذ تلك التراكيب مع ما فيها من ضرر مضاعفة الحروف وضرر عدم أداء النغمات العربية بالدقة ، أو استبقاء تلك الحروف العربية التى تؤدى نغماتها بكل دقة ولا ضرر فيها سوى كونها منقوطة كلٌّ بنقطة واحدة فقط لا بثلاث ولا باثنتين . رجحت فوجدت استبقاء الحروف العربية حرصاً على الاختصار ودقة أداء النغمات .

(٢) يقول حضرة المعترض ما حاصله : أننا لو عمدنا إلى مادة عربية كفعل ثلاثىّ مجرد وأردنا تصريفه هو ومزيداته فى صور التصريف المختلفة من ماض ومضارع وأمر ، واستخرجنا مشتقاته المتعددة وألحقنا به وبمشتقاته فى الصور المختلفة ما يضاف من الزوائد والضمائر بحسب ضروب الاستعمالات ، أو لو عمدنا إلى اسم من الأسماء وقلّبناه فى أحواله المتعدّدة من إفراد وتثنية وجمع وإضافة لبعض الضمائر ، وأعطيناه فى صوره المختلفة ما يستحقه من حركات الإعراب أو ما ينوب منابها — يقول إذا عمدنا إلى ذلك ، ثم رسمنا الكلمات بالحروف اللاتينية لتنكرت مادة الفعل ومادة الاسم ولما عرف لأيتهما أصل . وإنه هو جرب هذا فعلا فاستغلقت عليه أصول الكلمات ، بخلاف رسمها العربىّ فإنه يكشف دائماً عن هذا الأصل فلا يضل عن معرفته أحد . ويقول إن هذا ضرر جسيم لا توازنه تلك المنفعة الضئيلة التى قد تستفاد من صحة الأداء بسبب حروف الحركات ، وإن الشكل عندنا حاضر لم يفلس ، كما هو مزعوم ، وإنه يؤدى لنا ما تؤديه حروف الحركات .

كنت أنتظر أن يقول حضرة المعترض إن الحروف اللاتينية ، وفيها حروف الحركات ، تزيد فى رسم الكلمة فتضاعفه ، فأقول له هذا حق صحيح ، ولكن أحق منه وأصح أن « الشكل » — الذى أفلس فعلا بإجماع العارفين المؤيد

رأيهم بالواقع المحسوس — هذا « الشكل » يضاعف أيضاً عملية الرسم العربى ، ويشوشها ، ويوقع فيها الارتباك . كنت أنتظر هذا فأجيبه بما أقول الآن . ولكن الذى ما كنت أنتظره ، ولا أستطيع أن أفهمه مطلقاً ، ما يدعيه من أن الحروف اللاتينية تعمى أصل الكلمة وتجعله مستغلقاً . إن الأمر على عكس ما يقول . فإن الكلمة لن يكون فيها شىء زائد على أصل مادتها وما تصرف إليه أو يلحق بها سوى حروف الحركات الثلاثة ، وهى ظاهرة متميزة برسمها الخاص ، لا تشتبه بحروف أصل المادة ولا بحروف صيغها التي تتقلب فيها ، لأنها عبارة عن « الشكل » مدرجاً بطريقة منتظمة مأمونة فى تجاويف هيكل الكلمات . فمتى أسقطتها من الحساب[1] كانت كل الحروف الباقية فى المجردات والمزيدات والمشتقات، على اختلاف صورها، هى نفس الحروف العربية مرسومة بشكل آخر، بلا زيادة فى عددها ولا نقصان ، ولا تغيير فى نغماتها ولا تبديل . وهذا أمر بديهى واضح لا يليق أن يكون موضع جدال لأن الواحد والواحد لا يكونان ثلاثة بحال .

أضف إلى هذا أن الحروف الباقية هى ، كمثل حروف الحركات ، لا يمكن مطلقاً فى الرسم اللاتينى أن تضلل القارئ فى المطبوعات ، ويبعد أن تضلله فى غير الردىء جداً من المخطوطات . وذلك لأنها، فى كل ما عدا هذا الردىء، تلازم هيكلا واحداً لا يتغير . بخلاف الحروف العربية فإن هيا كلها تتغير فى جميع المطبوعات والمخطوطات ، إذ هى فى جميعها تكون على عدة أشكال بحسب مواضعها فى الكلمات. ففكرة الضلال عن معرفة أصل الكلمة موردُها الرسم السرطانىّ العربىّ، وفيما عدا ما ذكرت لا ترد على الرسم اللاتينىّ ، وعلى الأخص المطبوع منه ، بحال.

وفوق هذا فإنى أشرت فى اقتراحى إلى وجوب كتابة الأسماء والضمائر والأفعال والحروف منفصلا بعضها عن بعض بقدر الإمكان . وبهذه المثابة متى تخلصت

(١) مع وضع همزة بدل ما يكون منها فى صدر الكلمة كما نبهت إليه .

الكلمات من التصاق جملة منها فى هيكل واحد ، كان ذلك أنفى لفكرة الضلال فى معرفة أصولها .

إذن فالاعتراض من هذه الناحية أيضاً واه . وأساس وهيه تحكم العادة ، على ما هو ظاهر . وكل نظر أُمُّه العادة فهو أبداً خدّاع .

٣ — من أعجب ما يكون أن حضرة المعترض يغمض عن أن حروف الحركات اللاتينية لا شأن لها بباقى الحروف فى الكلمة من أصل وزوائد صرفية ، وعن أن الشكل أفلس إفلاساً ذريعاً صرخ منه المختصون وهم أساتذة العربية بالمدارس ، وأولهم الجارم بك الذى كان من كبار مفتشى العربية بالمدارس ثم وكيلا لدار العلوم ، ويغمض عن أن سوء رسم العربية صرخ منه وزيران للمعارف كاتبان أديبان هما بهى الدين بركات باشا ومحمد حسين هيكل باشا ، وعن أنه تقرر رسمياً فى لائحة المجمع اللغوى أن من مهمته النظر فى أمر تيسير الكتابة العربية بحيث يستطيع الناس قراءتها بلا لحن ولا غلط ، وعن أن هذا التقرير لم يكن ليقع لو أن «الشكل» أدى وظيفته ولم يفلس — يغمض عن كل هذا ويقصر تشبثه على أمر كان غيره من رجال العربية أخلق منه بالاقتصار عليه . إنه يقول ما حاصله :

« العيب لا يرجع إلى رسم الكتابة بل إلى جهل القارئ بأصول العربية وقواعدها ، ولو أنه كان عارفاً بهذه الأصول والقواعد لما أخطأ فى قراءة الرسم العربى بل لأداه أداءً صحيحاً » .

حضرته بهذا الاعتراض — الذى سبقه به غيره — يذكرنا بما كنا نسمعه من أن أعرابياً من الأقحاح فى الزمن الأول أراد مسلم تلقينه سورة «تبت يدا أبى لهب» فلما قال الملقن « تبت يدا » مقطعاً الجملة حتى يسهل على الأعرابىّ تلقنها ، أبى الأعرابى إلا أن يقول « تبت يدان» . فلما وصل الملقن المضاف بالمضاف إليه تابعه الأعرابىّ قائلا : نعم هكذا يكون الكلام . حضرة المعترض لم يبلغه أن بيننا وبين أمثال ذلك

الأعرابيّ أكثر من ألف سنة . ولم يبلغه أن الحال تغير لدرجة اضطرت وزارة المعارف وكل رجال التعليم ومنشئ المجمع اللغوى إلى أن يجعلوا من أهم أغراضهم تيسير رسم الكتابة العربية . ليت أهلنا جميعاً كانوا كذلك الأعرابى ! أو ليت فى الاستطاعة تعليمهم أصول العربية وقواعدها حتى يبلغوا درجته أو على الأقل درجة حضرة المعترض ! نذرٌ على يا سيدى أنى فى ذلك اليوم أقدم شمعة للسيد البدوى ومثلها للست البائعة وأخرى لسيدنا الحسين ! ولكن يظهر أنى لن أغرم شيئاً لهؤلاء الأولياء ، فإنهم ، رضى الله عنهم وعنك ، لا يملكون لى فى هذا السبيل نفعاً ولا ضرا ولا تقديماً ولا تأخيراً . أنت يا سيدى تحلم . الموضوع الجارى فيه الكلام ، هذه الأيام ، هو موضوع تيسير رسم الكتابة العربية ، لا تيسير أصول اللغة وقواعدها . فكل كلامك الذى أجهدت نفسك فيه ، وتوهمت أنه مفيد ، هو خارج عن الموضوع وذاهبة به الريح .

فى غضون الاعتراض شردات ثانوية من لواحق ما لخصته لك قبل ورددت عليه . وإنى أسامح حضرة المعترض فى تجاوزه الحد فيها ، وأرجو له من الله الغفران والتوفيق .

الحادى والعشرون

١ — أهم ما شغل مؤتمر المجمع فى دورة هذا العام النظرُ فى علاج لنقص الرسم العربىّ . ولقد تزاحم لديه مذاهب ثلاثة تستبق جميعاً لهذه الغاية . أحدها يرى أربابه ، وهم كثيرون ، سد هذا النقص الطبيعى برداء من جلد القنفد الشائك أو من سلخ الأخطبوط ، يلصق بالغراء على بشرة المريض فتبرأ علته بإذن الله . والعقل والحس يقضيان بألا شىء من جلود القنافد ولا سلوخ الأخطبوطات بناجع . لأن المرض راجع إلى أصل الخلقة الحسية ، فكل لزقة تتصل بها لا تكون إلا من

قبيل زيادة التشويه ومعالجة الداء بشر من الداء . والثانى يرى أن العلاج حاضر وهو « الشكل » المعروف الآن . ويقول أربابه إن هذا الشكل إذا كان مشوّشاً للكلمات عند استيفائه على كل الحروف ، فإن القليل منه الضرورىّ لإزالة اللبس كاف لشفاء العليل . والثالث مذهب هائج ثائر يغير الخلقة ذاتها ويتخذ للرسم مثلاً أجنبيا بعيداً عن المثال العربىّ بعداً تاماً ، وذلك فى صورة اليأس المطلق من العثور على علاج له من جنسه .

امتعض الناس من المذهب الأول ، وسكنوا شيئاً من السكون للمذهب الثانى ، وثاروا على المذهب الثالث . أما المؤتمر فقد ارفض بدون أن يبت برأى فى الموضوع ، وفى غضون ذلك حدث ما أوجب اضطراب المتسابقين فى الميدان فاختلط الحابل بالنابل .

٢ — وعقب ارفضاض المؤتمر تفضلت كلية الآداب بجامعة فؤاد فاحتفلت بأعضائه غير المصريين تقديراً لمساعيهم فى خدمة العربية . وبعد الاحتفال بزمن وجيز علمت أن أحد حضرات الأساتذة بالكلية سيلقى محاضرة فى الخط العربى وعيوبه ومزاياه . فشاقنى الاستماع إليه ، إيقاناً بأن الكلية وأساتذتها خير من يشخّصون الداء ويصفون الدواء . وإذ أقعدتنى رقة الصحة عن الاستماع للمحاضرة فقد ألححت على إدارة المجمع فى الحصول على صورة منها فلم تظفر ، وقيل إنها ستنشر فى مجلة الثقافة . فاستبشرت وقلت فى نفسى كأن المحاضر لا يريد إخراجها للناس بعبلها وغبارها ، بل يريد أن يكمل منها الناقص ويصلح المائل . وإنها ستخرج تحفة من تحف الفن وآية من آيات التشخيص والعلاج ، تحق الحق وتبطل الباطل وتكون فيصلا يقطع قول كل لدود .

٣ — انتظرت بفارغ الصبر إتمام نشر تلك المحاضرة التى استغرق نشرها شهراً كاملا . بيد أنى كلما قرأت جزءاً قلت لعل فيما بعده ما يغنى ويُقْنِي . فلما

تمت الأجزاء نشراً أردت تحصيل ما فيها فصفرت يدى . إذ كل الذى وجدته كلام طويل عريض متصيّد من هنا ومن هناك ، على غرار ما أقوله أنا وغيرى من غير الاختصاصيين . بل كأنى خرجت من التلاوة وفى ذهنى أنها تقوم على أساسين راجع كلاهما إلى التقديرات الشخصية التى مبعثها شغف المرء بنفسه و بصناعته و بعادته ، وعلى الأخص حبّه الإخلاد إلى الراحة ونيل حسن الأحدوثة بمتابعة ميول الجماهير . إذ النقط الأساسية ينحرف التعبير فيها يمنة ويسرة بلا مقتض ظاهر سوى ما يحسه القارئ من تلك الدوافع الشخصية . وإليك البيان :

٤ — الأجزاء الثلاثة الأولى خاصةً :

أولا — ببيان ماقام منذ القدم من الضرورات الماسة لوضع رسم خارجىّ لما يقوم بالخواطر من المعانى المختلفة ثم لتقييد ألفاظ اللغات . آمنّا وصدّقنا ، لا لأن الجاحظ أو غير الجاحظ قاله ، بل لأنّ هذه ضرورة ماسة واقعة يدركها كل إنسان سواء أرادها الجاحظ وغيره أو لم يريدوها ، لاحظوها فدوّنوها أو لم يلاحظوها ولم يدونوها . وليس هؤلاء المفكرون إلا مجرد مسجلين للواقع المقضىّ بالضرورة . وهذا التسجيل أستطيعه أنا وأنت وكل عالم متمكن وكل ناقص التعليم . غاية الأمر أن الجاحظ وقليلاً غيره من رجال العربية كانوا أدق منا ملاحظة ، وأشمل إحصاء ، وأكمل استقصاء ، وأنور فكراً ، وأسلس قلماً .

ثانياً — بتقرير أن الرسم العربى أصله نبطىّ . وهو تقرير يستطيعه كل إنسان يعرف أية لغة أجنبية فيطلع على معجم من معاجمها المطولة أو على موسوعة من موسوعاتها . ويستطيعه أى قارئ للعربية فقط إذا اطلع على رسالة « أصل الخط العربى » للأستاذ خليل يحيى نامق من علماء الكلية . فقد أورد فيها أن الخط العربىّ من وضع النبطيين ، وبيّن من هم أولئك النبطيون وما تاريخهم . وذكر بالتفصيل أدلة نسبة الخط العربىّ إليهم . ولكنه فى رسالته هذه التى نشرت فى

سنة ١٩٣٥ كان حكماً منصفاً ، أعطى كل ذى حق حقه ، ولم يترك الأمر غُفلاً سبهللاً يضلل القارئ فيجعله يظن أنه هو أو غيره من أساتذة كلية الآداب بجامعة فؤاد هم الذين كشفوا هذه الحقيقة . كلاّ بل إنه عزاها لكاشفيها وهم المستشرقون من الفرنسيين والإنجليز والألمان ، وسماهم بأسمائهم .

ثالثاً — بتقرير أن الرسم العربى منتشر فى بلاد واسعة من قارتى إفريقية وآسية ، وأن العرب والفرس والترك حسّنوه وزيّنوه حتى صار فناً من أروع الفنون الجميلة . وهذا التقرير معروف الموضوع عند الجميع ، وقد ردده كثيرون من قبل . فهو هنا مجرد حشو وتزيّد لاغناء فيه .

٥ — انتقل المحاضر بعد هذا إلى فكرة أخرى قريبة من وادى ما نحن فيه، فقال ما حاصله : — « إن الكتابة المثلى هى التى لا تدل بالحرف منها على أكثر من صوت ولا تضع للصوت الواحد أكثر من حرف » . ثم نقل عن دوائر المعارف البريطانية أن أستاذاً كتب فيها يقول : « إن الكتابة المثلى هى التى يكون فيها الحرف الواحد مؤدياً صوتاً واحداً والصوت الواحد متأدياً بحرف واحد ، وإنه لا كتابة تبلغ المثل الذى نطمح إليه ، وإن كانت فلا تستمر طويلاً ، لأن أصوات معظم اللغات فى تغير مستمر ، ولا سيما الحركات ، وإنه لهذا لم يستطع ضبط ألفاظ اللغات الميتة ولا الصيغ المهجورة من اللغات الحية » .

ينقل المحاضر تلك العبارة ثم يقول إنها إذا صدقت فيما يتعلق باللغات الأوربية ونحوها فإنها تُقابل بالريبة فيما يتعلق بالعربية . ثم يترك استدراكه هذا المتعلق بالعربية مجملاً صامتا ، مع أن هذه النقطة هى لبّ لباب الموضوع الدائر فيه الكلام .

إن حضرة المحاضر إن كان يعنى الكتابة العربية مشكولة بالدقة بالشكل المعروف كتشكيل القرآن ، فكلامه حق لاجدال فيه . أما إن كان يعنى الكتابة

العربية مرسلة من غير شكل أو بشكل ناقص، فكلامه هو الذى يقابل بكل ارتياب. ذلك بأن تلك العبارة المروية عن دائرة المعارف البريطانية قد قيدها واضعها بقوله « ولا سيما الحركات » . فمراده — إذا صدق ظنى — أن كل نغمة صوتية يجب أن تكون محركة فى الاتجاهات المختلفة من ضم وفتح وكسر و إمالات متنوعة . أى أن الكتابة المثلى ما تكون رسومها دالة فى آن واحد على نغماتها وعلى اتجاهات نغماتها ، أى على حركاتها .

والظاهر أن المحاضر إذ وجد استدراكه لايتمشى على إطلاقه ، بل هو استدراك غير صحيح فيما يتعلق بالرسم العربى الخالى عن الشكل أو المشكول شكلاً ناقصاً ، لفقدان دليل الحركات فقداناً كلياً فى الحالة الأولى، ولقصوره فى الثانية— إذ وجد استدراكه مختلاً هذا الاختلال ، فقد أتى به دعوى مجملة ممسكاً عن البيان فى هذا الموقف المقتضى للبيان ، ومكتفياً ، فى معرض الاعتذار عن التهرب من البيان ، بقوله عقب ذلك الاستدراك : « وليس هذا من صميم موضوعنا » ! كأن للموضوع صميماً آخر غير هذا الصميم . أخشى أن يقال إن حضرته إذ أمسك عن الكلام فى هذا الموضع وطفر إلى الكلام عن اللغات الأجنبية ، فإنما يكون أراد الاعتماد فى تسويغ عباراته لا على التأثير المنطقى" بل على التأثير الخطابى" ليس غير . والأدلة الخطابية ليست هى التى تُنتظر من العلماء .

ترك المحاضر البيان ، كما ترى، مع شدة الحاجة إلى البيان . ثم طفر فى أقل من لمح البصر — كالذى عنده علم من الكتاب — طفر من مصر إلى أوربة فأخذ يذكر ، تهويناً لسوء رسم العربية ، أن اللغات الأجنبية كالفرنسية والإنجليزية فيها كثير من حروف جوهرية تترك غير منطوق بها ، وفيها حروف حركات كثيرة توجه الكلمات توجيهات مختلفة ، بل فيها حروف جوهرية ينطق بالحرف منها على نغمتين مختلفتين ، وضرب لهـذا بعض الأمثال . ثم قال إن أولادنا الذين

يتعلمون الإنجليزية مضطرون لحفظ الكلمات الشاذة التي لا يجرى فيها النطق على أصل القياس .

وكل هذا الذى يقوله حضرة المحاضر قد سبقه غيره من الفضلاء به و بأمثاله من قبل ، وقد بينت وجه الخطأ فيه[1] . وهنا أوضح أنا بالإجمال ما لم يرد حضرة المحاضر الإقرار به و إيضاحه لا بالتفصيل ولا بالإجمال . ألفت نظره ونظر غيره : أولا — إلى أن الكلام هو فى رسم لغتنا العربية الذى ضقنا به وأحسسنا بضرورة إصلاحه . فإذا كان فى رسم الإنجليزية أو الفرنسية أو غيرهما عيوب يصبر أهلها عليها ولا يتجهون لإصلاحها ، فليس لأحد حق فى أن يقول لنا كفوا عن إصلاح شأنكم لأن لكم أسوة بأهل تلك اللغات . وهل سمعت أن أناساً تبلغ بهم الجرأة لأن يقولوا للمريض لا تطلب العلاج ومت بدائك ما دام كثير ممن هم مرضى مثلك يموتون بدائهم ولا يطلبون له العلاج ؟ لكن حضرة المحاضر يعطى نفسه هذا الحق الجرىء الذى لم يمنحه له الله ، ولم تخوله إياه بيئة العلم التى يعمل فيها ، بل ولا ورقة الدكتوراه التى بيده ، بل ولا يسيغه العقل الإنسانى الساذج البسيط . وثانياً — إلى أن أولادنا إذا استطاعوا حفظ شواذ الإنجليزية أو الفرنسية فمن المستحيل عليهم حفظ شواذ العربية ، لأن كل كلماتها طلاسم شواذ ، لعدم وجود حروف الحركات التى يشير حضرته فى صدر عبارته إلى أن الكتابة المثلى هى ما تدل عليها فيما تدل . فكلام حضرة المحاضر متخاذل ينقض أوله آخره .

إن الذى كنت أنا وغيرى ننتظره من العلماء ، إنما هو دقة العلماء ، وألا يلجأوا إلى الأدلة الخطابية التى لا قيمة لها ، بل يتركونها لى أنا وغيرى من غير العلماء .

٦ — ومن أطرف ما رأيته من الأدلة الخطابية أن حضرة المحاضر ، بعد ما تقدم مما لا فائدة فيه ، قال ما حاصله : « ولكن العربية إذا أمليت شيئاً منها على إنسان

---

(١) راجع الاعتراض رقم ١٢ وردى عليه ص ٣٦

كاتب فإن هذا الإنسان يكتبها تماماً بدون أن يخطئ ، اللهم إلا فيما يتعلق بالمختلف عليه من رسم الهمزة ووضع الألف بعد واو الجماعة ونحو هذا . بل إذا أمليت هذا الإنسان شيئاً من الفارسية أو التركية — المرسومتين بالرسم العربي — فإنه يكاد يكتبه كتابة مضبوطة وإن لم يفهم معنى كلمات تينك اللغتين » ثم أتبع هذا بقوله : « إننا إذا كنا سمعنا استنكاراً للألف بعد واو الجماعة أو نزاعاً فى واو عمرو فإن الرسم الأوربى بقى مصوناً من استنكارنا بالدول والأساطيل والطائرات والهيبة والفتنة اللتين تأخذاننا من كل جانب » .

مرحى ! مرحى ! هنا خلع العلم ثوبه وارتدى ثوباً سداه الوطنية اللفظية ولحمته أناشيد أرباب الحناجر .

إن حضرة المحاضر فى هذه القطعة ينسى نفسه تماماً ، إنه لا يكتفى بالمرور مرّ الكرام ، أو مرّ السحاب الجهام ، على الموضوع المنتظر منه الكلام فيه . بل هو يقلب هذا الموضوع رأساً على عقب ، بل يطرده من الميدان طرداً . إن أحداً لم يشكُ لحضرة المحاضر ولا لغير حضرة المحاضر من أن الكاتب بالعربية لا يستطيع أن يكتب ما يسمعه . ماشكا أحد هذا إليه قط . لأن أحداً — حتى ولا عطيه كاتب الزراعة الجهول — لا يكاد يخطئ فى رص حروف النغمات بعضها تلو بعض على الترتيب الذى يسمعه مادام هو عارفاً من قبل أن نغمات الباء والجيم والحاء والعين مثلاً ترسم هكذا (ب. ج. ح. ع) ، وأنها فى هيكل الكلمات ترسم هكذا (ـبـ . ـجـ . ـحـ . ـعـ) . فمتى سمع بالعربية أو بغير العربية كلمة فيها جملة نغمات متعاقبة كتبها حتما بهذه الحروف متتالية . ويستحيل أن يخطئ فى رص الحروف بعضها تلو بعض إلا إذا كان فى أذنه وقر أو كان ساهياً أو معتوهاً . لكن هذا ليس مورد المسألة ، بل موردها أن هذا السامع الذى يستحيل أن يخطئ فى كتابة ما يسمع — هذا السامع متى كتب كان رسم كتابته رسماً مشتركا يؤدى غرض المُملى فلا يلاحظ عليه شيئاً ، ويؤدى فى الوقت نفسه أغراضاً

أخرى بعيدة عن غرض المملى ، بحيث إذا أتى قارئ من بعدُ فتناول الكتابة وهو يجهل أصل غرض المملى ، ألفى هذه الكتابة مجرد حروف مشخصة لنغمات جوهرية متلاصقة ، وألفى كل حرف منها قابلا لثلاث حركات مختلفة وقابلا فوقها للسكون ، فلا يدرى أية الحركات يعطيها للحرف منها ولا إن كان الواجب هو التسكين . بل إنه يتعثر فى هذا ويخلّط ويصحّف بقدر ما تحتمله الحروف من التصحيف . هذا هو مورد المسألة ، وهو المحظور الواقع فيه كل الناس ، وهو المشكوّ منه ، وهو الذى تسعى الحكومة ومجمع اللغة ورجال العربية فى كل الأصقاع للعثور على دواء له غير « الشكل » الذى اتفق على إفلاسه كل المختصين .

أرأيت إذن كيف أن حضرة المحاضر عمد إلى الموضوع فجرجره وقذف به من حالق ، وتصيد موضوعاً آخر ما شكا منه أحد إليه وما انتظر أحد منه الكلام فيه ؟

أخشى أن يقال إن حضرته إذ نبذ الموضوع الذى عليه الكلام، وأضاع وقته ووقت الناس سدى فى موضوع آخر لا يختلف فيه اثنان ، فإنه إنما فعل لغرض واحد ، هو أن يرشح لكلمات : « الدول والأساطيل والطائرات والهيبة والفتنة اللتين تأخذاننا من كل جانب » . وهنا ليسمح لى حضرته أن أقول له إن تلك الكلمات الدالة على التحسّر القومىّ هى — كما أسلفت — من أناشيد الوطنية اللفظية، ولها منشدون كثيرون من غير رجال العلم ، كما أن لها مواضع أخرى غير هذا الموضع تقال فيه .

بل لعلى واهمٌ فيما أخشاه على الأستاذ من إمكان حمل عباراته على معنى تعمُّدِه مسابقة أرباب الحناجر فى حلبة الوطنية اللفظية . ولعل كثيراً من الناس لا يرون ، فيما أخشى التأول فيه ، إلا مجرد عرَض عام مشترك بين أقواله وأقوال الجماهير . والعرض العام شعاع منتشر أو ظل شائع لا دلالة فيه على حقائق الأشياء ولا قِيَم

القائلين والفاعلين . وهل كل بيضاء من الأشياء شحمة وكل أبيض من الآدميين عالم ؟ وهل كل سوداء من الأشياء فحمة وكل أسود من الآدميين جاهل ؟ إذن فلعلى واهم حقا . ولعل الصحيح أن الأستاذ قد رأى بنافذ بصيرته أن « التوقر » من أظهر شيم القساوسة وغيرهم من خَدَمة الدين ، وأنه أنفس حلية للعلماء المعلّمين ، فاستشعره وارتداه وتقنع به . وما رآه وما فعله من هذا ، كلُّه حقٌّ وحسن بلا مراء . غير أن لى فى هذا المقام كلمة أعوذ بالله من أن يظن الأستاذ الجليل أنى أوجهها إليه . إنها كلمة سنحت ، ومن المفيد لى ، وأنا نسّاء ، أن أقيدها حتى لا يفر معناها من ذاكرتى . على أن القلم والمداد والقرطاس ، كل أولئك ملك يدى ، وانتفاع المرء بما يملك حلال فى الشرع والقانون . فَلْأُقيدْ تلك السانحة ، وما علىّ أن يتظنى الأستاذ أنه المعنىّ بها مغفلا تصريحى بأنها غير موجهة إليه .

إن « التوقر » لفظ مقول بالتشكيك ، يتسع مدى اصطناعه ، ويضيق بالإرادة . والأستاذ ، على ما يبدو ، قد عمل على أن يبلغ من اصطناعه الغاية ، وقد بلغها فعلا ومرن عليها . فهو عندى وعند غيرى رجل متوقر متصوّن ، له فى القلوب ، على رياضة نفسه فى هذه السبيل الوعرة ، كل تبجيل واحترام . لكن غير الأستاذ — لا الأستاذ نفسه ، أستغفر الله العظيم — يسهو عن أن الإفراط فى التوقر يحور إلى ما يسمى « التزمُّت » فى عرف أمثالى من البسطاء . والتزمت — أجارك الله — متى أخذ بخناق الرجل نكّر خلقه . إنه يورثه الاقعنساس فيبدو مقعر الظهر ، محدّب الصدر ، منتفخ الأوداج ، محتقن الوجه ، بارز الحدقتين ، فى الأوج هامته وفى الحضيض همته . إن لم يكن كالمعلّق بحبل المشنقة ، فهو على الأقل « ضابط صف معلّمٌ بأورطة الأساس » ، يمشى متشامخاً مدلاً بكفايته بين أنفار القرعة المستجدين .

هكذا يفعل التزمت بصاحبه . ثم هو يخرجه فى تصرفاته عن المعايير المألوفة بين الناس . يجعله متى أراد إخراج الكلمة من فيه رطلا خرجت على الرغم منه

قنطاراً . وإذا أرسل صوته يميناً التوى فذهب شمالا . وإذا بصق أمامه على استواء، نكص البصاق إلى الوراء . هو يخرجه من فيه ، فيرتد لمآقيه فيعميه . وفى هذه الآثار المتعاكسات حكمة لله بالغة لا ندركـ نحن الآدميين كنهها .

ليس هذا فحسب . إن الله إذا ابتلى العبد بالتزمت كان بلوى لها ما وراءها . إنه محنة يسلطها الله عليه فتلد الوسوسة ، فتؤوف عباداته فتعطلها ، فيدخله النار . لا تدهش ، وارقب قولى تره منطقياً عليه ميسم شركة « أرسططاليس إخوان » لازيف فيه ولا تزوير :

أليس أن هذا « المتزمت » إذا أراد الوضوء أسرف فاستنشق عشراً ، وغسل اليدين إلى الإبطين — لا المرفقين — عشراً ، ومسح برأسه عشراً ، فنفدَ الماء قبل أن يتم التطهر ، فتعكر دمه فاحتدّ وسب . ثم طفق يصيح طالباً فضلة ماء . ولكن البئر انكسرت محالتها ، أو الدلو انقطع رشاؤها . والنهر بعيد . وفى هرولته نحوه أصابته شوكة فى رجله ، فاشتغل بإخراجها ، ففات وقت الصلاة ، فعاد إلى داره عرجان أسفاً ، ولازمها أسبوعاً مستعيناً عجائز الحارة على إخراج ما انكسر من الشوكة وسكن فى اللحم وعلى تضميد الجرح الناغر الأليم ؟ وفى هذا الأسبوع لا توضأ ولا صلّى ولا حيّ ! ؟

على أنه إذا سهل الله عليه فاستعد بالوضوء قبل دخول الوقت، وحضر الجماعة وأهلَّ الإمام بتكبيرة الإحرام ، وتبعه الناس فى يسر و بساطة، فإنك تراه قد خيّل إليه « التزمت » أن كل تكبيرات المصلّين ليست كما ينبغى ، لقصورهم عن درجة الكمال فى استشعار النية ، وتقصيرهم عن مشاهير الحفاظ فى تجويد مخارج حروف التكبير — خيّل إليه التزمت هذا النقص، فطفق هو يعالج التكبير كما يراه ينبغى. فعذب نفسه فى استشعار النية وفى التجويد ، وشوّش على المصلّين، واستمر فى إيذائهم حتى سلم الإمام ، وفاتت صلاة الجماعة قبل أن يفرغ مما ينبغى . ثم هو إذ

أتعب نفسه وأضناها فيما ينبغى للتكبيرة الأولى ، فإن ما أتى بعدها من أوضاع الصلاة يؤديه لا كما ينبغي ولا كما لا ينبغى بل كما يتفق أن يكون ، لأن المتعَب القلب والعقل لا يُطمع منه فى تحقيق ولا تدقيق .

ثم إذا دخل رمضان قدّم هـذا « المتزمت » ساعة جيبه ساعة قبل الإمساك ، من باب الاحتياط . ثم أخّرها ساعة قبل الغروب ، من باب الاحتياط والتمكين . فعذّب نفسه فى كل يوم من رمضان ساعتين لم يكتب الله الحرمان فيهما عليه .

ثم إذا أراد الزكاة أطفّ قدح البُرّ استيفاء واحتياطاً ، واتقى بكفيه سقوط حبة القمّة وما وليها . لكن حبة القمّة وأخواتها تعصى أمره وتطيع قانون الجذب فتسقط ، فيلتقطها ويعيدها للقمة ، فيسقط غيرها ، فيلتقطها فى عجلة ولهفـة ، فيختل الوضع ، فتسقط حبات كثيرة ، فيزيد فى لهفة الالتقاط ويزيد سقوط الحبات . ولا يزال فى هذه المشغلة حتى تتألب عليه عصافير الدار وحمامها ودجاجها ، فيطردها ، فتعاند ، فيجرى وراءها ، فينكفىء القدح ويتبعثر الحب ، ولا يلبث حتى يكون كله فى حوصلات الطيور والدجاج . فيسب ويلعن الزمان والمكان . وربما شرّد الغضب بعقله فلعن الزكاة ويوم الزكاة فكفر بالله عَدْواً فاستحق النار . وربما حمله الغيظ على خنق بعض الدجاج فمات فطيساً لا يأكله إلا الكلاب والهررة ، فكلّف زوجته رمي الميتة على الكومة ، فتأبّت لغيظها منـه ، فاعتركا ، فطلقها ، وخرب البيت ، فخسر الدنيا كما خسر الآخرة .

ثم هو إذا قدره الله فحج ركبه التزمت عند رمى الجمار . لا يريد أن يرميها إلاّ إذا رأى الشيطان بعينى رأسه حتى يستيقن أنه مصيبه . لكنه لا يرى الشيطان ، فيغضب ، وربما اتهم عينيه بأنهما هما اللتان لا تطاوعانه فى رؤية الشيطان ، فرجم نفسه فانشج رأسه فمات . ولعل موته هناك خير له لأنه نال الاندفان فى الأماكن

الطاهرة .ولعله خير لأهله لأنه كفاهم مؤنة تلقيه عند القدوم بالطبل والمزمار وهو متزمت لا يفك كشارته لا طبل ولا مزمار .

أرأيت إذن أن المتقعرين المتزمتين يستحقون النار أحياء وهم من أهلها أمواتا ؟ !

٨ — بعد ذلك يورد المحاضر أنه سمع أن عالماً اسمه القزوينى كان بباريس، وكان عمال البريد يختلفون معه على ما يرد إليه من الرسائل أله هي أم لغيره (وذلك، كما يبدو ، لأن الحروف اللاتينية كانت تتخالف فى تعيين اسمه والدلالة عليه) . ثم يذكر أنه وردت إلى أحد عمداء كلية الآداب السابقين دعوة من بعض الجماعات لتوحيد الكتابة بين أمم الأرض، فاتفق هو والعميد على إبلاغ الداعين أن يبدأوا هم أنفسهم بتوحيد كتابة لغاتهم ، ومن بعد يُنظر فى الأمر .

فأما حكاية القزوينى ، فحضرة المحاضر يعلم أن مثل هذا الاسم إذا تخالفت الحروف اللاتينية فى ضبط لفظه ولم تدل عليه بحروف بعينها ثابتة لاتتغير من كاتب لكاتب ، فان هذا ليس آتياً من عدم دلالة حروف اللغة الأجنبية على الأصيل من كلماتها ، بل مصدره لوكة اللسان التى تختلف من أهل لغة لأهل لغة أخرى . ألم يقل العرب فى « الفونس : الأذفونش » وفى « جريناد : غرناطه » وفى « مدريد : مجريط » ؟ وبقطع النظر عن هذا التحريف الآتى من تخالف لوكات اللسان فان كلمة « القزوينى » هى ، عند قراءة العربي لها مكتوبة بالحروف العربية، محلٌ لتخالف أكثر من تخالف أوضاعها إذا كتبت بالحروف اللاتينية . أليس العربى الذى يجهل من قبل أن هناك شيئا اسمه « قزوين » وأن هذا الاسم منسوب إليه — أليس أنه إذا أراد قراءته صحف القاف فثلث حركتها ثم فتح الزاى أو سكّنها أو شددها ، فنتج من هذه التصحيفات عدد عظيم من الأوضاع لا أريد أن أعنّى نفسى باحصائها بل أترك هذا الإحصاء لحضرة المحاضر ؟ ومع هذا فانى

لا أفهم ما رواه المحاضر من أن هذا الأستاذ القزوينى قد اضطر لتسجيل اسمه حتى لا يخطئ عمال البريد فى إيصال مراسلاته إليه — لا أفهم على أى وجه كان هذا التسجيل ، والكلام فى رجل مقيم فى باريس لا تأتيه رسائله معنونة بالعربية بل بالأحرف اللاتينية ؟ أى شىء يكون هذا القزوينى سجله ؟ أنا طبعاً أصدق حضرة المحاضر . وعدم فهمى لا يقتضي عدم تصديق ، فكم من أمور هى حقيقية فى ذاتها وعدم إدراكنا لها لا يمنعنا من أن نصدقها اعتماداً على ما نعرف من صدق المبلّغين . فأنا أصدق أن القزوينى سجل شيئا وإن كنت لا أدرى ما هو .

وأما مسألة الدعوة لتوحيد الكتابة، فإنى لو كنت مكانه ومكان حضرة العميد السابق لما فعلت غير ما فعلا، لأن الرأى فى مثل هذه الجماعات يكون للأغلبية، فلا أدرى إلى أى طريق أنا أساق . وعلى فرض استصحاب الحرية مع مثل هذه الجماعات فإنى واثق من قبل أن زمنى ضائع، لأن فى لغتى العربية نغمات لامثيل لها عند غيرنا من الأمم .

وعلى كل حال فالكلام عن القزوينى وعن تلك الدعوة كله حشو لا فائدة فيه .

٩ — بعد هذا قال إن الخليل بن أحمد هو الذى وضع «الشكل» وقد اختار له حروفاً من حروف الهجاء العربية .

_ وهذا خبر يجعلنا نترحم على الخليل بن أحمد لغيرته على العربية واجتهاده وسُعَه فى كشف غمة رسمها القاصر . أما فوق هذا فلا أهمية له فيما نحن فيه ، لأن الكل مجمعون على إفلاس الشكل سواء أكان واضعه الخليل بن أحمد أم كان عفريتاً من جن سليمان .

١٠ — يذكر حضرته من بعد أن الكلمات العربية ثلاثية الأصول تتفجر أصولها بالمشتقات، بخلاف اللغات الأخرى كالفرنسية والتركية ، فإن أصولها ثابتة لا تتغير بالاشتقاق منها . ثم يروى عن بعض المستشرقين إعجابهم بهذه الثلاثية

وأنها تشبه مُثُل أفلاطون. ولست أدرى ما أهمية هذا فيما نحن فيه؟ بل لست أدرك كيف يجعل حضرته المقتضيَ مانعاً على خلاف المقبول عند الناس ! ! إن الفرنسية والتركية وغيرهما إذا كانت أصولها ثابتة باقية على حالها مهما أخذ منها من المشتقات، فهذا الثبات أقرب إلى أن يكون من الدواعى لعدم تحميلها بحروف الحركات أو بعلامات الحركات . لكن الفرنسيين، على الرغم من هذا الثبات، يستعملون فى غضون أصولهم حروف الحركات ، والأتراك — كما يقول حضرته — كانوا أيضاً من قبل اتخاذهم الحروف اللاتينية قد استعملوا الحروف اللينة فى غضون أصول كلماتهم المرسومة بالعربية لضبط ما لحروف هذه الأصول من الحركات . أفما كانت العربية ، وأصولها تتفجر بالاشتقاق وتتغير به أوضاعها، هى الأولى والأحق بحروف الحركات لضبط أوضاعها المختلفة ؟ وعلى كل حال فإن الكلام فى هذا الصدد هو، كما ترى ، من قبيل الأدلة الخطابية المتخاذلة التى إذا عصرتها لم تجدها شيئاً ولم تدرك لها أية فائدة فيما نحن فيه .

على أن حضرة المحاضر فى هذا المقام قد خرج أيضاً ، فيما يختص بالأتراك ، عن الموضوع "الاجتماعى" إلى الميدان "السياسى"، فشكك فى الدافع لهم على اتخاذ الحروف اللاتينية ما داموا هم، من قبل ذلك بسنين، كانوا قد استعملوا الحروف العربية اللينة وغيرها فى بنية كلماتهم، حتى المستعارة من العربية، للدلالة على ما لها من الحركات . إن أقل ما كانت تجب مراعاته فى هذا الصدد أن الترك أعلم بمصلحتهم من المحاضر ومنى ومن غيرنا من الناس، وأنه ليس لأحد من غير رجال السياسة أن يتدخل فى البواعث التى حملتهم على تغيير حروف كتابتهم ، وأن قصارى مهمة رجال العلم إنما هى مجرد تسجيل الواقع وعدم التورط ، تصريحاً أو تلميحاً، فيما قد يكون من البواعث السياسية الدافعة إلى التغيير .

١١ — أما القطعة الأخيرة من المحاضرة فهى فى الموضوع حقيقة ، ولكن

واضعها لم يخترع فيها جديداً . بل هو يرى الأخذ بالمذهب الثانى وهو استبقاء الحروف العربيـة كما هى ، واستعمال الشكل على الطريقة الجارية الآن ، ولكن لا كلّه بل بالقدر اللازم منه لإزالة اللبس وتمكين القارئ من ضبط النطق الصحيح للكلمات . ومهما يكن هـذا ترديداً لرأى سبق عرضه على المؤتمر ، فإنه على كل حال كلام داخل فى الموضوع وصالح كل الصلاحية لأن يكون محلا للتقدير . على أنه كان فى وسع حضرة المحاضرأن يقتصرعلى التنويه بهذه الفكرة ، وأن لا يتعب نفسه فى حواش كثيرة خارجة عن الموضوع ، وأن لا يعنّيها بالاستشهاد بالمستشرقين وغير المستشرقين ، فإن المسألة مسألة بحث مادى واقعىّ لا تفيد فيها الشهادات اللفظية ولا التخيلات الذهنيـة ، بل كلامه هو وحده يغنيه ويغنينا عن مثل تلك الشهادات .

١٢ — ومن أبلغ ما رأيته انطباقا على آداب البحث والمناظرة قول الأستاذ العظيم فى الصفحة الأخيرة من بيانه الراق : « إن كان منا من يرى تاريخنا عاراً ، وماضينا سبة ، ويرى الخير فى أن نقطع كل ما يصلنا بهذا التاريخ ، ونستعير تاريخاً أو نعيش بغير تاريخ ، فله أن يدعو إلى نبذ خطّنا فيما ننبذ من تراث الأعصار والأجيال » . الله حىّ ! ! ! نحن فى جامعة فؤاد ، وفى كلية الآداب ، وفى معهد اللغات الشرقية ، وفى غرفة رئيس المعهد ، وأمام كرسيه العالى المنيف . أعلينا قوائمه ليفيض علينا نوراً للعقول وتهذيباً للأخلاق . فهل هذا كل ما أقدره الله عليه ؟ ! لعلّها فلتة بدرت ، ولعله مراجع نفسه فمحاسبها على ما كان . أما أنا فلا أحاسبه لأنها فلتة تجلّ فى نظرى عن كل حساب . فلأفرض أنى لم أقرأها ولأغط وجهها الدميم بالزفت والقطران ، ثم لأستغفر له الله .

١٣ — ومن أطرف ما يكون أن حضرة الأستاذ المحاضر اختتم مقاله الطويل بعبارة ينقلها مذعوراً عن أديب شرقىّ يصفه بأنه مغرم بحب مصر ،

هى : « إن مصر لو همت باتخاذ الحروف اللاتينية لقاطعناها » . بخٍ ، بخٍ !!

ياسيدى المحاضر ، إنى لا زلت ولن أزال أراك رجل علم ، ورجل العلم لا ينظر إلاّ إلى الحق فى ذاته ، ولا يعير التفاتاً إلى الفلتات الحماسيات الإيهاميات الكاذبات. إن الدونكيشوتية معنى قائم فى الوجود ، وسيستمر له عبّاد يتراءون عاكفين على محرابه حتى تقوم الساعة . نخفض عليك ولا تنذعر، ومصّ ليمونة من البنزهير ، أو حطّ فى بطنك بطيخة صيفية ، والبطيخ كثير الآن فى الأسواق . وإذا هالك غلاء الأسعار فإنى مستعد أن أقدم لك البنزهير والبطيخ ، وأنا ومصر المستفيدان . لأنها رشوة أقدمها لك حتى لا تنشر من عالى كرسيك بين شبابنا المثقفين مثل ما فهت به من تلك العبارات التهريجيات النابيات المحزنات .

الثانى والعشرون

١ — لاحظ المفكرون أن العربية الفصحى أصبحت بالنسبة للأجيال الحاضرة حملا ثقيلا ، لتشعب مفرداتها وتعقد قواعد نحوها وصرفها ، ولسوء رسم كتابتها . وأجمعوا — فى مصر على الأقل — على ضرورة تسهيل تلك القواعد وتيسير ذلك الرسم المضلل . ومن أهم ما اشتغل به المجمع اللغوى فى دورته التى انتهت فى فبراير الماضى مسألة الرسم . والمطلوب فيها أن يكون كل حرف فى الكلمة مؤدياً بذاته صورته الصوتية أداء صادقاً . أى يكون التلفظ به المدلولُ عليه بذات رسمه مبرزاً فى آن واحد لنغمته ، من جهة ، ولاتجاه حركته من ضم وفتح وكسر ، أو لسكونه أو تشديده أو تنوينه ، من جهة أخرى . وذلك لتوحيد كيفية القراءة ولعصمة ألسن القارئين كباراً وصغاراً ، متعلمين أو أنصاف متعلمين ، عرباً أو عجماً ، من اللحن والأغلاط .

٢ — وإذ كان كبار الاختصاصيين المشرفين على تعليم العربية بمدارس

الحكومة المصرية قد نعوا من النعى على طريقة « الشكل » وأكدوا عدم فائدتها فى هذا الغرض ، مستندين إلى مشاهداتهم واختباراتهم للطلبة بمراتب التعليم المختلفة ، وإلى الواقع المحسوس الذى يدركه كل إنسان من كلفة هذا « الشكل » ومن سوء أثره ، ومن إهماله فعلا فى المخطوطات جميعاً ، وفى شتى المطبوعات إلا ما ندر — إذ كان هذا، فقد تشخص حرج الحال للعيان، وأصبح من الضرورى ، للنطق باللغة على وجهها المقصود ، أن يُنظر فى طريقة أخرى غير الشكل لتعيين حركات الحروف فى الكلمات .

٣ — اقترح غيرى ما اقترح ، واقترحت أنا اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم العربية . واعترض علىّ معترضون كثيرون ، أهم ما فى اعتراضاتهم أمران يستوقفان النظر حقيقة هما : الخصوصية الاختزالية فى الرسم العربى العارى عن الشكل ، وآفة القطع بين حديثنا والقديم فى الرسم اللاتينى . وهما أمران أثرتهما — أو على التحقيق استثرتهما — فى اقتراحي ، وقلت فيهما ماقلت ، صحيحاً مقنعاً كان قولى أو غير صحيح ولا مقنع .

وإذ كان كلا الأمرين ماديًا يدركه بحاسة البصر كل مطلع بلا حاجة فى تصور ماهيته لشىء من الأقوال الشارحة ولا من الأقيسة المنطقية — إذ كان هذا ، فقد امتلأتْ بهما الاعتراضات . لكن ماذا عسى أن يقول المعترضون ؟ إن اقتصروا على إثارة ذينك الأمرين من دون أن يقدموا بين أيدى اعتراضاتهم أسباباً طريفة تدعمها دعماً ينصاع له العقل ، كانت اعتراضاتهم كابيةً أو بائخةً ، ما داموا هم لا يرددون إلا اعتراضى على نفسى ، وما دام موضوع الاعتراض ماديًا يستوى فى إدراكه والإدلاء به العالم والجاهل . وهم لا يحبون أن يظهروا فى الناس مظهر البائخين . أيسكتون إذن ؟ كلا ، إنها فرصة للكلام إذا فاتت فقد لاتعود . إذن فليطيعوا أمر أحلامهم ، وليتكلموا ، ولكن لا بما يهوى الجدّ والرجولة ، بل بما

تهوى أنفسهم. وأنفسهم صغيرة تطمح لا للإفادة والاستفادة ، بل للتعالى الرخيص . وهم لامادة عندهم حتى ولا للتعالى الرخيص. فليمضوا إذن فى التعالى الخسيس : التطاول من قصَر . وهكذا مضى كل المعترضين إلا قليلا ممن عصم الله . عمد بعضهم إلى الدين فتكلموا باسمه، كأنما وكل الله إليهم أمر عباده . ورأى بعضهم خير طريق يرفعهم إلى ذروة المجد هو اصطناع الكلام الغليظ ، معتمدين على أن العوام كثيراً مايفيضون على الشغّابين صفة الفتوة المبيحة للافتخار ، والحقيقةِ فى نظرهم بالتجلة والإكبار . وفات المساكين أن هذه المرقاة لا ترفع ذواتهم إلا لتنقلب فتهوى بهم فى مكان سحيق .

٤ — وبينا أنا أفكر فيما انتاب بعض الناس من التحلل الخلقىّ إذا بأحد موظفى المجمع يناولنى عدداً صادراً فى ٧ آيار سنة ١٩٤٤ من صحيفة اسمها « المجلة » تصدر فى بغداد . قرأت فيها أن صاحبها استفتى قومه فى شأن ما ينبغى اتخاذه من أنواع الحروف لرسم العربية . ثم دوّن رداً أتى إليه من « معالى السيد كامل الجادرجى » . قرأت هـذا الرد فألفيت واضعه يعترض اعتراضاً شديداً على ما اقترحته من اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم العربية . وعلى الرغم من هذا قد وقع فى نفسى لهذا المعترض من التقدير والاحترام ما لم يقع قبل لمعترض ولا لموافق . ذلك أنى لمست فى كل سطر من أسطر اعتراضه دليل الفطنة وسعة الاطلاع ، وعلى الأخص سِيما الكيِّس وكمال الرجولة .

٥ — هذا الرجل المتزن يقوم مقاله على الفكرات الآتية :

(١) إن خصوصية الرسم العربىّ أنه اختزالى، ومن مصلحة أهل العربية الاحتفاظ به ، لأن العالم الذى يسير فى أموره الآن بمـا يشبه سرعة الكهرباء محتاج فى تثبيت أفكاره إلى أخصر رسم وأوجزه، ولذلك اخترع الكتابة الاختزالية، ولـكن رسومها مبهمة معقدة صعبة التعليم والتحصيل والتفسير ، فى حين أن رسمنا العربى الاختـزالىّ بوضعه ، والقابل لزيادة اختزاله عمـا هو عليه ،

هو رسم واضح المعالم يستطيع ممارس العربية قراءة ما هو مكتوب به من زيادة عن ألف سنة إلى اليوم .

(٢) إن رسمنا العربى إذا كان لا يقبل وضع حروف أو إشارات للحركات ملتصقة بهيكل الكلمات ، فإن ضرر ذلك منحصر فى خفاء حركة الحروف وحركة الإعراب على القارئ . وهذا ضرر يساويه ، بل يربى عليه ، ضرر ضبط الحركات بإشاراتها أو بأحرفها ، وخصوصاً بالرسم اللاتينى . لأن هذا الضبط يستدعى أن يكون الكاتب ملماً إلماماً تاماً بالفصحى حتى لا يخطئ فى الكتابة فيشوش أوضاع اللغة ، ويسرى هـذا الخطأ والتشويش من بعد إلى القارئين .

(٣) إن الأولى فى العلاج ، والحال ما ذكر ، إنما هو النظر فى تيسير قواعد نحو اللغـة وصرفها لتهوين أمرها على الناس . وهو يقرر فى وضوح وجلاء أن تلك القواعد أصبحت وزراً وحملا ثقيلا على الأجيال الحـاضرة بل على ممارسيها الاختصاصيين أنفسهم . ثم هو لا يقف عند مجرد القول، بل يذكر أمثلة مما يرى إمكان ورود الإصلاح عليـه : يذكر أن لا لزوم للتذكير والتأنيث فى ألفاظ العدد ، ولا لزوم لجر الممنوع من الصرف بالفتحة ، ولا لنصب جمع المؤنث السالم بالكسرة ، ولا لعدم إعمال حرف الجر فى المبنى من الظروف ، وأن توحد حركة عين المضارع فى جميع الأحوال[1] .

ويرى أن لا محل ، عند ما يكون الفعل مؤخراً عن الفاعل ، لأن تكون الجملة مركبة من مبتدأ وجملة هى الخبر ، بل يكون التركيب جملة واحدة مركبة من فعل وفاعل أو مسند إليه ومسند . وهو لا يستبد برأيه ، بل يكل الأمر

(١) وإذن فتطبيقاً لرأيه يجوز أن يقال : أربع رجال وأربع نساء . فى مساجدٍ . رأيت نسوة مجتهداتاً . جاء من قبلِ . نضرب ، نخرج ، نأكل ، بالفتح فى الكل أو الكسر فى الكل أو الضم فى الكل .

فى ذلك جميعه للمختصين . على أنه غير متردد فى الاعتراف بأن مثل هـذا التيسير يفقد الناس سجية حاصلة لهم الآن فى التلفظ بالكلام العربىّ . ولكنه يقول إن السجية عادة وإلف ، وإن الزمن كفيل بطبع الناس على مثل ما يرى من هـذه الوجوه الإصلاحية التى يقول إنها تسهل اللغة من غير مس بجوهرها .

(٤) لا نغير رسم كتابتنا إلا إذا أجمعت أمم العالم على رسم واحـد لكتابة كل اللغات ، فعندها يكون لا محيص لنا عن متابعتها .

كل ذلك يورده صاحب المقال فى عبارات مفصلة سهلة متزنة يأخـذ بعضها فى الاتساق بيد البعض ، لا تشم فيها رائحة الشغْب ولا نية الاستعلاء الكاذب ولا الاتجاه لتطاول القصار . بل تتنسم منها إرادة الإصلاح ليس غير ، وتتحقق فيها الرجولة التى تدفعك إلى إكبار الواضع .

٦ — والآن هل يسمح لى هذا الرجل النزيه التفكير أن أفضى بملاحظاتى على ما خط من قيِّم البيان ؟ إن سمح قلت له فى إخلاص يمازجه الاحترام :

يا سيدى العزيز ! إن فكرة اختزال الرسم العربى وضرورة عدم مسه ، وفكرة السعى لعلاج العربية من طريق واحدة هى طريق تبسيط قواعدها ، هاتين الفكرتين اللتين يقوم عليهما بيانك الشائق قد سبق أن أثارهما قومنا — كما أسلفت — ورددت عليهما بالمقدار الذى يستأهله كلام مثيريهما . وصببت ردى ، فى الأغلب ، على مسألة الرسم وحدها دون مسألة تبسيط القواعد . لأن مسألة الرسم هى الجارى فيها الكلام الآن ، وهى التى قدمت بشأنها اقتراحى الخاص بالحروف اللاتينية . أما مسألة تبسيط القواعد فأنا وغيرى متفقون عليها ، ولم يقم فى أصـل مبدئها أى خلاف ، بل الخلاف هو فى كيفية هذا التبسيط وعلى أى وجه يكون .

وإنه مهما يكن الدليل الأقوى الذى تمسكت به فى ردودى بشأن تيسير الرسم

العربى هو إجماع رجالنا الرسميين وغير الرسميين على وجوب تيسيره ، وتكليف مجمعنا اللغوىّ به فى اللائحة التى يجرى عليها فى أعماله — مهما يكن من قيام هذا الدليل على وجوب تيسير رسم الكتابة ، ومهما يكن له من قوة ، فإنى — تلقاء بيانك المتزن — أصرف النظر عنه ، وأفرض عدم قيامه فعلا ، وأنظر للمسألة على اعتبار أنها وليدة اليوم . فماذا أرى فى بيانك ؟

٧ — أراك تقرر أن رسمنا اختزالىّ لا يحتمل وضع حروف الحركات ولا إشارات الحركات فى غضون هيا كله . ثم تنصح باستبقائه كما هو ، وعدم محاولة وضع شىء من تلك الحروف والإشارات فى غضونه ، لا تالياً للحروف متصلا بها ولا خارجاً منفصلا عنها ، لأن هذا يخل بخاصته الاختزالية ، ومنفعة هذه الخاصة ، فى نظرك ، أكثر من إثم التصحيف . بل تذهب إلي أن الحرج يزداد باتخاذ تلك الحروف والحركات .

٨ — الظاهر ياسيدى أننا غير متفقين اتفاقاً واضحاً على الغرض الذى نسعى إليه . فلنتفق عليه ابتداء ثم ليتكلم كلانا بعد بما شاء . أنا أريد المحافظة على العربية الفصحى وأنت تريدها كذلك . فلنحدد بالنص الصريح ما هى تلك الفصحى التى نريدها جميعاً . أما أنا فلا أرى مثالا للفصحى غير القرآن الثابت نصه بالتواتر ، فلغته هى وحدها المعْنِيَّة لى عند ما أذكر الفصحى . وأحدد أكثر فأقول : إن لغته المعْنِيَّة لى هى ما تكون الأقيس والأسهل من وجوه قراءاته . فقراءة « إنَّ هذين لساحران » هى المعنية لى دون « إنْ هذان لساحران » مثلا . وإنى لمقتنع كل الاقتناع بأن لغة القرآن هذه التى أعنيها هى أوضح وأسمح وأيسر من كل النصوص العربية التى ترامت لنا من أقوال الجاهليين وشبه الجاهليين . بل إنها، من حيث جمال اتساقها وسهولة فهمها ويسر جريانها على الألسن، هي المثال المعجز للسهل الممتنع . وإذا كان فيها شىء من الغريب فقدر ضئيل . ومع هذا فقد أصبح، لكثرة التكرار

فى المناسبات المختلفة ، مألوفاً عند الناس يفهمونه فى الجملة ، وقليل من العناية يكفى كيما يفهموه على وجه التأصيل والتعيين . هذا هو رأيى محدداً . فهل لسيدى خلاف فى هذا ؟ إن كان له خلاف أمسكت عن الاسترسال فى القول . ولكنى ما أظن أن له خلافاً ، فإن تلك الفطنة وذلك الكيْسَ لا أتصور من جانب صاحبهما أى خلاف فى هذا التنصيص والتحديد . وإذن فلنعتبر أن هذا هو وحده الغرض المتفق عليه .

٩ — تُفْهِم عبارات السيد أنه يرى أن رسم كتابة اللغات إطلاقاً ، فى يوم الناس هذا ، يجب أن يكون اختزاليًّا ، وأن العربية سبقتها جميعاً بالفوز بنعمة الاختزال . وواضح أن الذى حدا بالسيد لهذا التقرير ما يراه من لجوء أهل اللغات الأخرى إلى اختراع الاختزال (Sténographie) . لكنى أنا ياسيدى أرى فى هذا الخصوص غير رأيك . أرى أن الرسم صورة حسية منظورة للألفاظ المنطوقة أو للتراكيب اللغوية المعبرة عن المعانى الجائلة بالخاطر . أو هو ترجمان يعبر عن تلك الألفاظ والخواطر فى صمت وسكون ، ومن صفاته أنه لا يتعب سمعك بل يتجه مباشرة من بصرك إلى عقلك فيصب فيه ما هو مكلف بترجمته من الألفاظ والمعانى . وإذا استنطقته واستلفظته أبى أن يتقدم عليك ، بل وكل إلى لسانك أنت أمر اللفظ والبيان .

١٠ — أنت إذن بالخيار . إن وقفت عند اعتبار الرسم صورة ، فالعقل لا يسكن إلاَّ إلى الصورة المطابقة لمصوَّرها . هبك نظرت صورة إنسان لم يخرجها المصوِّر على ما خلقها الله ، بل جعلها بعين واحدة أو أذن واحدة أو جعل فمها فى قفاها وأنفها فى قمة رأسها ، أفتسكن نفسك إليها ؟ من المؤكد لا . كذلك صورة اللغة إن لم تَستوْفِ لوحتُها بيان الفاعل وبيان المفعول وبيان المتضايفين مُعلَماً كلٌّ منها بعلامته التى تخيّرها له واضع اللغة ، أو لم تَستوف فى صيغ الأفعال علاماتِ

البناء للمعلوم والبناء للمجهول وما إلى هـذا من العلامات المقررة فى أصل الوضع المعانى المختلفة ، كانت لوحةً بتراء مشوهـة تنكر العين رؤيتها وترفض النفس السكون إليها فى الدلالات اللغوية .

١١ — أما إن اعتبرت الرسم ترجماناً فإنى أرجوك أن تسمع لى : هبك مُنِيتَ بترجمان يرصّ لك نغمات من نغمات أحرف الهجاء متتابعةً بدون حركات ، ويتمتم لك مَلفَظها تمتمة أنفية ، ويكل إليك تقليده فى الملفظ ، فهل تفهم منه شيئاً أو تستطيع محاكاة تمتمته ؟ لا شك أنك إن ملكت شعورك ولم تخنقه ، فإنك على الأقل تصفعه على قفاه وتطرده من خدمتك . وهنا أبادر إلى القول بأن هـذا الترجمان الأبكم مستحيل الوجود ، لأن بين النغمات والحركات تلازماً وتضامناً فى مُكْنة الانبعاث . فالنغمات لا تظهر بدون الحركات والحركات لا تظهر إلا معتمدة على النغمات . فَكَّ الآن عروة من عصام كنانتك يخرجْ لك منها ترجمان من صنف أرقى نوعامّا ، هو الصنف الجارية عادتنا الآن باستخدامه . رُقِيُّ هـذا الترجمان الثانى ينحصر فى شىء واحد ، سلامتِه من العِيِّ والحصَر . إنه يبصِّرك مقدّما بمبلغ مساعيه فى خدمتك حتى لا تتأذى فى العاقبة وتحنق وترجع عليه باللائمة . إنه يقول لك : أنا رسام ماهر أرسم نغمات كل ما تنطق به أنت والناس من الألفاظ ، وكل مايدور بخاطرك من المعانى ، مما هو معدّ لأن تنطق به فعلا أنت وغيرك من الناس ، ولـكنّ قرطاسى ضيق الرقعـة ، ووقتى أثمن من أن أضيعه فى وضع علامات الحركة لحروف الألفاظ ، تلك العلامات المعدّة للتفريق بين المعانى المختلفة المستعملة فيها الألفاظ . فأنا لا أسرف فى القرطاس ، ولا أبذر فى الوقت ، ولا أضع لك تلك العلامات ، بل أكتفى بأن أنطق بتلك الألفاظ مرة واحدة أثناء الرسم على وجهها الذى تريده ، مستعيراً لسانك أنت أثناء النطق . وما علىّ من بعدُ أن تنسى أنت أو أولادك أو غيركم وتخلّطوا وتقلبوا الأوضاع المقصودة لى

رأساً على عقب بنطقكم المخالف لنطق عند الرسم ، اعتماداً منكم على أن ما تأتون به من التخليط لا يخلو فى غالب الأحوال من أن يكون له معنى بحسب قوانين العربية ، وإن كان معنى يبعد عن أصل المراد عند الرسم بعد ما بين القطبين . هذا التبصير يشوقك ويعجبك بل يملّقك بادئ الرأى ، لأنه يصادف هوى فى فؤادك . إذ القرطاس فى واقع الأمر قرطاسك والوقت وقتك ، والنفس الإنسانية مجبولة على الضنّ بما تملك ، وعلى الاستنامة لكواذب الأحلام التى تهيئ لها القدرة على حياطة ما تبنى من قصور الماديات والمعنويات وعلى صيانتها من عوادى الدهر . أنت إذن تقبل التبصير وتشكر للترجمان صراحته . ويتم الرسم على هـذا الوجه ، والارتياح مالئ جوانب نفسك . ولكن ! . . . لكن الواقع فى كثير من الأحوال أن هذا الترجمان الراقي لا يمتاز عن ذلك الأبكم الذى غضبت عليه . إن رسمه الذى سرك إذا ما صار فى غيبتك إلى أولادك أو عشيرتك الأقربين فربما نطقوه بخلاف ما أردت وأراد لك الترجمان . وربما وقعت بينهم العداوة والشحناء ، وأصبحوا أحلاساً لمكاتب المحامين ولدور القضاء . لأن لكتابك وجهين محتملين ، أحدهما يعطى والآخر يمنع . ومن يرى الإعطاء يُلحّ ، ومن يرى المنع يُمسك ، فيقوم العراك . أما إذا وقع مثل هذا الكتاب لغير هؤلاء ممن لا يُهمهم الاحتفاظ بسمعة الكاتب ، فإنهم ، فوق هلهلتهم إياه فى القراءة ، وتقويلهم صاحبَـه ما لم يقـل ، لا يتورعون عن تشريح عقله وعن البحث فى شرائحه عن نيات يزعمونها له تتفق وما صدق عليـه تصحيفهم . وقد ينتهى بهم البحث إلى تكفيره والحكم بأنه من أهل النار . لأنهم لما تناولوا بعض جمله المكتوبة نصبوا لفظ الجلالة فجعلوه مفعولا ، ورفعوا لفظ إبليس فجعلوه فاعلا ، وسياق العبارة قاض بشرف مكانة الفاعل وحقارة مكانة المفعول . ومن هنا يأتى التكفير . والناس إلى الشر أسرع . ومهما يحاول هذا الكاتب الإدلاء للناس بالنطق الصحيح ، والاستعاذة بالله من الترجمان

الذى اشترط عليه عدم تقييد الحروف بحركاتها ، ومهما يقل لهم إن جلة المسلمين فى كل بقاع الأرض يطيعون هذا الترجمان ويقبلون شروطه — مهما يقل أو يفعل للتخلص من استحقاق النار فما هو بناج عند الناس فى هـذه الحياة الدنيا من حكم النار .

أرأيت إذن أى شر جلبه سوء الرسم على المرء فى ولده وفى دينه ؟ وإنه فى نظرى ليستأهل ، لأنه قصّر فى حق اللغة فجعلها أعوبة فى أيدى المصحفين .

١٢ — كأنك تقول مالنا وللصورة والترجمان وزيادة الفيهقة فى بيـان الآثار اللازمة عن تعوير الصورة وتحريف عبارة الترجمـان . تقول هـذا وتلومنى على الإسهاب فى معنى واضح ، وبسيط لدرجة التفاهة . لاتقل ولاتلم ، فإن البديهيات العقلية أشد التصورات بساطة ووضوحا ، والتعبير عنها يقع موقعا أتفه من التفاهة . ومع هذا فإنها أساس سلوك الناس فى الحياة ، وعليها عمارة الكون . إن بداهة ضوء الطريق ووضوح معالمه إذا كانت الشمس طالعة ، هى التى تدفع بالإنسان إلى السير فيه سعيا وراء الرزق ، وبداهة الإظلام إذا كانت الشمس غائبة ، هى التى تحجبه فى بيته وتمنعه عن المسير خشية الارتطام فى حفرة ، أو تلجئه إلى اتخاذ مصباح كيما يستطيع الكتابة والقراءة أو تناول ما يريده من الأشياء .

١٣ — على أنى أعفيك من هذه البسـائط التى تحسبها تافهة . أتنكر أن الأحداث التاريخية من أدلّ الدلائل على اتجاه عقول بنى الإنسان فى هذه الحياة ؟ انظر أحداث التاريخ فى الشأن الذى نحن فيـه بخصوصه ، شأن رسم الـكتابة . إن المصريين بدأوه تصويريا يعبر عن الفكرة بالصورة . لـكنهم مالبثوا أن ضاقوا ذرعا . لأن مفردات اللغة ليست مقصورة على أسماء الذوات التى لهـا صور تدرك بالحس ، بل فيها أيضا كثير من أسماء المعانى كالعلم والجهل والعدل والرحمة والشفقة والطيش والشجاعة والجبن وما ماثل ذلك . وبعض هذه المعانى إذا أمكن الاحتيال

عليه بالتصوير التقريبي ، فإن بعضها الآخر يستعصى على التصوير . وهم فى معاملاتهم وأحوال مدنيتهم يريدون الإبانة والإفصاح . فضرورة الإبانة حفزتهم إلى الكتابة المقطعية، وهى تشخيص الألفاظ اللغوية نفسها بصور ذوات أوائلُ أسمائها من مقاطع اللفظ المراد تصويره . فكان اللفظ ترسم له عدة صور بمقدار تعدد مقاطعه ، فينطقون المقاطع الأولى من مسميات الصور فيكون مجموعها هو اللفظ المروم . أو ليس أنهم ضاقوا أيضا بهذه الطريقة ، لأنها لاتسعفهم بالبيان والإيضاح ، ولأن السواد الأعظم لايستطيعها ، فأعملوا فكرهم ، فتوصلوا لوضع رموز خاصة ، كل منها يعبر عن نغمة من النغمات الدائرة فى الألفاظ ، فكان هـذا مبدأ الهجاء المعروف ؟ أو ليس أن الفنيقيين أتوا من بعد فاستفادوا من عمل المصريين، فوضعوا أحرفاً للهجاء مستوفاة ، وعنهم أخذ اليونان وأهل آسية ؟ أو ليست كل تلك التطورات تدلك على اتجاه العقل الإنسانى فى رسم الكتابة إلى البيان والإفصاح وإلى التيسير فى البيان والإفصاح ؟ فمن صور لايستطيعها إلا بعض المتخصصين ، وهى فى ذاتها يتعذر أن تؤدى كل المعانى اللغوية ، إلى هجاء مقطعى يستلزم التصوير الذى لا يقدر عليه إلا المتخصصون أيضاً ، إلى حروف نغمات تؤدى نغمات الكلمة ، وهى إن قصّرت عن بيان حركتها ، فإنها على كل حال أوسع فى البيان مدى وأقل مؤنة على سواد الجماهير ؟ ثم انظر ماذا دونه التاريخ من بعد . إنه يذكر لنا أن الحروف الفنيقية كانت لاتؤدى إلا نغمات متراصة خالية من الحركات، وأن اليونان لما أخذوها ضاقوا بها فأدخلوا فى الكلمات حروف الحركات ، فاستطاع الناس أن يقرأوا اللغة قراءة صحيحة مطابقة للملفوظ به من الكلام . أو ليس التاريخ يروى لنا أيضاً أن إدخال حروف الحركات كان فتحاً جديداً وفخراً خالداً للعقـل اليونانى ؟ أو ليس أن أهل أوربا إطلاقاً نقـلوا عن اليونان حروف الكتابة ، وفيها حروف الحركات ؟ حتى الأمم الآتية إليها من آسية ولم يكن فى رسم لغتهم حروف حركات ؟ وإذن فاتجاه

العقل الإنسانى فى أطواره التاريخية المعروفة دال على أنه متطلع بالاستمرار فى أمر الكتابة إلى الإيضاح والتبيين والمطابقة بين ملفوظ اللغة ومكتوبها . ولم يثبت قط فى التاريخ ميله فى الكتابة إلى التعمية والتجهيل .

١٤— لنترك هذا الكلام العام . ولنحصر القول فى الرسم العربى بوجه خاص . فهل يرى السيد أن اتجاه الأقدمين فيه كان إلى الاختزال ؟ كلا ثم كلا . إن العرب ضاقوا أشد الضيق برسمهم الاختزالى السخيف . وهذا معنى متسع يجيش بالصدر ، وليس فى الناس أحق منك ومن أهل العراق بسماعه ولا أقدر منكم على فهم ظاهره وخافيه ، والاقتناع بأنه حق لاريب فيه .

أليست دجلتكم تتحدر من جبال أرمينية ؟ أو لستم أعلم الناس بأنه وقت فتح ذلكم الإقليم تخالف جنود المسلمين فى قراءة القرآن وكاد بعضهم يكفِّر البعض، وأن عثمان بن عفان لما بلغه الخبر خشى سوء العاقبة فسارع إلى جمع القرآن وإرسال نسخه للأمصار ، لتكون هى الثَّبَتَ الذى يُرجع إليه ، وقد جعلها فى كل جهة تحت مراقبة الحفاظ المتدينين المأمونين الذين عليهم المعول فى رواية هذا المصدر الأساسى للدين ؟ تلك حادثة أولى يدونها التاريخ . فقل لى ما مبعث هذا التخالف ؟ هل النُعَرة فيمن حضر الفتح من قبائل العرب حملت كل قبيل على أن يخترع قرآنا ، وتعصب كل قبيل لقرآنهم، فكان التخالف وكانت المشادة ووشك التكفير ؟ قطعاً لا. أنَزَلَ القرآن نفسه متغاير الآيات بعينها، فى السورة الواحدة بعينها، متخاذل المعانى فى تلك الآيات ؟ قطعاً لا أيضاً . إذن لم يبق من مبعث للشر إلا سبب واحد هو سوء رسم العربية. لقد كان القراء قليلين ، والكتاب أقلَّ من القليل، والرقاع أندر من الندرة . فأيُّما قبيلة ظفرت بصحيفة مكتوب فيها سورة أو بضع آيات من سورة ، حرَصت عليها ، وتعبدت بتلاوتها على الوجه الذى استطاعت أن تقرأها عليه . وإذ كان رسم الكتابة إذ ذاك أشد اختزالا مما هو الآن ، لتجرده من النقط

والألفات الممدودة ، وكان الكتاب بدائيين لا يستطيعون ضبط الكتابة حتى برسمها القاصر السخيف — إذ كان هذا فان باب الخطأ والتصحيف كان مفتوحاً على مصراعيه . ويكفى أن يكون للألفاظ ، بعد تصحيفها ، معان تتلاءم قليلا أو كثيراً ، حتى يمضى القارئ فى قراءته ويتعصب لها.

أرأيت إذن يا سيدى مبلغ الضرر الذى نشأ فى أول الإسلام عن سوء الرسم ووجازته وقابليته للتصحيف ؟ فهل لا زلت مصراً على رأيك من مزية اختزال رسمنا العربى وكونه قابلا لزيادة الاختزال ؟ إن كنت لا زلت على هذا فالأمر ، فى حماية الفصحى ، لله .

١٥ — على أن عثمان إذا كان له عند الله وعلى المسلمين يد بجمعه القرآن، فإن عمله لم ينحسم به الشر من أساسه . كل ما كان أنه كفى المسلمين شر جهل الكاتبين الذين لم يحسنوا كتابة ما لديهم من الصحف حتى على قاعدة الرسم العربى السخيف، ثم شر من كانت لديهم صحف كتبوها فى أوقات متباعدة وفُرَص متفرقة ، فأتت بطبيعة الحال غير وافية أو غير مراعًى فيها ما للقرآن من ترتيب فى السور والآيات. أما منبع الشر الحقيقى ، وهو رسم العربية القابل لكل تصحيف ، فبقى على ما كان عليه، ولم يُعالَجْ بشىء أكثر من إيكال الأمر فى كل مصرٍ إلى الحفاظ المتدينين الصالحين . وهو فى ذاته علاج واهن ضئيل . ألا ترى أن المسلمين استمروا ضائقين خائفين من التصحيف، وأنه لم يمض إلا قليل حتى قام الحجاج بن يوسف — وكان عندكم بالعراق عاملا لعبد الملك بن مروان — فعمل على تنقيط الحروف فى كلمات القرآن ؟ وهذه حادثة ثانية يرويها التاريخ . ولم يبعث عليها مزية اختزالية رسم القرآن . بل الباعث هو ضرر هذه الاختزالية الموقعة للناس فى الضلال ، وضرورةُ الإيضاحَ والتبيين .

١٦ — لم يمض بعدُ إلا قليل حتى كانت التجاريب المتعبة التى قام بها السلف، ومنهم الخليل بن أحمد ، قد انتهت بوضع الشكل توضيحاً لرسم حركات الحروف

فى كمات القرآن وغير القرآن . وهذه حادثة ثالثة يرويها التاريخ . وليس لها من مبعث سوى ضيق الناس بإبهام طريقة النطق بكلمات القرآن وغير القرآن، ووجوب توضيح هذه الطريقة منعاً من الوقوع فى خطر التصحيف .

١٧ — يدلنا الواقع فى كتب السلف من العلماء على شدة تغيظهم من رسم الكتابة ، وعدم اعتمادهم، لا على التنقيط الذى أتى به الحجاج ، ولا على الشكل الذى اخترعه مَنْ بَعدَه، مهما يكن هذا الشكل قد حسّنه من أتوا بعد مخترعيه . نجد أولئك السلف يضبطون الألفاظ فى كتبهم بألفاظ مثلها. فيقولون: بالثاء المثلثة الفوقية، بالجيم الموحدة التحتية ، بالضم ، بالكسر ، وزان قمر ، وزان سحاب . . . الخ . وهو من جانبهم عمل زائد يأتون به حتى لا تجنى سخافة الرسم ووجازته على ما يكتبون . وهذه حادثة رابعة كلية شائعة فى كتب الأقدمين .

فالتاريخ يدلنا على أن الاتجاه فى العربية بخصوصها إنما كان نحو التخلص من اختزال رسمها وقصوره .

١٨ — إنك ياسيدى إذا استطعت أن تعدّنى متزيّداً بما تبسطت فى الكلام على الصورة والترجمان ، فإنك لا تستطيع بحال أن تخرج من ربقة التاريخ ودلالة حوادثه . فإنى لست أنا الخالق للتاريخ . وليس لى ولا لك سيطرة على حوادثه . بل كلانا منفعل بها مساير لتيارها . ومن لا يعترف منا بقوة هذا التيار جرفه وأقصاه . فأرجوك أنت وقومك أن تتدبروا ما أقول . ولعل زيادة التأمل توفقكم إلى الإقرار بوجوب تعديل رسم كتابتنا العربية على الوجه المفصح المبين . وما يهمنى أن يكون الإفصاح باللاتينية أو الوقواقية . كل ما أريده الإفصاح لا شيئاً غير الإفصاح . غاية الأمر أن نظرى الضعيف استقر بعد التأمل الطويل على أن الحروف اللاتينية هي وحدها وسيلة النجاح ، ولا زلت منتظراً من يدلنى ، بحق ، على وجه خطئى فى هذا النظر الغريب .

١٩ — على أني لا بد لى هنا من تقرير حقيقة يثبتها الاستقراء . وهى أن أهل اللغة كلما كانوا عليها أحنى وأحرص، وإلى الاضطلاع بها أنشط، كانت صيحتهم لتقويم رسم كتابتها أعظم . هكذا كان الحال أيام عثمان بن عفان وأيام عبد الملك ابن مروان والحجاج بن يوسف ، وأيام الخليل بن أحمد ، وأيام من بعدهم من العلماء الذين اشتد حرصهم على العربية فكانوا يضبطون ألفاظها بالألفاظ . وهكذا الحال الآن ودبيب النهضة اللغوية العربية يدب فى بيئتنا المصرية وفى بيئتكم وسائر البيئات العربية الأخرى . والعلة فى هذا ، وما أظنها تخفى عليك ، هى أن أهل اللغة متى تنبهوا لخدمة لغتهم وإعزازها ، وأخذت ملكتها تسيطر على ألسنتهم ، أرهفت هذه الملكة حسهم وجعلتهم لا يطيقون عبث من يهدر قواعدها ولا يراعى حقوقها عند قراءة شيء من نصوصها . بل هم يتأذون ويتألبون صارخين طالبين توضيح معالم رسمها حتى يسقط عذر القارئ، ويزول مصدر اللحن الذى يؤذى لغتهم العزيزة عليهم كما يؤذى أسماعهم . وهذه العلة النفسانية تدور مع معلولها وجوداً وعدماً . ألا ترى أنه إبان الركود اللغوى ، التابع للركود العقلى ، قلّ أن يفكر أحد فى اللغة ولا فى صونها أو عدم صونها من اللحن والأخطاء ؟

٢٠ — إذا تقررت هذه الحقيقة ، واعتقدتها وانفعلت بما تعتقد ، سقط حتما ما ارتأيتَه فى مقالك الجميل من أن رسمنا الحالى ينبغى أن لا يمس مهما يكن مضللا ، ومن أن العلاج الوحيد للعربية لا يخرج عن تبسيط قواعدها — سقط لأنك ترمى بتبسيط القواعد إلى تقريب الفصحى للناس وتحبيبها إليهم وحملهم على التمرس بها . وها أنت ذا ترى ، مما أسلفت، أنهم كلما كانوا بها أعلم كانوا على سلامتها فى الألسن أحرص ، وإلى التأذى من العابث بها أوحى وأسرع ، وإلى الصياح بطلب إفصاح رسمها أثور وأقوم .

٢١ — على أنك ياسيدى فى رأيك هذا الثنائى الطبيعة : بقاء الرسم لاختزاليته

وتبسيط القواعد لنشر راية الفصحى ، كمن يبنى بيد ويكسر بالأخرى آلة البناء .
إنه لا يغيب عن سيدى أن محبي العربية مهما عملوا فلن يستطيعوا مغالبة قانون التطور إلا إلى حد محدود . إنهم لا يستطيعون القضاء على اللهجات العامية فى كل بلاد العربية . بل كل الذى أطمع فيه أنا وأنت وغيرنا إنما هو بقاء لغة القرآن حية يمارسها من الناس أكبر عدد مستطاع . لكن هذا العدد مهما يكبر ، فإنه قد لا يبلغ خمسة أو عشرة فى المائة من مجموع أهل العربية . أما تسعة أعشار الناس فسيقيمون على لهجاتهم العامية على الرغم من مساعيك ومساعيّ ومساعى غيرنا .
وأنت يا سيدى لايفوتك أن الشأن فى اللغات كالشأن فى سلع التجارة ، رخيصها يطرد غاليها . فالعوام بلهجاتهم الرخيصة سيبقون سابقين للخواص بفصحاهم النفيسة. وسيُعينهم دائماً أنهم أكثر عدداً . وسيضطر الخواص دائماً إلى مخاطبة العوام بلهجات العوام . أما العوام فلن يستطيعوا مخاطبة الخواص بلغة الخواص . ونتيجة هذا أن سيكون دائماً بين رخيص اللغة وثمينها عموم وخصوص مطلق . كل رجل من الخاصة يتكلم العامية ، أما رجل العامة فلا يتكلم إلا العامية . وهذا وضع له أثره وله قوته فى مناهضة جهود من يعملون على إحياء الفصحى . هذه القوة المعاكسة لا بد من الاستعانة عليها بشىء ذى أثر . أنت تقول القواعد . ولكن القواعد نظرية . والنظرىُّ وحده لا يفيد . هبك طبعت للناس كل كتب النحويين من عهد سيبويه إلى الآن ، وهبك بسّطتها وسهلت مواردها ثم عرضتها عليهم ، فهل تظن أن أحداً يقرؤها ؟ لا تظن . إنما هى تبور فى أيدى الورّاقين . ذلك أن السواد الأعظم من الجماهير لا يهتم بالأمور النظرية ولا بما تُمثّل لقواعدك من : ضرب زيد عمرا أو أكلت السمكة حتى رأسها . لأنها أمثلة تجريدية كاذبة لاحقيقة لها ولا غناء فيها . إنما هذا السواد يهتم للأخبار الطارئة والحوادث الجديدة والأقاصيص المسلية . فهو يتمنى أن لو استطاع قراءة الجرائد والمجلات

والقصص الروائية حتى يعرف أخبار بلده وأخبار العالم الخارجى ، ويرطّب مزاج نفسه المكدودة . هذه العاطفة هى التى عليك أن تستغلها . وهى وحدها مناط الاستغلال . اجعل الصحف والمجلات وكتب الروايات والأقاصيص مكتوبة كتابة سهلة الانفهام مستوفاة الحركات والسكنات الأصولية ، لا يتعثر فرد فى قراءتها ، ولا يشذ فرد فى هذه القراءة عن فرد — اجعلها كذلك تكن هى أداتك العملية فى البناء . يقرؤها المثقفون والعوام مدفوعين جميعاً بغريزة حب الاستطلاع والاستجمام ، متخيراً كلٌّ منهم ما يوافق هواه ودرجة عقليته . ومتى طال بهم الزمن وقراءتهم صحيحة الأداء ، تمكنت عند المثقفين نظريات القواعد ، وأصبحت الفصحى قريبة من أن تكون لهم سجية ، وتحسنت حال العوام واقتربوا من أن يفهموا الخواص إذا خاطبوهم بالفصحى ، وربما نشط بعضهم فعالج من أمر الفصحى وقواعدها النظرية ما يعالجه المثقفون . وهذا الوضع هو أقصى ما يصح لمثلك ومثلى أن نطمع فيه . فإن اتسع وارتفع بالزمن فَبِها ، وإلا فالطفرة عليك وعلىّ — اعتماداً على مجرد القواعد النظرية — هى من المحالات وكواذب الآمال .

٢٢— أنت فى هذا المقام تخشى زيادة الضرر لو استكمل الرسم آلات الحركات . لكن اسمح لى أن أقول لعلك واهم . إن مؤلفى الكتب الأدبية ومديرى الجرائد والمجلات فى يومنا الحاضر هم فى الصف الأول من مجيدى العربية . وكلما طال الزمن كانوا فيها أرق وأكمل . هؤلاء الكملة هم الذين يطبعون للناس ما يقرؤه الناس . وهم لا يطبعون ، كما نشاهد ، إلا الصحيح عربيةً كل الصحيح . فأنت ياسيدى تخاف بلا موجب . إن من القواعد الحكيمة أن اليقين لايزول بالشك . ومن اليقين أن وضع حروفٍ أو علامات للحركات مفيد من وجهين : إبراز معانى الألفاظ فى العبارات ، وتعويد الناس صحة الأداء . هذا اليقين المفيد تريد أنت إزالته بما يحتمل وقوعه من الفساد اللغوى لو أن الكاتب كان غير ملم

إلماماً تاما باللغة وقواعدها . إن هذا من جانبك مجرد افتراض . وهو افتراض لا أسلم لك به تسليما مطلقاً . لأنه إذا كان صحيحاً فى الذهن فهو لا يمكن — فى الواقع — أن يصح على إطلاقه ولا أن يدوم على إطلاقه . إنه إذا خرج من الذهن إلى ميدان الواقع أكل بعضُه بعضاً فتهافت . إن الجريدة إذا كثرت فيها الأغلاط لأى سبب كان سقطت فى نظر الناس وكسدت، فاضمحلت وماتت. ومثلها الكِتاب. ويتأكد تهافتهما وموتهما إذا تيقن القراء أن أصحابهما هم من الدرجة الواطئة فى علم العربية . على أن الحق فى هذا الداء الذى تبنى عليه افتراضك أنه داء لاشأن له بالكُتّاب . وعلاجه لايصح أن يكون بإزالة اليقين الجوهرى المفيد . بل يكون بالبحث عن علته والقضاء عليها . وأنت إذا بحثت تأكد لك أن واضعى الكتب ومحررى الجرائد ليسوا هم الذين يخطئون فى الأوضاع العربية كما تفترض . إنما المخطئون هم عمال المطابع صفافو الحروف . سل صاحب المجلة التى نشرت ردك ، يقل لك إنه يصحح التجربة (البروفة) الأولى ، ثم يعود فيصحح الثانية ، ثم يعود فيصحح الثالثة ، حتى ينفد صبره ويحل ميعاد إخراج الصحيفة فيخرجها آسفاً على ما أبقاه الصفافون فيها من الأغلاط .

٢٣— على أنى يعز علىّ أن تمر المسألة من غير أن أقول كلمة لإنصاف الصفافين ، وهى كلمة سبق لى الجهر مراراً بها . إنهم عمال معذورون . يجهد العامل منهم أضعاف ما يجهد زميله فى البيئات الأجنبية . ولا ينال من الرزق إلا دون الدون . للحرف الواحد عنده هيا كل أربعة . وله هيكل واحد عند ذلك الزميل . فرأسه تدوخ من كثرة التلفت لصناديق الحروف . والدائخ عرضة للأخطاء، حتى ولو كان بالغاً فى فقه اللغة درجة المحررين . فما تراه فى الصحف أو الكتب من الأغلاط، وما تراه فى كتبنا جميعها من الصحائف المتعددة التى توضع بعد الطبع لتصحيح ما سرى فيها من الأخطاء ، كل ذلك سببه لا المحررون بل

الصفافون المعذورون . والعلة الأولى لخطأ الصفافين هى تلك العاهة المستديمة الملازمة للرسم العربى، والتى تشتد عقابيلها إذا أضيف إليه شىء من «الشكلات» . لأن صناديق الرموز تزداد، والدُّوار يزداد ، والأخطاء تزداد . وهذه الحقيقة هى من جملة الدوافع التى دفعتنى لاقتراح الحروف اللاتينية لرسم العربية . وأنا ياسيدى إذا كنت أعيد تقريرها الآن فلمجرد إنصاف الصفافين، بعد أن برّأت المحررين، ثم لتبصير بحرج المركز الذى نحن فيه ، لعل لكم بالعراق رأياً يخرجنا جميعاً من هذا السوء .

٢٤— إلى هنا أظننى بينت :

أولا — أن طبائع الأشياء ذاتها قاضية فى رسم اللغة أن تكون صورته كاملة مستوفية كل ما يدل على نغمات الألفاظ وعلى حركات هذه النغمات ، وإلا كانت صورة بتراء تؤدى إلى كثير من الشرور .

ثانياً — أن ميول الإنسان متجهة فى رسم اللغات إلى الإفصاح والبيان كما تدل على هذا حوادث التاريخ .

ثالثاً — أن جميع أمم الحضارة تعد اختراع اليونان لحروف الحركات تقدماً عظيماً . وكلها تستعملها إلى الآن بعد أن نقلتها فيما نقلتها عنهم من الحروف .

رابعاً — أن ميل أهل العربية بخصوصهم اتجه دائماً نحو تكميل رسمهم الاختزالىّ بما تمايز به الحروف ، وبما يفصح عن حركاتها فى الكلمات .

خامساً — أن تكميل الرسم بما يضبط عبارات اللغة ويمكّن من قراءتها على الوجه الصحيح المطابق لأوضاعها المقررة ، يزيد التطلع إليه والمطالبة به كلما رقيت اللغة واعتز بها الناس فى بيئة من البيئات . وأن هـذه من الظواهر الاجتماعية التى لا تتخلف .

سادساً — أن من أثر هذا التكميل توفير وقت القارئين ، وإعانة المثقفين على أن يثبّتوا بالعمل ما يتلقون من نظريات القواعد ، وعلى حصولهم بالمرانة مع الزمن

على سجية الفصحى ، ثم تقريب العوام بقدر الإمكان من لهجة الخواص . وهذا أقصى ما نطمع جميعاً فيه .

والنتيجة من كل هذا أن إصلاح رسمنا العربى القاصر وجعله وافياً ببيان حركات الحروف فى الكلمات ليس فى عصرنا الحاضر — عصر تنبهنا للعربية واعتزازنا بها — زخرفاً ولا تقليداً اعتباطيا . بل هو ضرورة من الضرورات نحن مدفوعون إليها دفعاً نفسانيا لا يقاوم ولا يصادر ، ولا تستطيع أن تقف فى سبيله أية عقبة من العقبات ، مادمنا جادّين فى حماية الفصحى لا هازلين .

٢٥ — يزيد فى قوة هذه الضرورة ، بل يجليها و يبرزها للعيان ، أن العربية ، على ما أعلم ، وعلى ما أشرت إليه فى مقالك القيِّم ، هى بين لغات العالم أقوم لغة معربة . وأضيفُ إلى هذا ، أنها لغة دقيقة التصريف محكمته . ولازمُ هاتين الخصوصيتين ما تراه فيها من المرونة . قدِّم الفعل على الفاعل ، أو الفاعل على الفعل ، وأخِّر المفعول عنهما ، أو قدّمه عليهما . كل هذا تستطيعه فى العربية ولا تستطيعه فى غيرها . لأن المعول فى العربية ، لا على مكان اللفظ ومرتبته فى الجملة ، بل على حركات الإعراب . فهى وحدها التى تدلك على وظائف الألفاظ فى الجمل . إنك فى العربية تقول : (قام زيد . زيد قام . ضربت زيداً . زيداً ضربت) ، وقلّ أن تقول مثله فى لغة أخرى . كما أن حركات الحروف هى التى تبين لك صيغة اللفظ ومعناه . بل إن مجرد اختلاف حركة الحرف بعينه تقلب الفعل من متعد محتاج لمفعول إلى لازم مكتف بفاعله . إنك تقول : (ضَرَبَ . ضُرِبَ . مضرَب . مضرِب . ضارَبَ . ضارِبٌ . ضَرْبة . ضِرْبة . دَهَش . دَهِش . وهكذا) . ولكل من هذه الألفاظ المتماثلة الهيا كل معناه الخاص ، لا يميزه إلاّ الحركة . وأنت لو تصفحت أى كتاب من كتب نحو العربية لألفيت معظم ما به كلاما على المرفوعات والمنصوبات ، وعلى نواصب المضارع وجوازمه ، وعلى الجر وعوامله ،

وباقيَ ما به كلاما على المبنيات المحرومة من الحركة أو من تعددها . فالحركات قوام اللغة العربية وعماد أبنيتها . أو هى على التحقيق روح العربية . على حين أن نغمات الحروف ليست إلا جسمها . وكل جسم بلا روح فهو ميت . إن من الأوضاع المنكرة أن يُعنى ناس بالجسم الميت الصامت دون الروح النابضة الناطقة . لكنا نحن نفعل هذا فى لغتنا . نرسم جسمها الميت ونترك الحركات التى هى روحها مع قدرتنا على رسمها. نرسم جسمها وحده ونتركه جثة هامدة على قوارع الطرق يستنطقه المارة كيما يعرفوا هُوِيَّته ويردوه إلى أهله . فلا ينطق . لأن الميت لا ينطق . فيحارون ويفرضون الفروض ويحزرون الأحازير حول مسقط رأسه . وإذْ كان لا بد لهم أن ينتهوا حتى يخلوَ الطريق ، فإنهم يقفون عند احتمال من الاحتمالات . هو نصرانى فليُسلَّم لقسس النصارى . أو هو مسلم فليدفن فى مقابر المسلمين . أولا مسلم ولا نصرانىٌ ولا يهودىٌ بل هو من أولاد الجان ، وعندئذ يتركونه خائفين من إبليس ومن أولاده الشياطين . هكذا الشأن فى لغتنا ورسمها. لا تقرأ كتابا من كتبها الأدبية إلا يصادفك فيه مراتٍ قولُ مؤلفه أو شارحه : (إن كان هذا اللفظ بالكسرة ، كان المعنى كذا ، وإن كان بالفتحة كان المعنى كذا) . وإذا وجد المؤلف أن المعنى ركيك على كلا الفرضين ، فر من الموضوع قائلا : (والله أعلم) ، كما فر أولئك السابلة من جثث الشياطين .

إن حسبت أن هذا التمثيل مبالغ فيه ، مع أنى أسوقه مدعوماً بالدليل الذى لا يستطيع أحد له إنكاراً ، فإنى، ابتغاء مرضاتك، أضع بين يديك تمثيلا آخر . إن الذهب والحديد والنحاس إذا كان لها وزن عند خروجها من مناجمها فليس لها جسم معين . والوزن وحده والجسم المبهم الأقطار لا يأبه لهما الإنسان . لأن الحجر والطين ، من أى محجر أو مرقد ، لهما أيضاً وزنهما ولهما أجسامهما المبهمة الأقطار . لكن تلك المعادن يكون منها ، من الذهب الدينار والدملج والسوار والخاتم

والخلخال ، ومن النحاس أدوات الطهى ودقيق الأنابيب ، ومن الحديد آلات الزراعة والمصانع والسيوفُ وأسنة الرماح . وأنت إذا أردت الحصول على شيء منها فإنك لا تقول للصائغ : أعطنى رطل ذهب ، ولا للنحّاس : أعطنى رطل نحاس ، ولا للحداد : أعطنى رطل حديد ، لأنه يهزأ بما تقول . لكنك تحدد فتقول : دُمْلجاً ذهباً ، أو إبريق نحاس ، أو سيفاً من الحديد الصلب . فأنت مضطر بطبيعة الأشياء إلى تحديد صورة المعدن الذى تريد . ولكنك فى رسم العربية لا تحدد شيئاً : إنك تعمد إلى منجمها ، وهو الأبجدية ، فتقتطع منها الوزنة التى تريد ، وتتركها على القرطاس جسما هامداً منكَّر الأبعاد ، هَيُولى بلا صورة . والصورة ، كما رأيت فى تلك المعادن ، هى وحدها المميزة بين الأجسام . بل إن فعلك فى العربية أشنع . لأن السيف إذا انفلّ فلن يزال له شبا يقطع الضريبة ويؤدى الغرض . أما رسم اللغة إذا اختل فقد ينَقُل المرء من العراق إلى اليابان ، وهو يريد بلاد الأمريكان ، بل قد ينقله من حضرموت إلى جهنم الحمراء من حيث لا يحتسب . أرأيت إذن أنا نسير فى رسم لغتنا على نهج يرفضه العقل وترفضه طبيعة الأشياء ، وكله مخاطر فى مخاطر ؟ إذن لابد لنا من أن نستوفى صورته استيفاء مفصحاً مبيناً بأية طريقة من الطرق ، على شرط ألا نزيد فى وطأة عاهته المستديمة التى وضعته أمه مصاباً بها ، بل نخفف من شدتها إن لم نستطع أن نشفيه منها تمام الشفاء . وإن لم يعجبك قولى فأؤكد لك أنه يعجبنى أنا ، ولا حجة علىّ فى نفارك ، لك دينك ولى دين .

٢٦— لست أنكر أن المتعلمين ، بل أنصاف المتعلمين ، بل أرباع المتعلمين ، يقرأون الآن الجرائد والروايات ويفهمون ما فيها . ولكنى أنكر أنهم يقرؤونها باللسان الذى خلقه الله للنطق والإفصاح . إنهم إنما يقرأون بحاسة البصر دون اللسان . إنهم تعودوا أن الصورة الفلانية تدل على المعنى الفلانى فهم ينظرون

فى الصحيفة فيفهمون دلالات الصور التى اعتادوها . لكن إذا اضطروا لسبب من الأسباب إلى أن يُعْمِلوا اللسان ، نطقوا بهذه الصور كما ينطقون بها فى لهجتهم العامية المفسدة لحركات حروف الكلمات والخالية عن حركات الإعراب . لأن تلك الصور مجردة عما يرشد إلى شىء من تلك الحركات . وهذا الوضع الناشىء عن قصور رسم الكتابة لا يقدم الفصحى قِيدَ شعرة ، بل هو يؤخرها درجات . ومن لوازمه أن تبقى الفصحى أبد الأبيد منكَّرة المعالم ، مختلة الأوضاع فى لفظ اللسان. وهو شذوذ لا نظير له عند أكثر من عدانا من خلق الله .

أفهَمُ أن ترتأى جعل رسمنا الحاضر لقراءة العوام، وأن تعدِّله لقراءة الخواص، فيكون قولك منطقيا يدعمه أن نقل لغة العوام إلى لغة الخواص جد عسير . ولكن الذى لا أفهمه أن ترتأى تعميم الفصحى مع استبقاء الرسم الحالى الذى لا يتفق إلا مع لهجة العوام .

٢٧— أما ما أشرتَ إليه من أن الإفرنج اخترعوا الكتابة الاختزالية توفيراً لوقتهم الثمين ، وانتزاعك من هذا الإجراء دليلا لاستبقاء رسمنا العربى على ما هو عليه ، فإن هذا من جانبك إقحام لموضوع على موضوع .

إن العقل الإنسانى اليوم فى طور من أطوار التنبه والاستيقاظ ، تكثر فيه دور العلم ومخترعات العلم والمحاضرات التى تنشر العلم . كما تكثر فيه الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مستلزمات الحضارة . وهذا من لوازمه تطلع الناس إلى أخبار كل تلك البيئات . فهم يتلهفون على معرفة ما يقال فى المجالس النيابية أو فى المحاضرات العلمية وغير العلمية . وبريد الأخبار الصحف . فهى تتبارى فى هذا المضمار . كل صحيفة تحاول سبق غيرها فى نشر مهم الأخبار ، وفى أن يكون النشر كاملا . يَحْفِزها إلى المحاولة أن حظها من ميل القراء ومن مالهم إنما يكون بمقدار سبقها إلى النشر و إلى توخى الكمال فيه . فإذا شهد محررو الصحف

جلسة من مجلس العموم البريطانى أو من مجلس النواب الفرنسى مثلا ، كان أسرعهم يدا فى الكتابة هو الذى تفوز صحيفته بالسبق إلى النشر المستتبع للربح المادى وذيوع الصيت . لكن المحرر مهما يكن سريع حركات الأصابع فإنه لا يستطيع أن يكتب كل ما يقول الخطيب . وإذا كانت المجالس لا تخرج مضابط جلساتها إلا مستوفاة أو قريبة من الاستيفاء ، فليس موظف واحد هو الذى يكتب . بل ثلة من الموظفين يتضافرون على كتابة كل خطبة أثناء إلقائها ، وما يفوت البعض يكون فى الأغلب لم يفت البعض الآخر . ثم هم من بعد يراجعون ويضاهئون فتتكامل لهم الخُطب كما قيلت أو تكاد . وهذا هو الجارى عندنا الآن بمصر . لكن الصحف لا تستطيع أن ترسل عدة من المحررين لحضور كل مجلس أو لشهود كل محاضرة هامة فى أحد النوادى أو فى إحدى الجمعيات . فمست الضرورة إلى إيجاد وسيلة يُختصر بها رسم الكتابة ، حتى يستطيع المحرر الواحد متابعة الخطيب وضبط عباراته . فبحث الباحثون ، فاخترعوا الكتابة الاختزالية . فاستعملها محررو الصحف ، بل موظفو المجالس النيابية أيضاً . هى مجرد إشارات بسيطة تدل على كلمات أو مقاطع كلمات . والظاهر ، كما تقول ، أنه لا يمكن إتقانها ولا الركون إليها . والواقع المعلوم أيضاً أنها لا تعرض على الجماهير ، ويستحيل أن يلزم بها الجماهير . إنها شبه مفكِّرة وقتية ، حياتها ساعة من نهار أو من ليل . لا تعيش إلا ريثما ينقلها المحرر لصحيفته أو الموظف إلى مضبطته بالرسم المعتاد ثم تطوى أو تمزق . والرسم المعتاد عندهم هو رسم لغتهم مستوفياً أصوله المقررة لديهم . ولم يحدث إلى الآن أن أمة من تلك الأمم المتحضرة عدلت عن رسمها المعتاد واتخذت رموز الاختزال لرسم كتابتها ، بل كل صحفها وكتبها ومخطوطاتها هى برسمها ذلك المعتاد . فأنت ياسيدى إذ ترى لنا الاحتفاظ برسمنا الاختزالى لمجرد أن الإفرنج اخترعوا الاختزال ، لا تراعى فى رأيك هذا تماثل الأوضاع . إنك تسقط من حسابك أن لهم رسماً

معتاداً مستوفياً مُفْهِماً وأنهم لا زالوا ثابتين عليه . أما نحن فمحرومون من هـذا الرسم المُفْهِم . وتحذف من حسابك أن اختزالهم وضع استثنائى لا يتناوله إلا نزر يسير من مخبرى الصحف وأمثالهم ، وأنه وضع مؤقت قصير العمر يموت بطبعه بمجرد نقله إلى الرسم المفهوم المعتاد ، ولا شأن له ألبتة بالجماهير . فاستدلالك فى مقالك القيم بحكاية الاختزال (Sténographie) هو ، كما قدمت ، إقحام لموضوع على موضوع ولا استدلال لك فيه . أفهم أن تقول إن علينا أن نعدل رسمنا الحاضر ليكون مُفْهِماً محققا لصحة الأداء كما هو الواجب ، ومتى كان لنا بعدَ هـذا التعديل رسم مستوف ، اتخذناه فى مخطوطاتنا ومطبوعاتنا العادية ، ثم عمدنا إلى الرسم الحاضر فاختزلناه أكثر مما هو واتخـذناه هو لاختزالنا السريع . أفهم هـذا ، وقد أوافقك عليه إن استطعت أن تحققه . أما أن تستبقى رسمنا الحاضر المضلل وتحتج بما اخترع الإفرنج من الاختزال ، فاسمح لى أن أقول إنه مجرد كلام عائم لا يخرجنا من الضيق الذى نحن فيه . و إذ أقول لك : « قد أوافقك عليه إن استطعت أن تحققه » فإنى لست عليك ولا على الحق بمفتات . إن المجمع قد تواردت إليه اقتراحات كثيرة لتيسير الرسم العربى ، أمْثَلُها أحد عشر ترى صور نماذجها من بعد ، وكلها رفضتها اللجنة المختصة ، وغير باق تحت النظر سوى مشروع حضرة الجارم بك .

٢٨ — أما ما تراه من ضرورة تبسيط قواعد العربية ، فهذا موضوع قائم برأسه اشتغلت به وزارة المعارف المصرية وعينت له لجنة من كبار أساتذة العربية بمدارسها وبكلية الآداب بجامعة فؤاد . واشتغل به بعض أساتذة هـذه الكلية وبعض المعلمين بمدارس الحكومة شغلا انفراديا . ولا زال موضوع عملهم قيد الفحص لدى اللجنة المختصة بالمجمع . ومن المأمول أن يتقرر فيه بعض الشىء ويعرض على المؤتمر فى دورته المقبلة ليتصرف بما يراه . ولا أستطيع أن أبدى لك رأيى فى الطريقة التى تريدها لتبسيط القواعد . فإن مسألة القواعد ليست كرسم الكتابة خارجة

عن جوهر اللغة ، بل هى مسألة دقيقة جداً لرجوعها إلى ما يتعلق بلب اللغة وجوهرها . وكل ما أستطيعه هو أن أعدك أنى بعد انتهاء أشهر الصيف وعودة مجلس المجمع إلى الانعقاد ، سأعمل على عرض فكرتك عليه منقولة بالحرف الواحد عن « المجلة » . ومن الجائز كثيراً أن يحيلها المجلس على اللجنة المختصة المذكورة لبحثها مع غيرها مما هو محال عليها فى هذا الشأن من الاقتراحات .

وإنى يا سيدى لأشكر لك جزيل الشكر ما أظهرت من الغيرة على لغتنا العربية ، وما حاججت بكل فطنة ورجولة ونزاهة واتزان .

الثالث والعشرون

إلى حضرة الأستاذ يوسف العش :

١ — شد الله فى ميدان الأدب أزرك ، وأكثر من أمثالك الغيُرُ على العربية ، المنقبين فى مراقدها لإيقاظها من غفوتها ، ووقاك فى عملك الزلل وجنّبك فيه العثار . تحية يُعجلنى إليها ما استفتحتَ به مقالك المنشور فى مجلة « الثقافة » من تلك العبارة المنصفة التى تقنع مخالفيك باستقامة ضميرك ، وتشعرهم الأَمَنَةَ وعدمَ التثريب عليهم فى مُحاجتك ، مهما يفيضوا فى التقرير والإيضاح .

٢ — أما بعد فإنك ،فى المشكلة القائم فيها الخلاف ، قد استصرخت علىّ « العلم » و « الفن » ، وأشرت إلى أنك لن تستنصر إلا بهما ، ولن تعوّل فى محاجّتك إلاّ عليهما ، حتى إذا ما قضيا علىّ كان قضاؤهما حاسماً لا تعقيب لى ولا لغيرى عليه .

إنك بهذا التحكيم قد أزعجتنى حقًّا . فإنى متى ذُكر « العلم » ضممتُ إلىّ ما اتسع من ثيابى ، وتكمشت وتراجعت أمام هذا اللفظ الرهيب ، مُحسًّا كأنى حصاة ملح تذوب . ذلك أنى عالجت شيئاً من العلم فى منحى ليس هو مَرَاد العلم الصحيح ، بل هو شىء قريب من واديه . وكلما أوغلت ازددت يقيناً بعجزى

وإيماناً بقوله تعالى : « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » . فأنا ياسيدى لا أخشى أحداً فى هذا الوجود إلا العلم والعلماء ، ولا أدين بعد عزة واجب الوجود إلاّ بعزة العلم والعلماء ، ولا أنصاع وألقى سلاحى إلا أمام كلمة العلم والعلماء . إذا علمت هذه الحقيقة أدركت أنى ، عقب تلاوة عبارتك تلك ، هلعْتُ وظللت خائفاً أترقب ، وكدت أقضم الجزء الأول من مقالك قضما ، وألتهمه التهاماً . ثم انتظرت أسبوعاً مشفقاً قلقاً حتى ظهر الثانى ، وأسبوعاً آخر على مثل الشوك حتى ظهر الثالث . بحثت ثلاثتها وفحصتها وفلّيتها ، وأكلتها وشربتها ، لعلى أشعر فى شىء منها بأثر للعلم الذى أشرت إليه ، فى المشكلة القائم فيها الخلاف ، فأستكين وأخضع صاغراً ، ولكنى مع الدهشة الشديدة ، أو الاستفاقة الباسمة ، لم أجد لهذا العلم فى أيها أثراً ، لا مرهفاً قاطعاً ولا مثلوماً غير قاطع . فخرجت موقناً بأن حبك للعربية ، وامتلاء عواطفك بجمال رسمها الحالى ، وخوفك انقطاع الصلة بين حديثنا والقديم ، كل تلك الطبائع المحمودة فى ذاتها قد استجمعتْ لك على أشد ما تكون ، فحرفتْ نظرك ، فخلْت قيام علمٍ حيث لا علم . وأنا وغيرى يصدق علينا دائماً قولهم : « حبك الشىء . . . » .

٣ — إى وربى ، إنه ليلوح لى أنك لولا تحكم تلك الطبائع الجميلة فيك لقررت بكل بساطة أن الكلام ما دام فى رسم الكتابة وضرورة تصوير نغمات الألفاظ واتجاهاتها ، على ما ينطق به أهلها ، تصويراً دقيقاً ، يستعان فيه إمّا بإشارات « الشكل » المعروفة أو غيرها ، وإمّا بحروف للحركات ، لاتينية أو غير لاتينية ، فإن العلم لا دخل له فى شىء من هذا ، بل إن جرجرته إلى مثل هذا الميدان تنزله من عرشه وتسقط هيبته .

أنت وأنا نذهب إلى السوق لنشترى سريراً لطفل ، أو كرسياً لمريض كسيح ، أو ثوباً لرجل أو لسيدة . فلو أنّا ، فى أىّ مّا أردنا من هذا ، توقفنا حتى يقول

العلم والعلماء ، لضاقت علينا الأرض بما رحبت ، ولكفرنا بالعلم والعلماء . إنما نحن فى كل هذا نعتمد على البديهيات الحاصلة لنا بغريزتنا الإنسانية ، وبما تكيفت وتربت به ملكة الحكم عندنا من المشاهدات والمقارنات . فنحن لا نتخير للطفل إلا سريراً صغيراً يكون على قدر مَدّته ، ويستحيل علينا عادة أن نختار له شيئاً من أسرّة الكبار . والكرسىّ ما دام لكسيح ، فإننا لا نختاره إلا مما يجرى على عجلات ، ويكون مناسباً لقدّ المريض وقعدته وضِجعته ، موفياً براحة جسمه . والثوب لا نتخيره إلا مما اعتاد الرجال لُبسه إن كان لرجل ، وإلا فما اعتادته النساء . وكل هذه أمور لا شأن للعلم بها ، بل هى من الضروريات المسلّمات .

٤ — لست أعارضك ألبتة فى أن « للفن » دخلا فى هذه الأشياء . فإنها جميعاً تتفاضل بجودة صنعها وعدم جودته . وجودة الصنع ورداءته من متعلقات « الفن » ، وعلى حسبهما تغلو تلك الأشياء أو ترخص عند التقويم . أما « العلم » فميدانه ميدان آخر . إنه ينقّب عن المجهول من الحقائق فيكشفه ويضع له ما يصل إليه من القوانين الكلية المجردة . ومشكلتنا إن رجعت إلى شىء فلا ترجع إلا لمجرد الفن التنفيذى . والفن إن لم يرض السمع والبصر وباقي الجوارح ، وميول النفس وفضيلة الإتقان ويلائمها ، كان فنا رديئاً .

٥ — على أنى ، مع احترامى لشخصك وتقديرى لعملك ولكمال إخلاصك فيه ، مناقش عباراتك فى ذلك الجزء الأول كما سأناقش أقوالك فيما بعده .

٦ — إنك بعد أن استرهبتنى بتحكيم دلائل العلم . بدأت الكلام فى الموضوع ، فحصرته إجمالا فى أربع مسائل : الأولى — النظر فى الحروف اللاتينية هل هى صالحة كل الصلاح ؟ والثانية — إن لم تكن كذلك فهل هى أصلح من الحروف العربية ؟ والثالثة — إنه لا بد من النظر فيها (أى العربية) هل تصلح

بطرائقها لتأدية الحركات ؟ والرابعة — هل فى الإمكان درء نقص الحركات دون الالتجاء إلى الحروف اللاتينية ؟

٧ — فعن المسألة الأولى تفضلت فقلتَ : أولا ، إننا ، نحن الشرقيين المفرطين فى الإعجاب بوسائل الغرب ، إذا نظرنا فى صلاح الحروف اللاتينية بذاتها و بأصلها ، فقد يخيل إلينا أن هذا الصلاح أمر لا يقبل الجدل . وثانياً ، لكن الحرف اللاتينى يأبى إلاّ أن يقر بضعفه . وهنا أوردت تأييداً لنظرك أقوالا لبعض الاختصاصيين من الأوربيين ينعون فيها عُوار حروفهم لتعقد أشكالها وعدم وضوحها وصعوبة قراءتها ، ويقولون : « إن الساعة أزفت لقطع الصلة فيها مع الماضى » . ثم استدركت على هذا بقول لأحد هؤلاء الاختصاصيين يهيب بقومه « أن لا يُغرقوا فى الاعتراض على خطهم اللاتينى وفى طلب الابتعاد عنه » . وثالثاً ، إن تلك الحروف لو كانت ، مع تعقد شكلها وإتعابها النظر ، تؤدى الأصوات كما يجب أن تُؤدَّى ، فتعوض بحسن التأدية ما تضيعه برداءة شكلها ، لهان . ولكنه ليس من الصحيح أنها تقوم بهذا الغرض كما يُظن . بل إن أهلها عابوا قصورها فى هذا الصدد أيضاً ، وحاولوا أن يستبدلوا بها حروفاً أخرى ، فتشعبت بهم المسالك ، ولم يستقر رأيهم على شىء .

ذلك حاصل ما أوردت فى المسألة الأولى . و إليك ردى أجريته على ترتيب قولك فقرة فقرة :

أولا : (١) ما أظنك جادّاً حق الجد فى حكمك على الشرقيين بإفراطهم فى الإعجاب بوسائل الغرب ، ذلك الحكم العام المطلق الذى لا مَثْنَوِيّة فيه . ولعل هذه الفكرة نتيجة استقراء لأحوال أناس تعرفهم أنت ياسيدى . ولكنه استقراء ناقص . وأنت ، كما توسمته فيك ، من خير من يعرفون أن التعميم لا يجوز إلا بعد الاستقراء التام . أما الناقص فحرام على فاعله التعميم . إنك لو قرأت للأستاذ محمد

أديب العامري العماني مقاله « تطور الأساليب الفكرية » المنشور في « الثقافة » بالصحائف السابقة مباشرة للجزء الأول من اعتراضك المجوّد ، لكنت من سابق تحصيلك وواسع إحاطتك على ذُكر ، ولوافقتني فيما أقول .

(٢) على أني لست أتعرض لحكمك هذا إلا تذكيراً بمقررات العلم الذى تجهد أنت ، بحق ، في إكباره واللجوء في الشدة إليه . أما فيما يتعلق بشخصى فإنه حكم لا يمسني في كثير ولا قليل ، لأن خطئى وحده ، لا خطأ الناس ، هو الذى يحيق بى أثره وتلزمنى مغبته . وفوق هذا فقد جاملتنى بما أوردت في صدر بيانك من أن المساجلة فيما نحن فيه إنما « هى نضال شريف » يسعى فيه كل فريق لتحقيق الخير لأهل العربية . فهذه المجاملة — التى لا أشك في أنك تقصد معنى عبارتها على وجه الحقيقة التى لا مجاز فيها ولا منفذ للتأويل ، والتى شكرتك وأكرر لك الشكر عليها — تخرجنى من هذا الحكم الذى تسرعت فيه بالتعميم المسوّر بأمتن الأسوار ، وتبيح لى الاقتناع بأنه ليس سوى « سبقة » من سبقات القلم الذى كثيراً ما يفجأ القلب بالشرود ، لأنه شظيّة من حديد لا عقل لها .

(٣) على أنه إذا راقك أن تعرف دخيلة أمرى كيما تستعين بها مستقبلا في استقراءاتك ، فاعلم ، وفقك الله وإياى ، أنى داخل في تعميمك ولكن بقيد له من حديد ، كريشتك الحديد ، قيدٍ مبهم أصم أكمه ، لا يسمع ولا يبصر ، ولا تستطيع أنت ولا غيرك له فكا ولا لى من أزمته فكاكا . أو أنى — على الأصح — خارج عن التعميم بهذا القيد المصمت المِكباح : ذلك هو قيد العقل . فما يراه عقلى من مناحى الغرب حسناً فإنى صائر إليه جهدى ، ما دام لا يمس كرامتى وكرامة قومى . وما يراه منها قبيحاً فإنى أخسؤه عنى ما وسعت طاقتى .

ثانياً : (١) ليكن الحرف اللاتينى معيباً في شكله وعدم وضوحه وصعوبة قراءته ، ولتكن أقوال الأوربيين متضاربة في هذا الصدد — كما رويت —

أو غير متضاربة ، فأين هو العلم أو دلائل العلم الموصلة لإدراك ما به من هذه العيوب؟

إن الحرف رسم اصطلاحى يدرك بالنظر . فإن كان مرتبك الصورة غير واضحها ، فنظر مستعمليه كاف وحده للفصل فى هذا الخصوص . والنظر حاسة مشتركة بين جميع القارئين ، علماء مبرّزين أو أناساً عاديين غير مثقفين . و إذن فلتستبعد من هذه المناقشة عبارة « دلائل العلم » ولتمحها بالقلم العريض ، فإن إقحامها هنا تجاوز وظلم عظيم .

أليس كل ما فى الأمر أن المشتغلين من الفرنجة بهذا الموضوع راقبوا الواقع فدونوه وشكوا منه وسعوا فى إزالة ضرره ، ولكن — كما تقول — لم يصلوا للآن إلى وضع مرض يقع عليه الإجماع ؟ ومن ذا الذى يزعم أن تقرير الواقع والشكوى منه يسمى « علماً » أو « دلائل علم » ؟ إننا فى مصر نشكو من زمن طويل من قصور رسم العربية ، ونسعى فى إزالة ضرره . فأىّ هو العلم أو دلائل العلم فى تقرير هذا الواقع عندنا وفى الشكوى منه ؟ لو ادعينا فى مصر شيئاً من هذا لكان إيهاماً باطلا ، ومجازفة كبرى تعمّى معنى العلم وتضلل فيه الناس . لو ادعينا لكانت مكاتب الضابطة (البوليس) والنيابة العامة ، وأقلام كتاب المحاكم ، مملوءة بالعلم ودلائل العلم ، لأنها غاصة ببلاغات وعرائض دعاوى تقرر الواقع — أو ما هو مزعوم أنه الواقع — وتشكو منه لذوى السلطان !

(٢) إن استدلالك ، مع خروج كل عناصره عن وادى العلم ، ورجوعه إلى استطاعة كل القارئين من الأوربيين ، قد جعلتك أمانتك فى النقل تأتى فيه بالرأى و بضده — تلك الأمانة التى أوقن بها ، ولا أجد أقل داع أو ثمرة للمراجعة فيها — وأنت عليم بأن لقارئيك الحق فى أن يأخذوا بظاهر قولك فيردوه عليك . وليس لك أن تكلفهم الترجيح . وكيف يستطيعونه وأولئك العلماء الأوربيون أنفسهم ، مع علمهم طبعاً بالدليل التفصيلى لمن يدعى ولمن يمنع ، لم يستطيعوا

للآن — كما تقول — الاتفاق على ترجيح شيء بعينه من جهة حسن شكل حروفهم ووضوحها ، أو قبحه وتعقدها ؟ .

(٣) وأرجو سيدى أن يلاحظ أنى هنا لا أبدى رأيى الشخصى . بل كل الذى أريد توضيحه هو أنك فى هذه النقطة لم تثبت شيئاً ، لا بدلائل العلم التى تستنصرها وتسترهبنى بها ، ولا بغير دلائل العلم . كل الذى أثبته ينحصر فى رواية عن بعض الأوربيين أنهم ضجوا بالشكوى من تعقد شكل حروفهم وصعوبة قراءتها ، وأن البعض امتعض من هذه الشكوى .

(٤) على أنى أترك هذه النقطة مؤقتاً وسأعود إليها بعد حين . إنما أرجو أن تسمح لى هنا بإبداء فكرة ، إذا كانت ليست فى الموضوع تماماً ، فإنها متصلة به شديد الاتصال :

إن العلة لتلك الشكوى ، على ما أفهمه أنا ، وأظنه لا يخفى عليك ، هى أنهم فى علمهم وفنهم — لا فى كثير من عاداتهم وأخلاقهم وأكاذيبهم فى مناحى سياستهم وتغريراتهم فيها بالناس — قد بلغوا درجة عالية من الشعور بكل دقيق وجليل من الشؤون التى تيسر لهم سبل الحياة والاستمتاع بها ، مما أحسدهم أنا وأنت عليه ، ولا أستطيع أنا ولا أنت ادعاءه لأنفسنا فى الوقت الحاضر . فإحساسهم اليوم بتعقد حروفهم من جهة شكلها ، إنما هو وليد ذلك الرقى فى الشعور . والفكر الإنسانى حُوَّلٌ ولّاد ، لا يقف عند حد فى الطّماح ، بل يحكم على نفسه بنقص وسائله كلما رقِىَ وتقدمت به الأحوال . ألسنا نحن العرب ، عقب ظهور الإسلام وإبان ازدهار حضارته ، ضججنا من رسم كتابتنا فأصلحناه بطرق مختلفة من الشكل ، ومن قبل الشكل بالتنقيط ؟ وهذا المعنى ، معنى طموح الإنسان أو تنقله من وضع فى وسائله إلى وضع آخر أكثر ملاءمة له وصلاحية ، هو العلة لكل ضجيج وتغيير أو جنوح للتغيير . ولازم هذا المعنى الراجع إلى الطبيعة البشرية ، أن الكمال فى الأعمال

الإنسانية مستحيل ، أو كما قال المهدى العباسي :

لاشيء في هذه الدنيا يحاط به   إلا إحاطة منقوص بمنقوص

وليلاحَظ أن كل ما سبق راجع إلى شكل الحروف اللاتينيـة لا إلى نغماتها الآتى عنها الكلام .

ثالثاً : (١) تقول إن تلك الحروف اللاتينيـة مع عوار شكلها فإنها لا تؤدى لمن يستعملونهـا ما لألفاظ لغاتهم من الأصوات ، أى من النغمات واتجاهاتهـا . وقولك هـذا فى جملته حق لا ريب فيه ولا جدال . ولا حاجة فى تعرف صوابه لشيء من العلم ولا دلائله . إذ كل ملم بمبادئ لغتين أو أكثر من اللغات الأوربية يدركه تمام الإدراك .

(٢) والعلة فى عدم وفاء حروفهم بذلك الغرض الهام أنها — كما لا يغيب عن سيدى — بحسب أصلها القديم كانت متخذة لرسم لغة واحدة بعينها ، لكنها صارت بالزمان متخذة لرسم لغات متعددة ، حتى من اللغات البعيدة الأصل عن اللاتينية أو اليونانية[١] . فهذه اللغات إذا اشتركت فى النغمات السهلة المخرج كنغمة الألف الممدودة والباء والتاء والدال والراء والزاى الخفيفة والسين والشين المفشوشة والفاء والـكاف والميم والنون والهاء والواو والياء والهمزة العارضة عند الابتداء بمتحرك ، فإن كلا منها ، فيما عدا مثل هذا السهل المشترك ، لهـا نغمات خاصة بها ، كنغمتي الذال والثاء فى الانجليزية ، والخاء فى الألمـانية ، والشين المكروزة التى ينطق بها

(١) ووضعهم هذا يشبه وضع الأتراك (قبل الآن) ووضع الايرانيين والجاويين والهنود المسلمين ، ممن اتخذوا الحروف العربية لرسم كتابتهم . فلما لم تسعفهم اضطر الايرانيون ، مثلا ، لوضع حروف أو إشارات خاصـة للدلالة على بعض نغمات لغتهم التى لا مثيل لهـا فى العربية وأخذها عنهم الأتراك . ولـكنهم جميعا ، على خلاف الأوربيين ، لبثت عندهم تلك العاهة المستدعية الخاصة بحركات الحروف ، وقد عالجها الأتراك ما استطاعوا . فلمـا يئسوا اتخذوا الحروف اللاتينية باعتبارها الوسيلة المتعينة للعلاج .

كمزيج من تاء وشين فى الانجليزية والطليانية ، وكنغمة « نيه » (gn) فى الفرنسية . وهذه النغمات الخاصة وأمثالها ، تؤدى بمركبات اصطلاحية يختلف النطق بها بين لغة وأخرى ، ولا يستطيع أداءها إلا ابن اللغة أو متعلمها . بل إن نغمة الشين المفشوشة السهلة تؤدّى هى أيضاً فى الفرنسية والطليانية والألمانية بمركبات اصطلاحية مختلفة . ونغمة الواو تؤدى فى الإنجليزية بحرف وفى الفرنسية بمركب . والحرف الواحد بعينه قد تختلف نغمته من لغة لأخرى ، كحرف (j) الذى يؤدى فى الفرنسية نغمة جيم غير معطشة ، وفى الألمانية والطليانية نغمة ياء . و بعض الحروف لاينطق به أو قد ينطق به على خلاف أصل القياس . فحرفا (gh) فى الانجليزية مثلا قد يهملان فى النطق ، وقد يؤديان نغمة الفاء .

هذا القصور فى تأدية النغمات بحروف مفردة ، وهذا التخالف فيها ، واضح فى رسم تلك اللغات . ثم هو واضح وضوحاً تامًّا فى أحرف الحركات التى توجه النغمات التوجيه الذى تقتضيه ألفاظ كل لغة . فهناك الضم والفتح والكسر ، مع المد فى كلٍّ ، ثم الإمالات بدرجات مختلفة . مع تخالف الحروف بعينها فى الحركة الواحدة بين بعض اللغات وبعض ، بل فى اللغة الواحدة بعينها .

تلك حقائق لا شك فيها . ولكنى أدركها أنا وأنت وغيرنا بلا حاجة لدلائل العلم التى تقحمها هنا . ثم هى راجعة ، لا إلى الأشكال والصور من حيث حسن تخطيطها ووضوحه أو قبحه وخفاؤه ، بل إلى صميم الدلالة على نغمات اللغات وجوهر جرْسها ، واتجاهاته المختلفة .

(٣) ولعل هذه الحقائق هى التى تقلق بال الاختصاصيين الأوربيين . بل قد لا أرتاب فى أنها ، دون الصور والأشكال ، هى الدافع الأول لمن ينعون منهم رسم كتابتهم و يطلبون تحسينه . أما الصور فهى دافع ثانوى قليل الأهمية لأنها ليست فى الصميم . وأهم ما فيها تلك المركبات الحرفية التى يدرك النظر المجرد

الإسراف فيها ، بلا حاجة للعلم ولا لدلائله .

وهـذا الدافع الأول الذى أقول عنه لا يحتاج فى إدراك صدقه وأوّليّته لشىء من العلم . بل يكفى فيه أن نتذكر أن الحضارة فى العصر الحاضر ، وفى القرون الثلاثة الماضية ، تركزت فى الأمم التى تكتب بالأحرف اللاتينية ، واستقر العلم فى ربوعها . والعلم نور يعشو إلى ضوئه كل سار ، بل إن سناه ثقّابٌ نفّاذ ، يدرك السارىَ والمضحىَ أينما كانا ، و يتحبب إليهما و يبهرهما بجماله . وتلك الأمم[1] تعيش كلها متجاورة الديار فى صعيد واحد ، أو هى مخلّقة أصلا فى صعيد واحد . فالتواصل العلمى بينها على أشده . ولغاتها هى الوسيلة . فإن تخالفت رموز كتاباتها ، أو ارتبكت بتركبها أو بتعددها للنغمة الواحدة أو بأداء الرمز الواحد منها عدة نغمات ، كان ذلك قذى فى أعين طالبيها من مستفيدى العلم ومفيديه ، وشوكا فى الطريق يزيد مشقتهم فى تحصيلها ويعوقهم عن التقارض والاستكمال[2] .

(٤) على أنى مع تقريرى ، بشىء من التفصيل ، لهذه الحقيقة التى أشرت إليها ، وتقريرى لعلتها بحسب ما أفهم ، فإنى أسارع إلى لفت نظر سيدى إلى أن أهل كل لغة من تلك اللغات الأوربية هم ، بفضل حروف الحركة لا يخطئون ، عند القراءة ، النطق بالمكتوب من عبارات لغتهم وفقاً لما يلفظونه فى الكلام غير المكتوب . فالألمان والطليان ، مثلا ، لايمكن أن يخطئوا ، لأن النغمات عندهم

---

(١) إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والنمسا وأسبانيا والبرتغال وبلجيكا وغيرها ، وكل قارة أميركا وأستراليا وجنوب إفريقية .

(٢) هذا الدافع الأول الخاص بأداء النغمات هو الذى قد يحمل الأوربيين بسبب قوة أثره على شىء من تعديل كتابتهم بغير مس بأشكالها فى الجملة . وذلك كالاستعاضة عن المركبات بحروف مفردة ، أو تحديد النغمات المختلفة للحرف الواحد ببعض المميزات التى لا تخل بشكله الحالى . مع إشاعة هذا فى كل الأمم التى تكتب بالحروف اللاتينية ، مما يقتضى تضافر رجال العلم والفن والأدب وتدخل الحكومات . وهو فى ذاته غرض بعيد . أما فوق هذا من تغيير أشكال الحروف فى طورهم الحاضر الذى لا يعلم مداه وغايته إلا الله ، فمن المحالات .

مقررة وجارية دائماً على قياس معلوم . وليس عندهم — على ما أعلم — حروف نغمات أو مركبات نغمية لا ينطق بها . والفرنسيون ، مثلا ، إذا كان عندهم حروف نغمات لا ينطق بها ، أو مركبات حرفية تؤدى نغمات خاصة ، فإن لها أيضاً قواعد كلية معينة متى عرفها الطفل أو غير الطفل استحال عليه أن ينطق على خلاف موجبها . والإنجليزية إذا كان فيها مركبات للنغمات ، فمعظمها داخل تحت قاعدة كلية مثل (sh'ch) . والمركبات التى لا ينطق بها ، أو ينطق بها أحياناً بنغمة بعيدة عن جزءى المركب — مثل (gh) التى قد تهمل وقد ينطق بها فاء ، ومثل (th) التى تؤدى حيناً نغمة الثاء وحيناً نغمة الذال — هى فى الأغلب محصورة سهل على ابن اللغة أو متعلمها حفظها وتذكرها . ومثلها حروف الحركات ، وما توجيه حروف النغمة الجوهرية من التوجيهات المختلفة[1] .

(٥) إذا كان هذا هو الواقع ، وأنت ياسيدى تعرفه بلا ريب ، فأظن أن من لوازمه أن تسلم معى بأننا فى رسم لغتنا مظلومون ظلماً مبيناً . لأن فى العربية (٨٠٠٠٠) ثمانين ألف أصل — كما يقولون — كلها حروف نغمات جوهرية خالية عما يوجهها من حروف للحركات . وقابلة ، هى وما قد يشتق منها ، لمختلف التصحيفات . ومستحيل على أى متعلم منا — كما كررت هذا مراراً ، وكما تعرفه أنت وغيرك — أن ينطق بها لأول وهلة على الوجه المراد أصلا لكاتبها الفصيح ، مهما تكن رسوم حروفها مكتوبة بقلم الثلث العريض وواضحة كل الوضوح . بل كثيراً ما يستغلق عليه النطق بها على الوجه الصحيح ، استغلاقاً مُيئساً لا رجاء فيه .

٨ — عن المسألة الثانية تقول : أولا — « إن شكل الحروف العربية أبسط

---

(١) كل ما فى الأمر أن أهل كل لغة لهم ، بحسب اختلاف الأقاليم ، لوكات فى النطق بالمكتوب من فصيح لغتهم ، كلوكتى الأمريكيين والانجليز ، ولوكة أهل شمال فرنسا أو ألمانيا وأهل جنوبيهما . واختلاف لوكات اللسان طبيعى . وقد اختلفت لوكات عرب الجاهلية فى لسانهم الذى كله فصيح .

من شكل اللاتينية » . وتأتى بأشكال حروف النغمات المشتركة بين العربية واللاتينية فتُجْرى بينها مقارنة تريد الاستدلال بها على أن شكل العربية أبسط ثانياً — تقول : « ولا تعجب من هذا ، فليس مجرد اتفاق ، إنما بساطة الصورة فى الخط العربى أمر مقصود » . وتورد أن أهل الصناعة قالوا : « إن أصل جميع هذه الحروف الخط المستقيم الذى هو قطر الدائرة ، والخط المقوس الذى هو بعض الدائرة . . . » . وتوضح أنت عبارتهم فتقول : « إنهم ابتدأوا بأبسط الأشكال الذى هو الخط المستقيم ، ثم نوعوه بنسبة متناسبة متقاربة ، فاستخرجوا منه ومن القوس كل الحروف بمقادير وصور قليلة » ، ثم تروى عن القلقشندى أنه قال : « وفرقوا بين بعض الحروف بالنقطات وقصدوا بذلك تقليل الصور للاختصار ، لأن ذلك أخف من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثر الصور » ، وأنه قال : « ترجع صور الحروف إلى خمس صور ، وهى : الألف والجيم والراء والنون والميم » ثالثاً — تقول : « إنه يظهر أنهم عنوا ببساطة الحروف فعمدوا إلى تخفيف الصور . لأن كثرة الصور داعية لتداخل الحروف مما يؤدى إلى التعقيد ، وهو ما وقع بالحروف اللاتينية التى تعقدت أشكالها وصورها فاختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً » . رابعاً — تقول ما حاصله أن الإنسان عند القراءة يميز الألفاظ بصورها الكلية لا بأجزائها وحروفها ، وتستدل لهذا بقول أحد العلماء الأوربيين : « لقد علمنا من تحليل القراءة فى آلة (التَّاشِيسْتوسْقُوب) أننا فى الواقع نعتمد فى القراءة السريعة على إدراك صورة الكلمة فى مجموعها » . ثم بقول عالمين آخرين يذكران هذا ويقولان : « إن عرض الحروف وارتفاعها لها أهمية عظمى فى معرفتها حين القراءة » . ثم ترتب على هذا ما حاصله أن صور الألفاظ المكتوبة بالعربية أوضح وأسهل فى الإدراك ، وذلك لكثرة ما يعلو من حروفها عن السطر وما يسفل ، وأنها ، بتعبير علمى (كذا) ، تعطى لكل كلمة شخصية خاصة حتى تبدو شكلا

لا شبيه له . ثم تضيف أن التجربة بين كتابتين من مقياس واحد فى صحيفة واحدة ، إحداهما باللاتينية والأخرى بالعربية ، دالة على أن القارئ إذا ابتعد عنهما خفيت اللاتينية أولا ، وبقيت العربية واضحة مشرقة . خامساً — تقول من بعدُ ماحاصله أن خمسة وثلاثين فى المائة من طلبة المدارس العالية فى فرنسا قصيرو النظر ، بسبب انكبابهم على قراءة الحروف اللاتينية ، وأن تعقد الحروف وعدم وضوحها يصدّ النفس عن القراءة ، وأنه من أجل هذا يحاول الإفرنج إصلاحها . سادساً — تنتهى من كل ذلك إلى أن أصلح ما يؤدى النغمات العربية إنما هو الحروف العربية .

وإلى سيدى ردى على ما أثاره فى هذه المسألة الثانية ، جارياً أيضاً على ترتيب أجزائها .

أولا — (١) إن السيد قارن بين ستة عشر حرفاً مفرداً من اللاتينية ، وبين ما يقول إنه مقابلها فى العربية ، وهاكها :

n. l. q. k. f. s z. h. g. t. b.
ب. ت. ج. ح. ز. س. ف. ق. ك. ل. ن.

ولقد يرى غير السيد بكل إخلاص، أن الأحد عشر حرفاً اللاتينية إن لم تكن أبسط من التى جعلها السيد مقابلة لها فى العربية ، فليست أقل منها بساطة ، متى لوحظت المستقيمات والمنحنيات فى كلٍّ ، ووجود النقط فى العربية دون اللاتينية . ثم إن مما لم يذكره من حروف النغمات المشتركة حرف (y) اللاتينى ومقابله فى العربية (ي) ، وقد لايشك الرائى أن اللاتينى أبسط . ومما لا مقابل له فى العربية حروف (v. p. j. c.) وهى أيضاً فى غاية البساطة . وهذه المقارنات يستطيعها كل قارئ عربى يعرف لغة أوربية ، غير محتاج فى حكمه لشىء من العلم ولا دلائله .

(٢) ولقد يخيل إلىّ أن السيد سها إذ اتخذ حروف الطباعة المفردة أساساً للمقارنة .

ولو أنه اعتمد على الحروف العربيـة ، حالّة فى بنية الـكلمات وقارنها باللاتينية ، حالّة فى بنيتها ، لما خالفه أحد فى أن العربيـة أوجز وأبسط . لكن لا أيسر ولا أوضح ، لا فى المطبوعات ولا فى المخطوطات . لأن الشكل المفرد لغالبها يأخذ ثلاثة أشكال أخرى ، بخلاف اللاتينية التى تبقى هى هى على الدوام والاستمرار . والعقل يقضى بأن الحرف الباقى أبدا على حال واحدة أوضح من المتقلب بين أربعة أشكال. ومن أراد التحقق بالتجربة فلا حاجة به إلى العلم ولا إلى العلماء . بل ليذهب إلى صفافى الحروف بالمطابع العربية ، ليعلم أنهم من هذه الناحية ، كثيرو الأخطاء . بل ليسأل أى أوربى يتعلم العربية ، حتى يعلم أن من الصعوبات التى يكابدها تعرف أشكال الحروف حالّة فى بنية الـكلمات ، وذلك لتعـدد صور الواحد منها — دع خفاء حركاتها ممـا هو عليه مصيبة أشق وأفظع — بخلاف العربى الذى يتعلم لغة أوربية ، فإنه لا يخطئ مطلقاً فى معرفة أى حرف فى كلماتها لتوحد شكلها و بقائه على حال واحدة على الدوام . بل ليسأل أى معلم من معلمى الأطفال ليستيقن أن من أشق ما يكون على الطفل انتقاله بعد تعلمه الحروف المفردة ، إلى طور تعلم الحروف متصلا بعضها ببعض فى الـكلمات .

ثانياً — تقول : إن بساطة صـور الحروف فى الخط العربى ليست مجرد اتفاق ، بل هى أمر مقصود .

وهذه قضية إن كان السيد يريد بها أن البساطة مقصودة عند وضع الأولين للخط العربى (كما هو ظاهر عبارته) ، فإنى أرجوه المعـذرة إذا قلت له : كيف تسمح لنفسك أن تقررها ؟ هل كنت حاضر النبطيين حوالى ميلاد المسيح فأخذت عنهم أن من نيتهم وضع رسم للغتهم العربية ، ومن مقصودهم أن يكون بسيطاً ؟ و إن كانت أقوال القلقشندى وغير القلقشندى من كتاب العربية قد ورد فيهـا ما يفيد هذا فاعتمدت فى تلك القضـية عليه ، فإنى أرجوك أن تعفى نفسك من

أقوال المتقدمين والمتأخرين من كتاب العربية فى هذا الخصوص . إنهم ما كانوا يعرفون من هو واضع الخط العربى . بل تخبطوا فى الافتراضات والاستنتاجات تخبطاً شديداً . فمن قائل إنه توقيفى من عهد آدم ، ومن قائل إن واضعه نبى الله إدريس ، وقائل إنه متلقى عن كاتب الوحى لنبى الله هود . ومن قائل إن أصله مقتطع من المسند الحميرى . وما هم إلا المستشرقون من الإفرنج ، بحثوا ونقبوا فى القرن التاسع عشر الماضى فقط ، ثم دلونا على أن الخط العربى من وضع النبطيين ، اشتقوه من الأرامية وسرى منهم إلى أهل الحجاز وغيرهم من عرب الجاهلية . وهذا — كما قلت فى موضع آخر — هو المعتمد الآن فى جامعة فؤاد الأول .

وإذا اطلعت على كتاب أصل الخط العربي للأستاذ خليل يحيى نامق (من علماء كلية الآداب بهذه الجامعة) ، لعلمت أن ما نقلته عن القلقشندى وهو : « إنهم فرقوا بين بعض الحروف بالنقط ، وقصدوا بذلك تقليل الصور للاختصار ، لأن ذلك أخف من أن يجعل لكل حرف صورة فتكثر الصور » . ذلك القول الموهم أن الواضعين الأولين للخط العربى هم الذين فعلوا هذا ، إنما هو قول بعيد عن الصواب — (إن كان مراداً به هذا المعنى المتوهم من لفظه) — لأن الذى أثبته أولئك المستشرقون ، اعتماداً على النقوش الحسية ، ودوّنه الأستاذ نامق ، هو أن النبطيين لم يضعوا شيئاً من النقط فى حروف الكتابة ، لا هم ولا من سرى إليهم خطهم من عرب الجاهلية . وكيف تعتبره صواباً وتبنى عليه قضيتك تلك ، مع استفاضة العلم عند المسلمين كافة ، بأن مصحف النبى ، التى دُوِّنت بها آيات القرآن ، لم يكن فى شىء منها أى نقط للحروف ، ومثلها فى عدم النقط مصاحف عثمان بن عفان التى نسخها من تلك الصحف وبعث بها للأقطار الإسلامية ، وأن تنقيط القرآن لم يحدث إلا على يد الحجاج بن يوسف فى خلافة عبد الملك بن مروان ؟ فالعرب الأولون ، من نبطيين وجاهليين ، لم يكن عندهم إلا حرف واحد للباء

والتاء والثاء والنون ، وحرف واحد للجيم والحاء والخاء ، وواحد للدال والذال ، وواحد للراء والزاى ، وواحد للسين والشين ، وواحد للصاد والضاد ، وواحد للطاء والظاء ، وواحد للعين والغين . وإذا سألتنى كيف كانوا يفرقون بين الحروف المشتركة عند القراءة ، فالجواب ميسور عتيد : إنهم كانوا يفرقون بينها كما كان أصحاب النبى وكل المسلمين من بعده يفرقون بينها فى القرآن مدة ثمانين سنة من تاريخ الهجرة إلى خلافة عبد الملك بن مروان .

على أن وجه الاعتراض بكيف كان يحصل التفريق بين الحروف هو ، بالإضافة إلى مدة الإسلام ، أشد وأقوى أضعافاً منه بالإضافة إلى ما قبل الإسلام . لأنه شتان ما بين الزمنين و بين الحضارتين و بين ضرورتى التفريق . مهما كان النبطيون قوماً أشداء ، ومهما كانت لهم مملكة قامت من سنة ١٦٩ قبل المسيح فى الجزء الشمالى من جزيرة العرب جنوبى فلسطين والشام ، واستمرت إلى أن أزالها الرومان فى سنة ١٠٦ بعد المسيح ، ومهما كانوا ، كما يقول مؤرخو الفرنجة ، قد أغاروا على الشام واستولوا على دمشق عاصمتها — مهما يكن من حالهم هذا ، فإنهم لم يكونوا ، كاليونان أو الرومان أو الفرس أو المصريين ، أهل علم أو صناعة راقية حتى يُعْرَوْا بالكتابة فيتقنوها و يتخذوا لها أدواتها . ومهما يكونوا قد تحضروا بعد التبدّى ، فإن تحضُّرهم لا بدّ كان كتحضر قريش فى مكة ، والأوس والخزرج فى المدينة . وهم ومن سرى إليهم خطهم من أهل الحجاز هؤلاء وغيرهم من الجاهليين مهما كانوا فى جملتهم أشداء أباة ضيم ، فإنهم كانوا فى جملتهم أيضاً نقلة تجارة أو أصحاب إبل و شاء ، رُحّلا نُزّلا ، يجذبهم الغيث و يشردهم الجدب . وكان أدبهم ينحصر فى المفاخرة بالأنساب والتغنى بما قام بينهم قديماً وحديثاً من وقائع القتال وصنوف الغارات ، و بفضائل الشجاعة والكرم و إجارة اللائذين المستجيرين ، وفى وصف الظواهر الطبيعية من سحاب و برق ورعد وأمطار ، وما نزلوه أو غادروه من

منازل وديار ، وفى التشبيب والنسيب ، وفى وصف أسفارهم ومطاياهم ، وما شاكل هذا . وخير هذا الأدب جوامع الكلم الخوالد التى تحمل الحِكَمَ والأمثال ، مما هو نتاج التجاريب وزبدة فلسفة الحياة . وإذ كانت كتابتهم بدائيــة صرفة وكانت الرقاع الصالحة لا وجود لها ، بل كانت صحفهم – على ما يلوح – هى الحجارة الرقيقة وعظام أكتاف الحيوان وسعف النخل وقطع الخزف أو الجلد (كما كانت فى مبدأ الإسلام) ، وهى جميعاً من شر الرقاع – إذ كان ذلك فقد أهملت تلك الكتابة طبعاً وقل اهتمامهم بتكميل نواقصها وتحسينها ، واضطروا لتخليد آثارهم وعواطفهم فى تلك المناحى ، إلى اتخاذ أيسر طريق لهذا الغرض : الشعر . والشعر غناء موزون ، عذب مألوف ، يحلو تكراره فيسهل وعيه واستذكاره . كان شعرهم يفى لهم بتلك الأغراض ويغنيهم عن الكتابة والتدوين وعن تعنية أنفسهم بتكميل صور حروف النغمات التى سرت إليهم من النبطيين أبناء جنسهم ، وإزالة اشتراك كثير منها بين جملة من هذه النغمات . ولقد استمروا هكذا حتى أتى الإسلام فجرى على خطتهم شوطاً طويلا ، مع اختلاف العهدين والحضارتين ، كما أسلفت ، ومع فتح فارس والشام ومصر وغيرها واتساع رقعة ما دخل تحت حكمه من البلاد .

وإذا سألتنى كيف كان النبطيون يدونون أعمالهم وقت قيام مملكتهم واستيلائهم على دمشق ، فالجواب أيضاً ميسور عتيد . كانوا يدونونها حتما بالرومية (اليونانية أو الرومانية) كما كانت دواوين المسلمين إلى عهد عبد الملك بن مروان يُكتب فيها بالفارسية والرومية والقبطية .

وإذن فإنى أرجوك ياسيدى أن تعدل عن قضيتك تلك ، سواء أكانت من عندياتك أم كنت انتزعتها مما رويته عن القلقشندى أو من أقوال اطلعت أنت عليها لغيره من العلماء .

(٣) أما إن كانت تلك القضية هى – على الرغم من ظاهر عبارتك وظاهر

العبارة التى نقلتها عن القلقشندى — مجرد تقرير انتزعته من الواقع الآن فى الخط العربى ، أو انتزعه القلقشندى من الواقع فيه فى عهده ، فأنت وكل كاتب يقظ ، بل حتى مثلى فى قلة يقظته ، كلنا نستطيع ، بمجرد مشاهدة الخط العربى الراهن ، أن نقول إن حروفه المفردة مكونة من خطوط مستقيمات طويلات أو قصيرات ، ومن أقواس منحنيات ، تتناسب مع المستقيمات ، وإن كثيراً من حروفه متشابهات ، تميزها النقطات ، ومواضع النقطات ، وأعداد النقطات . فإدخال القلقشندى وأهل الصناعة لا يزيد فى وزن هذا التقدير ولا ينقص منه . بل قد يظن أن الغرض منه إيهام أن الرأى تؤيده « دلائل العلم » ، وليس فى المسألة للعلم أى أثر كما ترى .

على أنك ياسيدى لو ألقيت مثل هذه النظرة على الحروف اللاتينية التى قارنت بينها وبين العربية ، لما وجدتها أيضاً إلا مكونة من مستقيمات طويلات أو قصيرات ، ومن أقواس منحنيات ، تتناسب كل التناسب مع المستقيمات . فهى والعربية فى الحال الراهنة سائرتان على نظام واحد فى التكوين . والفرق بينها وبين العربية عدم وجود المتشابهات المحتاجات للنقطات المميزات .

ثالثاً — (١) وإذا كنت أنت يا سيدى ، اعتماداً على القلقشندى أو غيره ، تعتبر أن التشابه مزية وأن التفريق بالنقط مزية ، ثم ترسل عبارتك فى هذا الصدد موهمة أنهما مزيتان مقصودتان لواضعى الخط الأولين ، لتبسيط الأشكال والتخفيف منها ، وتعتبر ، كما قد أفهمه من عبارتك بطريق التخمين ، أن الحروف اللاتينية أتت معقدة الأشكال لفقدها هاتين المزيتين — إذا كان هذا هو رأيك واعتبارك ، حتى ولو كان قولك راجعاً لا للواضعين الأولين من النبطيين والجاهليين ، بل إلى مركز الخط العربى فى عهد القلقشندى أو فى يوم الناس هذا — أقول إذا كان هذا رأيك واعتبارك ، فيفتح الله بينى وبينك .

(٢) واسمح لى يا سيدى أن أقدم لك اعتذارى عما أقوله من أنى لم أفهم إلا

بطريق التخمين أنك تعتبر أن الحروف اللاتينية أتت معقدة لفقدها هاتين المزيتين. عذرى الذى أقدمه لك هو نص عبارتك فى هذا الصدد، فأنا أضعه أمام نظرك لتعيد أنت قراءته: « إنه يظهر أنهم عُنوا ببساطة الحروف فعمدوا إلى تخفيف الصور، لأن كثرة الصور داعيـــة لتداخل الحروف مما يؤدى إلى التعقيد، وهو ما وقع بالحروف اللاتينية التى تعقدت أشكالها وصورها فاختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً ».

إنه بقطع النظر عن أنك، فى قولك أنت وفيما ترويه عن القلقشندى، لا تريح القارئ ببيان الاسم الظاهر، بل تستعمل ضمير جمع الغائبين الذى إذا كان ظاهر عبارتكما مفهماً أنه راجع إلى واضعى الخط العربى من أهل الجاهلية الأولى، فإنه قد يُفهِم، ولو من بعيد، أنه راجع إلى مركز الخط العربى فى الوقت الحاضر أو فى وقت القلقشندى. وهذا ضرب من التبهيم لا يجوز إتيانه ممن يحتج بالعلم ودلائله. لأن العلم لا يحتمل التبهيم، لا من قريب ولا من بعيد — بقطع النظر عن هذا، فهل تستطيع يا سيدى أن تفهمنى معنى قولك: « إن كثرة الصور داعية لتداخل الحروف مما يؤدى إلى التعقيد »؟ أنت ياسيدى فى صدد الكلام على صور الحروف المفردة وأشكالها، وصدر جملتك الذى تقول فيه إنه يظهر أنهم عنوا ببساطة الحروف دال حتما على أنك تَعنى بلفظ « الحروف » صور الحروف ولا تعنى بها النغمات، لأن النغمات يستحيل تبسيطها. والصور هى هى الأشكال، وهى هى الحروف على هذا المعنى الذى تحدّد فى صدر عبارتك تلك. وإذن يكون قولك: « إن كثرة الصور داعية لتداخل الحروف مما يؤدى إلى التعقيد » يساوى بالضبط « أن كثرة الحروف داعية إلى تداخل الحروف ». فاحكم أنت هل لهـذا القول معنى؟ وكيف يصح فى العقل أن كثرة أشكال الحروف تدعو إلى تداخلها؟ وما معنى هذا التداخل؟ إن كان أحد يفهم هذا فما أغبانى! وأخرى، هل يدرك أحد معنى لقولك: « وهو

ما وقع بالحروف اللاتينية التى تعقدت صورها وأشكالها فاختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً » ؟ إلامَ ترمى بأن الحروف اللاتينية اختلف بعضها عن بعض اختلافاً بيناً ؟ وهل اختلاف أشكال الحروف الدالة على النغمات المختلفة أو على حركاتها، هو فى نظرك أو نظر أى إنسان عيب ونقص ؟ وكيف يصح هذا فى العقل ؟ إذا صح فما أغبانى أيضاً ! ثم ، كيف تسمى اختلاف صور الحروف تعقداً فى أشكالها ؟ كيف والعقل يقضى بأن الأشكال والصور إنما هى رسوم وتخطيطات ، إن لم يتميز بعضها عن بعض بالمغايرة بينها ، اشتبهت واشتركت ولم يتمحض كل منها للغرض المراد تخصيصه به ؟ وإذا كانت المغايرة بين صور الحروف واجبة ، فلماذا تسميها « تعقداً » وتعدل عن اسمها وهو « المغايرة » ؟ وما مرادك هنا بكلمة « التعقد » ؟ هل تعنى معناها جاداً ؟ وهل سيدى ، وهو يتقن الفرنسية — كما يؤخذ من استشهاداته فى مقاله المحترم — لم يحفظ حروف هجائها اللاتينية ، وهى ستة وعشرون لا غير بما فيها من حروف الحركات ، بل وجد اختلافها قد عقّدها فعز عليه حفظها ؟ إنى أفهم أن كلمة التعقد تستعمل لو كنا فى معرض استبدال الحروف الصينية أو اليابانية أو المصرية القديمة بالحروف العربية . إذن لجاز أن يقال إنها جميعاً معقدة لكثرة الذنبات فيها والتعرجات والتلافيف وصور الحيوانات والجمادات ، وإن الذهن لا يحيط بتثنياتها وتعرجاتها إلا بعد المرانة وطول الإجهاد . أما فى اللاتينية فلا ، ثم لا ، ثم لا . وفوق ما أسلفت ، أفلا ترى يا سيدى أن بين جزءىْ عبارتك تناقضاً واضحاً ؟ فى جزئها الأول جعلت كثرة الصور داعية إلى تداخلها . وليس للتداخل معنى — كما قد أفهم — إلا الامتزاج والاختلاط . وفى جزئها الثانى جعلت التداخل داعياً إلى التعقد والتعقد داعياً إلى اختلاف الحروف اختلافاً بيناً . والاختلاف البين ضدٌّ بيّن للتداخل والاختلاط .

وإذا كانت عبارة السيد كلها اضطراباً وتناقضاً واستغلاقاً ، كما يرى ، فلماذا

يرزأنى بها ؟ أيكون سيدى وهو يعلم أن لا جدَّ فيها قد استضعفنى فهجم علىّ بالقول المشوش إيهاماً لى بأنه من « العلم » « ودلائل العلم » التى يقصر عقلى عن التطاول إليها ؟ لكنى أقول له إنى سمعت فى زمانى أن واجب العلماء أن يعلّموا الضعاف أمثالى ، لا أن يستغلوا ضعفهم فيخرسوهم بسلاح الإيهام ، وإلا فقد حبط عمل هؤلاء العلماء عند الناس ، وضاع أجرهم عند الله .

(٣) إن العقل ليقضى — كما أقول — بوجوب اختصاص كل نغمة بحرف ذى هيكل معين يدل عليه . أما الاعتماد فى التمييز على مجرد النقطات فإنه من أشد الآفات . خذ أى كتاب عربى مطبوع ودقق النظر قليلا تجدْ أن شكل النقطة الواحدة وشكل النقطتين ، أو شكل النقطتين وشكل الثلاث ، كثيراً ما تختلط وتتشابه ، إمّا لخطأ العامل ، وإمّا لميوعة المداد أو سخافة الورق . فتختلط ، فى غضون الكلمات ، النون بالتاء ، والتاء بالثاء ، والفاء بالقاف ، والباء بالياء . ولولا تعود القرّاء من أبناء اللغة لتعثروا فى القراءة والفهم غالب الأحيان . أما المخطوطات فأنت عليم بأن العمدة فيها على فطنة أبناء اللغة من القراء ، إذ النقطات كثيراً ما يقع الإهمال فى إثباتها أو فى أعدادها أو مواضعها . وهى آفة يضج منها كثير من الناس[1] . فاللاتينية تفضل العربية من هذه الناحية بلا نزاع . وأرجو سيدى أن لا يحتج بالإيجاز والاختصار . فان الرسم ثوب للنغمة يقصد منه الإعلام بها . وكل إعلام تعرّضُه للتغيير والتشويه فهو فى نظر العقل من الآفات .

(٤) ولقد حرت يا سيدى بين من يعترضون علىّ مستنصرين بالعلم ودلائله ، ولا أدرى أيهم أشايع وأيًّا منهم أباعد . أنت يا سيدى تقول بتينك المزيتين وبحيازة الرسم العربى لهما . لكن أستاذاً بكلية الآداب عندنا — استشهدت أنت

(١) ومنهم فى مصر الدكتور سليمان عزمى باشا الذى ما علم ، وهو عميد كلية الطب ، أن المجمع اللغوى يشتغل بتيسير رسم الكتابة ، حتى قام مستغيثاً من النقطات ، طالباً جعلها جزءاً من بنية الحروف حتى لا تختلط المتشابهات ويضل القراء فى التفريق .

على بعض نقط اعتراضك بقول له ضمن اعتراض من جانبه نشرته « الثقافة » أيضاً — قد فرط منه ما يدل على أنه لا يوافقك فى هذا الصدد . إنك لو أعدت النظر على مقاله لوجدته يقول ما مفهومه أن الكتابة المثلى هى ما يكون فيها لكل صوت حرف خاص يدل عليه دلالة واضحة . و يروى عن دائرة المعارف البريطانية ما يؤيد قوله . فإلى أيكما أنحاز ؟ أإليك أم إلى أستاذنا الجامعى ؟ إنى لا أنحاز إلا لما يقضى به العقل . والعقل — كما أسلفت — يهدى إلى وجوب الانحياز فى هذه النقطة — لا إلى سيدى لأن رأيه فى غاية الخطر — بل إلى أستاذ جامعتنا ، ولكن فى هذه النقطة وحدها و بخصوصها من جملة ما قال .

رابعاً — (١) لست أنازع سيدى فى أن من يقرأ بالسرعة كتابة أية لغة من اللغات فإن معوَّله الأول هو على ما ارتسم من قبل فى ذهنه من الصورة الكلية لكل كلمة يقرؤها ، لا على كل حرفٍ حرفٍ من الكلمة . ولسنا محتاجين فى إدراك هذا لا إلى آلة التاشيستوسقوب ولا غيرها — ما دام دليل ذلك يتكرر عمليا أمامنا كل يوم . إنك تقرأ خطاباً من أحد الإخوان قراءة سريعة ، فتفهمه ولا تلاحظ فى لغتـه شيئاً من العيوب . فإذا قرأه غيرك ، أو أعدت أنت قراءته بشىء من البطء ، وجدتما فيـه كثيراً من الأغلاط . بل أكثر ما يُلاحَظ هذا فى تصحيح المطبوعات . يقرأ المصحح التجربة (البروفة) مرة فلا تقع عينه إلا على بعض ما فيها من التحريفات ، مع أن المصححين لا يسرعون إلا قليلا . فإن صُحّحت التحريفات ثم قرأها ثانية عثر فيها على أغلاط أخرى لم يرها فى التصحيح الأول . وما ذلك إلا لأن المسرع فى القراءة لا يقرأ الكلمة حرفاً حرفاً بل يقرؤها كصورة كلية اعتاد فهم مدلول رسمها . فالمسألة فى هـذا لا تحتاج لا للعلم ولا لتجاريب العلماء .

(٢) مع تقريرى لهذا ألفت نظر سيدى إلى أن ما يقوله فى واد ونحن فى واد :

إن تلك القراءة المجموعيّــة التى يشير إليها ، هى قراءة السر فى سرعة قليــلة أو كثيرة ؛ لا قراءة الجهر فى سرعة أو بطء . ونحن لســنا بسبيل قراءة السر ، بل بسبيل قراءة العلانية . موضوعنا رجل يلفظ بالعربية لفظاً ذا صوت وجرْس ، نريد أن يكون لفظه المُسْمِع جارياً وفق أصول العربية وقواعدها : يرفع المرفوع وينصب المنصوب ويجر المجرور ويجزم المجزوم ولا يلحن فى شىء من هذا . أما القراءة السرية فلا شأن لنا بها وليست من موضوعنا . إن القارئين من مثقفين وغير مثقفين ، جميعهم يقرءون ويفهمون ما يقرءون إلا ما كان فوق طاقتهم من مسائل العلم والفن والأدب . ولــكن إذا كلفتهم النطق والإسماع ، سكّنوا أواخر الــكلمات وحركوا حروفها وفقاً للهجتهم العاميــة . وهى لهجة مفهمة بل أشــد فى الإفهام ، بين الجميع ، من الفصيحة التى لا يستطيعونها ولا تلوكها ألسنة المثقفين منهم إلا فى النادر القليل .

أرأيت إذن ياسيدى أنك هنا تخرج من الموضوع معتمداً على بلاغة عبارتك وما تستنصره من التاشيستوسقوب ومن أقوال العلماء ؟

إن التاشيستوسقوب (أو التاكيستوسكوب) لفظ أجنبى مديدّ البناء ، لا يدرك معناه من لا يعرف إلا العربية ، بل لا يدركه من يعرف الفرنسية وغيرها ولا يكون من الاختصاصيين . إن قارئه من هؤلاء وهؤلاء لا يناله منه إلا الانذعار والاستهوال . ولا سيما من لا يعرف غير العربية . لأنهم علّموه أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى . فالشقنداف عنده أوسع معنى من الشقدف ومن الشقداف . والتاشيستوسقوب أزيد من الشقنداف حروفاً . فهو لا يراه إلا غولا من أضخم الغيلان . أفلم يكن فى وسع سيدى أن يتجاوز عن ذكره حتى لا يرعب الناس ؟

(٣) أما ما تفيض فيه يا سيدى من أن الــكتابة العربية ، بما فيها من كثرة الأعمدة المرتفعات عن أصل كتلة السطر ، تبقى ، عند الابتعاد عنها ، ظاهرة يتبيّنها

النظر ، بعد اختفاء الكتابة اللاتينية التى من مقاسها ، فإنه ، مهما يكن صحيحاً ، لا فائدة فيه . اللهم إلا إذا أثبت لى أن دقة الحروف اللاتينية واستخفاءها على النظر قد منعا أهلها من مزاولة العلم والفن والأدب ، ومن بلوغهم فى جميعها أرقى الدرجات . وأنت لا تستطيع إثبات ذلك . فقولك إذن لا طائل من ورائه .

خامساً — تقول : كلا إن فائدة ذلك حفظ النظر من الضعف ، فإن خمسة وثلاثين فى المائة من طلبة المدارس العالية بفرنسا مصابون بقصر النظر ، لانكبابهم على مطالعة كتبهم غير الواضحة الحروف . كما أن العلماء قالوا إن عدم وضوح الحروف يصد عن القراءة . هذا حاصل كلامك . فاسمع ، غير مأمور ، كلامى :

لئن كان الطلبة الفرنسيون أصيبوا بقصر النظر ، فلا بد أن يكون أمثالهم فى جميع البلاد التى تكتب باللاتينية قد أصيبوا به كذلك . وأنا ياسيدى لا أرى ، أنا ولا غيرى من المصريين ، أثراً لهذا عندنا .

فى مصر بنوك متعددة ، وشركات كبرى كثيرة ، ومدارس للأجانب ، تزاول أعمالها باللغات الأوربية . وفيها كليات العلوم والهندسة والطب بفروعه جارية فيها الدراسة بالإنجليزية المكتوبة بالحروف اللاتينية . ولم نحسَّ أن عمال تلك البنوك والشركات وتلاميذ تلك المدارس وطلبة تلك الكليات مصابون فى نظرهم ، دون غيرهم من الناس أو أكثر من غيرهم من الناس ، بالقصر ولا بغيره من الآفات . كما أن الإفرنج من جميع الأمم التى تكتب بالأحرف اللاتينية لم تصد تلك الحروف أنفس علمائهم وأدبائهم عن الدأب فى التحصيل ، ولم تمنع طلبتهم بعد أن يخرجوا من مدارسهم العالية ، من أن ينقضّوا هم وأبناء جلدتهم علينا كالبزاة والعقبان ، حدادَ المخالب أصحاء الأحداق ، ولا من أن يخوضوا غمار المعارك الدموية فى البر والبحر والجو ، أقوياء القلوب مسلّمة أعينهم وأبدانهم من العلات . أفسحر هذا؟ أم أنهم من غير طينتنا البشرية ؟ أم أن هذا المحذور الذى تُضخّم من شأنه هو

أمر واه لا يؤخر الأمم العاملة فى شىء ؟ أظنك قد لا تمانع فى أن الفرض الأخير هو الصحيح ، وفى أن حبك للرسم العربى وامتلاء مزاجك به ، هو الذى يدفعك إلى التغالى فى تسوىء الرسم اللاتينى ، و إلى القول بأنه يرمد الأعين و يصدّ النفوس عن التحصيل ، مخالفاً فى هـذا ما أشاهده ، من آثاره فى أهله ، أنا وأنت وغيرنا من النـاس .

ليت طلبتنا فى الشرق يرمدون كطلبة الغرب ، ونفوسنا فى الشرق تنصد عن القراءة كأمم الغرب ، إذا كان ذلك الرمد وهذا الانصداد يُحلاّننا المحل الذى يتبوؤه الأور بيون من العلم والفن وصحة العيون وسلامة الأبدان !!!

سادساً — أما ماتنتهى إليه من القول بأن الحروف العربية أصلح الحروف لتأدية ما للغتنا من النغمات ، فإن بعض مدلول قولك هذا ياسيدى حق لا ريب فيه . وهو مارجع إلى النغمات الخصيصة بالعربية . و إنى ما عارضت فى هذا قط[1] . أما البعض الآخر الراجع إلى النغمات المشتركة بين العربية و بين غيرها كالباء والتاء والدال والسين وما أشبهها ، فإن الأحرف اللاتينية لا تقل عن العربيـة صلاحية فى تأديتها .

على أن كلامك هـذا فى واد وما نحن بسـبيله فى آخر . إن الكتابة سواء كانت بالحروف العربية أو بالحروف اللاتينية داخلا فيها من العربية ما يؤدى نغماتنا الخاصة ، أو من غير العربية ما قد يُبتدع للدلالة على هـذه النغمات الخاصة ، فإن رصّ حروف النغمات فى كل هـذه الأحوال ، غيرَ متبوعة بحروف الحركات أو

(١) أخذتنى هنا بما رأيته فى اقتراحى من استبقاء كثير من الحروف العربية لأداء نغماتنا الخاصة . وأصرح للسيد بأن رأيى فى هذا كان فطيراً لضيق الوقت عن التمعن والدراسة حق الدراسة . ولقد أرى الآن التعديل فيـه . فحروف الصاد والضاد والطاء والظاء التى استبقيتها ورأيت كتابتها مقلوبة الوضع (كما ترى فى النمـاذج التى فى آخر هـذا الكتيب) لتتمشى مع اللاتينية ، قد أرى الاستعاضة عنها بأشكال أخرى تستمد ممـا يضعه الاختصاصيون لنغمات مختلف اللغات . وقد أعدل فى الباقى عند الاقتضاء تعديلا يكون خيراً وأولى .

بعلامات الحركات ، هو الضرر البليغ الذى نحن بسبيل الشكوى منه ، ما دامت الحركات هى روح العربيـة وملاكها ، وما دام أنه بدونها لا يمكن نطق معظم حروف النغمات ولا معرفة معانى الألفاظ .

٩ — عن المسألة الثالثة — بدأت بإيراد اعتراض من يقول إن الأحرف اللاتينية بإدخالها صوراً مستقلة للحركات (الفتح والضم والكسر) تخدم العربية خدمة تتضاءل أمامها كل الانتقادات الفنيـة عليها ، لأنها تجعلنا نقرأ كما نكتب ونكتب كما نقرأ ، وتقضى على الأمية المتفشية فينا . ثم قلت إنك لا تستخف بهذا الاعتراض ، ولكنك تراه محاولة خاطئة سيئة النتيجة ، وأنك تستنصر لقولك هذا بالتاريخ وعلم اللغات . ثم أتيت ببيان مسهب حاصله : أولا — أن العلماء قالوا إن اللغات السامية أساسها المصدر ومنه تخرج مشتقات للدلالة على الأفعال والأسماء . وإن هذا المصدر لا يتكون إلا من حروف نغمات جوهرية (Consonnes) تؤازرها حروف المد (voyelles) وحروف العلة (semi-voyelles) (وتعنى بها، على ما أظن الواو والياء) . ثانياً — أن الحركات لا يؤبه لها فى هذا التكون ، لأنها ليست حروفاً بل هى وصف أو عَرَضٌ للحروف . وهنا أوردت أقوال النحويين بخصوص الحركة ، وتضاربهم فيما إذا كانت عنـد النطق تسبق الحرف أو تقارنه أو تتلوه . ثم أخذت فى بيان توجه به تضارب النحويين . ثالثاً — ذكرت أن أحد علماء السريان اخترع سـبعة حروف للحركات وحاول إدخالها فى الكتابة السريانية وإذاعتها فى قومه ففشلت هذه البدعة بعد موته ، وأن المندعيين (الصابئين) وضعوا فى رسم كتابتهم حروفاً للحركات ، وأن عملهم هذا إذا كان لم يفشل ، بل عده علماء اللغات تقدماً ، فإنه نتج عنه عدم إمكان تمييز حروف المد من حروف الحركات ، فاختلطت المدات بالحركات ، كما قاله العالم المستشرق نولدكه وأسف له رابعاً — ذكرت أن إدخال حروف الحركات اللاتينية بالرسم العربى يؤدى ،

بالزمن ، إلى اعتبارها حروف مد فتفسد أقيسة اللغـة وتفسد أوزان الشعر . وأن التلقين لا يغنى فى مثل هذا الموضوع لفساد القاعدة فى أساسها ، وقابليتها لمثل هذا التشويه . وأن اللغتين السودانيـة والتركية قد كتبتا بالأحرف اللاتينية فتشوه النطق بهما عن أصليهما ، كما هو ثابت من أقوال من سمعوهما فى القديم وفى الحديث ، وأن كل هذه المحذورات لا بد أنها صارفة للمعارضين عن رأيهم . خامساً — تقول إنك ستوافى المعارضين بما يرضى رغبتهم فى جعل الكتابة العربيـة تدل على الحركات فى أصل الكلمة ، مما ينقطع به دابر الإشكال .

وإلى سيدى ردى :

أولا — (١) إن علماء اللغات السامية لم يقولوا عن العربية إن أساسها المصدر — كما تروى — فحسب ، بل قد سمعت من معترض آخر قبل سيدى ما يفيد أنها كباقى اللغات السامية ثلاثية الأصول ، بل قد حَسِب ذلك المعترض أننا فى حَلْقة ذكر صوفية فترقّى إلى مقام شعرىّ خيالىّ باطنى ، فروى أن بعض المستشرقين قال إن هذه الثلاثية تشبه مُثُلَ أفلاطون ! !

ولو أن السيد اطلع على البحث الطريف الذى وضعه حضرة القس ا. س. مرمرجى الدومنكى بالقدس ، وبعث به لمجمعنا اللغوى من بضعة أشهر ، لوجد أن حضرته ، وهو — كما يظهر — من خيرة المشتغلين بالعربية ، يقول إن أصل الكلمات العربيـة ثنائى لا ثلاثى ، وأن الرجوع لهذا الأصل يهدينا إلى معانى كثير من الألفاظ التى نعتبرها اليوم من الأضداد . كما أن معلما بمدارسنا قدم للمجمع بحثاً يثبت فيه أن الفعل الماضى ، لا المصدر ، هو أساس الاشتقاق .

على أن العقل المجرد ، يا سيدى ، لا يمنع غلبة الظن بأن الإنسان الأول لم ينطق أولا بالمصادر ولا بالأفعال ، بل إنه يكون شاهد فى الغابة أسداً أو نمراً أو ثعباناً فصرخ ونطق بلفظ جعله اسماً يدل عليه . والعربى الأول والأعجمى الأول

كلاهما كالإنسان الأول فى الطباع والأحاسيس . فتكون الأسماء إذن سابقة للمصادر وما يشتق منها من الأفعال والأسماء ، على خلاف ما تروى .

(٢) ولو أن اليونانيين عقب أخذهم حروف الهجاء من الفنيقيين لم يضعوا حروفاً للحركات ، بل استمرت كتابتهم إلى اليوم لا تشمل إلا حروف نغمات بغير حروف حركات ، فلربما رأيت غالب المستشرقين يقولون إن اليونانية خلقها أهلها غير محتمل رسمُها لحروف الحركات .

ولو أن النبطيين عند وضع رسم العربية أدرجوا هم أو الجاهليون الأولون فى غضون الكلمات حروفاً أو زوائد خاصة للدلالة على الحركات ، لأخذناها عنهم قضية مسلَّمة ، ولما خطر فى بالنا ولا فى بال المستشرقين أن خلقتها الأولى غير محتملة لحروف الحركات . لكنهم لم يضعوا ، بل احتذوا حذو جيرانهم من السريانيين والصابئين الذين تذكرهم . وهذا من جميعهم نقص فاحش يحاولون سده فى كل الأزمان ، بما فى الإمكان . غير أن الأقدمية والآثار السالفة والعادات المتأصلة لها حكمها القوى الذى يدفع إلى الصبر على كل منقوص مع الاقتناع بأنه منقوص . فأرجو سيدى أن لا يتعلق كثيراً بتقديرات المستشرقين فيما هو قابل عقلا للأخذ والرد ، من الشؤون . ولا تلمنى ، فأنت نفسك قلت فيما بعدُ إن إدخال حروف للحركات فى كتابة الصابئين عدّه العلماء تقدماً . ولا تعجل بالاعتراض فسترى كلامى على تلك النقطة وعلى ما قيل من أن المدّات فى تلك اللغة اختلطت بالحركات القصيرات .

ثانياً — (١) أمّا قولك فى الحركة إنه لا يؤبه لها فى رسم العربية ، فلا شك أنه من جانبك تقرير للموجود فى الواقع . أما إذا كنت تريد به عدم أهمية رسمها فإنى أنكره عليك أشد الإنكار . ليكن الأصل فى الكلمات العربية المصادر لا الأفعال الماضية ، ولتكن ثلاثية الأصول كما يقولون أو ثنائيتها كما يقول حضرة القس

مرمرجى ، ليكن من هذا ما يكون ، فإن حروف النغمات الجوهرية الصامتة (Consonnes) مهما يكن لبعضها من جرس صفيرىّ يستمر بعض الزمن كالزاى والسين والشين وغيرها ، فإنها جميعاً يستحيل أن تُفْهِم شيئاً بدون الحركات . وليكن فيها حروف المد : الألف والواو والياء . فإن هذه لا تؤدى لك سوى مقطع مفتوح ممدود أو مضموم ممدود أو مكسور ممدود . ومثل هذه المقاطع ليست هى كلمات العربية ، بل قد تكون حكاية لأصوات بعض الحيوانات أو الجمادات . فالحركات — كما قدمت — هي روح العربية وملاكها . وإذا حذفتها من الرسم كان ذَرِبُ اللسان عند النطق كالأخرس سواء بسواء .

(٢) وليس فى كل ماأوردَته عن الحركة وسبقها للحرف أو مقارنتها أو تُلُوِّها له أقل فائدة فى موضوعنا . لتكن الحركة من ذلك ما تكون ، فإنها هى هى ذلك الشيء الذى لا يجهله أحد من القارئين بل كلهم يعرفونه بالضرورة .

كذلك لا يوصلنا لشيء ما تقوله قبل ذلك من أن الحركة صفة للحرف وليست حرفا . لا يوصل ، لأن أحداً لم يدع ولا يمكن أن يدعى أن الحركة حرف نغمة . وإذا كنت أجهدت نفسك بلا مقتض فى توجيه المتضارب من أقوال النحويين كما أجهدتها أيضاً فى الاستشهاد هنا بمن قالوا إنها عرض وبمن قالوا إنها صفة ، استنصاراً وترهيباً بالعلماء وأقوال العلماء ، فى غير ماموضع لهذا الاستنصار والترهيب ، فاعلم يا سيدى أنى قد أعرف تكميل ما أوردته منقوصاً فى هذا الصدد : أستطيع أن أقول إن الحركة عَرَض ملازم للحرف بالقوة أو بالفعل . والعرض الملازم خاصة منطقيـة كالضحك للإنسان . والخاصة المنطقيـة تدخلُ فى التعريفات فيكون التعريف بها رسماً لاحدّاً . فإذا قلتَ إن الحرف الجوهرى فى الألفاظ العربية (هو نغمة من نغماتها قابلة للحركات) — إذا قلت هـذا ، وهو صحيح كل الصحة ، فقد عرّفت الحرف الجوهرى (Consonne) . على أنى قد أُرَقِّى فى البيان فأدعى

أن الحركة جزء من ماهية الحرف ، وأعرّف الحرف فى العربية بأنه (نغمة خاصة يلفظ بها فى الكلمات العربية على وجه خاص) . وهنا أصبحت الحركة فصلا منطقياً وجزءاً من ماهية الحرف . فإذا أردت أن تدل ، فى ألفاظ الكلام ، على هذا الحرف العربى ، بالخط ، وجب عليك حتما أن تجعل الهيكل الدالّ معيناً عرضَه الملازم له الظاهر عليه بالفعل (على التعريف الأول) أو الوَجْهَ الخاص المنطوق به (على التعريف الثانى) . على أن كل هذا الكلام من جانبى ومن جانبك — خطأ كان أو صواباً — هو حشو وتزيد لا ضرورة له ولا بلاغ فيه . والحقيقة الوحيدة التى ينبغى أن تكون أساساً لما نحن فيه ، هى أن رسم اللغات من اختراع الإنسان . فهو يغيره وينوّعه كما يشاء . لا فرق فى هذا بين العربية وغيرها . وأنت إذا استبقيت الحروف العربية كما هى ، ووضعت لها حروفاً خاصة للحركات أو زوائد خاصة للحركات ، أو اتخذت لها أى رسم من رسوم اللغات الأجنبية يبين نغماتها وحركاتها ، فإنها لا تعصيك فيما تريد من هذا . وهل التركية والفارسية والجاوية والهندية عصت عند ما أُلْزِمتْ رسم العربية ؟ أو لغات أوربا عصت عند ما ألزمت رسم اليونانية ؟ كل كلام فى هذا الموضوع ميسور الإكثار منه لكل إنسان . ولكنه لا يفيد . فأرجو أن لا تسترهبنى بما تسميه دلائل العلم ولا بالإكثار من التقريرات الشبيهة بتقريرات العلماء مع خروجها عن الموضوع وعدم فائدتها فيه .

ثالثاً — (١) أما قول سيدى : « إن أحد علماء السريان وضع سبع صور للحركات وأدخلها فى هياكل الكلمات ، ولكن عمله فشل بعد موته » ، فإنى لا أدرى كيف جعل هذا العالم شكل ما اخترعه من تلك الحروف . إنها إذا كانت ، بالإضافة إلى السريانية (التى لا أعرفها) من قبيل ما تقدم لمجمعنا اللغوى من الاقتراحات بشأن رسم العربية — مما ترى نماذج كثير منها مرسومة فى آخر

المطلب الثالث من هـذا الـكتيب — فإنه عمل كان خليقاً بالإخفـاق والزوال .
أما إن كان عمل هـذا العالم جيداً متقناً مفيداً ، فمستحيل أن يكون سبب إخفاقه
متانته وفائدته . بل يكون السبب صعوبة إرضاء عواطف الناس وشهوات الناس .
وعلى إمكان صحة هـذا التقدير فليس لسيدى أن يحتج هنـا بحبوط ما يكون أتاه
هذا العالم من العمل المتين المفيد .

(٢) تقول إن الصابئين وإن كانوا أدخلوا حروف الحركات فى رسم كتابتهم
وكان العلماء عدّوا عملهم هـذا تقدماً ، لـكن العالم نولدكه قال إنه أدى إلى عدم
تمييز المدّات من خفيف الحركات . إنى أيضاً لا أعرف لغة الصابئين (المندعيين) .
وكذلك لا أعرف كيف هيأوا لها حروف الحركات . لـكنى ألفت نظر سيدى
إلى ما روَى مما يفيـد أن عملهم أخذ قومهم به وأنهم مستمرون عليـه ، ومن أن
العلماء اعتبروه تقدماً . هؤلاء العلمـاء لا بد أنك تعنى بهم المستشرقين المشتغلين
باللغات السامية . وإذا لاحظتَ هذا علمت أن أقوال أولئك العلماء الذين تستنصر
بهـم لتقرير أن ألفاظ اللغة العربية ، وهى من اللغات السامية، تأبى — بأصل
رسمها أو بأصل تكونها أو بأصل خلقتها (كما تشاء) — وضع حروف فيها
للحركات ، إنما هو تقرير للواقع فى رسمها ليس غير . وأنه لا يمنعك مانع من أن
ترسم نغمات ألفاظها بأى رسم آخر تريد ، ولا أن تضع لهـا من حروف الحركات
التى تناسبها ما تختار . أما ما رواه السيد عن العالم نولدكه ، فأغلب ظنى أن نقده
لا يكون آتياً إلا من سـوء رسم ما أدخلوه من حروف الحركات . وإنك
إذا راجعت نماذج ما قدم لمجمعنا من الاقتراحات ، لوجدت من بينهـا ما لو
اتخـذ لوقع الخلط حتما بين الحركات القصيرة و بين المدّات (انظر نموذج رقم ٢
فى ص ١٣٤) .

رابعاً — أما قول سـيدى إن إدخال حروف الحركات اللاتينية فى الرسم

العربى يؤول بالزمن إلى اعتبارها حروف مد فتفسد أقيسة اللغة وأوزان الشعر ، وأن التلقين لا يغنى لأن القاعدة فاسدة الأساس . . الخ الخ .

قولك هذا ياسيدى من أغرب ما يكون . إن اللغات المرسومة بالحروف اللاتينية متعددة . وحروف الحركات فيها كثيرة جدا ، وأغلبها شائع فى جميعها ، كما أن أغلبها يختلف توجيهه النغمةَ فى لغة عنه فى الأخريات . ونحن للآن لم نسمع إنجليزيًا ينطق فى لغته حرف (u) أو (e) كما ينطق بهما الفرنسى أو الألمانى أو الطليانى ، كلٌّ فى لغته . ولم نر أن تعدّد تلك الحروف مع تجاور ديار تلك الأمم خلط لغاتها بعضها ببعض ، فجعل ما يُنطق به فى بعضها كفتحة أو ضمة أو كسرة خفيفة قد غرّر بأهله أو أعدى الجيران فنطقوا به ممدوداً ، فأفسدوا لغتهم وما لشعرهم من الأوزان . أظن أن قول سيدى فى هذا الصدد هو الفاسد ، وأنه مجرد تهويل . فأرجو إعفائى من مثله ، ومما تقول من أن اللاتينية قد كتبت بها السودانية والتركية فأفسدتهما .

إذا كان أحد كبار السودانيين قد أخبرك بهذا — كما تقول — فلا بد أنه وقفك على جليّة الخبر . ولا بد أنه أعلمك ما وقع وما هو واقع الآن فى السودان القريب من خط الاستواء فى مناطق تسكنها قبائل الدنكا ، والشلوك ، والنوير ، والنيام نيام ، وغيرها ، وكلها قبائل همجية لا تتكلم العربية ، بل لكلٍّ منها رَطانته الخاصة التى لا قيمة لها فى الوجود . تلك القبائل قد تسلل بينها المبشرون — كما سمعت أخيراً — وأرادوا ضبط رطانتهم بالكتابة ليتعلموها هم ويعلموهم كتابتها ، فضبطوها بالأحرف اللاتينية فتشوه النطق بها طبعاً ، لأن هذه الأحرف وحدها لا يمكن أن تؤدى النغمات الخاصة بتلك الرطانات . والقسس المبشرون أنفسهم لا يستطيعون تصريف ألسنتهم بها ، فهم يكتبونها بالاجتهاد . ولا يهمهم أن تتشوه أو لا تتشوه ، لأنها لا قيمة لها فى ذاتها على أية حال . ولئن صح ماسمعته

أنا من هـذا — وقد لا يبعد أن يكون صحيحاً — فأين ما نحن فيه من عمل المبشرين ذاك ؟ وكيف يسمح سيدى أن يُدخل هزل العمل فى جدّه ، فيحتجّ بتلك الرطانات ؟ .

أما التركية فأرجوك أن تسمع أهلها — لا الناقين ولا المشرّدين — لتعلم كيف أفادوا من تعديل رسم لغتهم أكبر الفوائد ، وأن نطق لغتهم لا زال هو هو على ما كان عليه . وهل كان الرجل التركىّ فى عهد الرسم العربى يستطيع أن ينطق النغمات الخاصة بالعربيـة ؟ ألم يكن ينطق الثـاء سيناً والجيم المعطشة تارة مفشوشة وأخرى مكزوزة كأنها تاء وشين ، و ينطق الحاء هاء والذال والضاد زاياً والطاء تاء والظاء زاياً مفخمة فقط والعين ألفاً والقاف كافاً ؟ فنطقهم لازال هو هو . يتحكمون بلوكتهم القومية فى الحروف اللاتينية كما كانوا يتحكمون بها فى العربية . فدعنا من الـكلام الغير المفيد .

خامساً — إنك فى صدر مقالك جعلت المسائل التى عولت على الـكلام فيها أربعاً . وقلت إن رابعتها هى : « هل فى الإمكان درك نقص الحركات دون التجاء إلى الحروف اللاتينية ؟ » فاستبشرت أنا خيراً وقلت لنفسى : علّ خروج الفصحى لبر السلامة يكون وقته قد حان . لـكنك لم تتناول فى أقوالك التى نشرت فى ثلاثة أعداد من «الثقافة» آخرها الصادر فى أول أغسطس سنة ١٩٤٤ إلا المسائل الثلاث الأولى التى أوردتُ فيما تقدم كلامك فيها ورددتُ عليه . أما المسألة الرابعة ، وهى ملاذ العائذين ، وهدف الأهداف ، وغاية الغايات ، ومحطّ الرحال ، فإنك أنزلت رحلك فى الصحراء ، قبل أن تبلّغنا محلها وتمتعنا بسنا محياها . إنك حين صرت منها على كثبٍ أمسكت عن الـكلام ، وعللتنا بوعد مجرد لم تسمّ لإنجازه أجلا . قلت إنك « ستوافى المعارضين بمـا يرضى رغبتهم فى جعل الـكتابة العربية تدل على الحركات فى أصل الـكلمة بما يقطع دابر الإشكال » . حرام عليك ما أقساك !

إنك بهذا حسبتنا كَمُّونًا إن فاته السقى أغنته المواعيـد . بل تركتنا كمن يقف به المِصْعَد بين طبقتين ، لا إلى العُلْيا وصل ، ولا إلى السفلى يعرف كيف النزول . فهو خافق القلب مضطرب الحشا ، حتى يشاء الله فيقيّض له من ينقذه . أفيكون الأمر ياسيدى أنك أجهدت نفسك فى كلام طويل مديد ، لمجرد استرهابى بالعلم والعلماء ، حيث لا علم — كما بينته لك — ولا قيمة فيما نحن فيه لما تنقل من أقوال العلماء ؟ ولماذا تسترهبنى بغير الحق ، وأنا — مع احترامى الكلى لك ولغيرك — لم يسبق لى التشرف بمعرفة شخصك الكريم ، ولا جرت بيننا معاملة مما يوغر الصدور ويبعث على الترهيب ؟ ألعلك لا تكون أنت مختاراً فى نشر كلامك بل تكون ملهماً فيه من بعض الأجلاء ، وتكون فى ذلك كبعض المعترضين علىّ من المصريين ؟ ! قل لملهميك إنهم مخطئون ، فإنى أعرف فضلهم وسمو مكانتهم فى أهلهم وعلو كعبهم فى الآداب ، ولا أكنّ لهم إلا كل احترام وإجـلال . ومهما يكن من الأمر ، فإنى ياسـيدى باق فى انتظار إنجازك وعدك . وفى اليوم الذى يهديك الله إلى العثور على طريقة — غير الشكل وغير تلك الطرق التى ترى نماذجها هنا — تجعل كتابة الفصحى مسـتوفية ما ييسر لكل فرد من أية الطبقات أن ينطق بهـا على الوجه الصحيح ، بلا لحن ولا خطأ ولا توقف أو إعمال فكر ، بل كما ينطق الأجانب بالمكتوب من لغاتهم — فى ذلك اليوم ياسيدى ترانى على الفور ممزقاً اقتراحى ، دافناً أشلاءه فى الأرض السابعة تهجيناً له واسـتقباحاً ، ورافعاً عملك إلى السماء السابعة إكراماً له وتمداحاً . وكل رجائى منك أن يكون إنجاز وعدك على هذا الوجه فى يوم قريب .

والسلام على السيد ورحمة الله وبركاته .

المطلب الثالث

— ١٣ —

لما اتصل بعلم الجمهور أن المجمع اللغوى يبحث فى أمر تيسير الكتابة العربية ، قدّم بعض من اهتموا بالأمر اقتراحات مشفوعة بنماذج تبين صورتها التطبيقية . ولما عرضت على اللجنة المختصة أهملتها جميعاً ، ما عدا اقتراحاً لحضرة الأستاذ على الجارم بك ، فإنها استبقته ريثما يُدْخل عليه ما يرى من التحسين ، بعد رجوعه إلى الاختصاصيين فى فنّى الرسم والطباعة . ثم انتهى الأمر بتقديمه لمؤتمر المجمع فى الدورة الماضية التى انفضت فى آخر فبراير سنة ١٩٤٤ . والمؤتمر قرر إرجاء البت فيه لدورته المقبلة ، آملا أن يتقدم الجمهور باقتراحات أخرى فتتخير اللجنة أمثلها وتعرضها على المجلس ثم عليه للتصرف .

ولقد قُدم لإدارة المجمع فعلا من يناير سنة ١٩٤٤ إلى أواخر مايو سنة ١٩٤٤ اثنان وعشرون اقتراحاً ، ضُمّ إليها اقتراح من سنة ١٩٤٣ لم يكن عرض على اللجنة . من هذه الاقتراحات اثنان خاص أحدهما بطريقة لنقط الحروف ، والآخر بطريقة لفصلها فى الطباعة . فهما لا يتلاقيان مع الغرض المراد تحقيقه . أما باقى الاقتراحات فخيرها أحد عشر اقتراحاً تجد فيما بعد صور نماذجها . وكل تلك الاقتراحات ، خيرها وشرها ، رفضته اللجنة رفضاً باتاً ، ولم تر فيه ما يصلح لعرضه على مجلس المجمع أو على مؤتمره .

وقد طبعنا ما طبعنا من النماذج هنا ليقوم لدى الجمهور عذر اللجنة فى رفضها . وهاك تلك النماذج من رقم ١ إلى رقم ١١ مع أسماء حضرات مقترحيها المحترمين الذين لهم فضل إنفاق ما استطاعوا من جهد ومال ابتغاء مرضاة العربية ، والذين إذا غمط الناس فضلهم فإن لهم عند الله أحسن الجزاء .

بعض النماذج

التي وضعها أصحاب الاقتراحات المختلفة لتيسير الكتابة العربية

(١) - حضرة يوسف الخطاب افندي، بديوان المحاسبة:

أ- هاك صور الحروف الهجائية التي يقترحها:

ا ب ت ث ج ح خ د ذ

ر ز س ش ص ض ط ظ

ع غ ف ق ك ل م ن

هـ و ى

ب - هاك تصويره لكلمة «العقل» بحسب اقتراحه:

٢

(٢) - حضرة أمين ابراهيم مخلوف أفندى بكلية الحقوق :

هاك نموذج اقتراحه :

إيمرئ ى - أاامانتو - سأييدو

إمرئٍ آمنتُ سَيِّدٌ

(٣) - حضرة الأستاذ عبد المتعال الصعيدى المدرس بكلية اللغة العربية، بالأزهر :

إليك نموذج اقتراحه :

حصصل - يحصصل - تحصيل

حَصَّلَ يُحَصِّلُ تحصيلاً

(٤) - حضرة الأستاذ خالد عبد المجيد الشباسى المدرس بمدرسة دمنهور الصناعية :

ودونك نموذج آخر اقتراح له :

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

٣

(٥) - حضرة الأستاذ عبد المنعم شرارة المدرس المنتدب بوزارة المعارف:
هاهو ذا نموذج طريقته:

الحعبيف بتهاذا الملعحنى يمأددى بدنا ئلى
الحُبُّ بِهذا المعنى يُؤَدِّي بنا إلى

الصلدافتل الئجتماعييلتل
الصَّداقة الإجتماعية

(٦) - حضرة الأستاذ سليمان محمد سليمان المدرس بمدرسة التجارة
بالجيزة - هذا نموذج اقتراحه:

[illegible]
بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ

[illegible]
اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ

(٧) - حضرة حسين أفندي منصور بالمجمع اللغوي:
هاك نموذج اقتراحه:

فاروق الأول [illegible]
ملك مصر [illegible]

٤

(٨) ـ حضرة محمد شيت الحيالي من الموصل بالعراق :

إليك نموذج اقتراحه :

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَاتَّهَمْتُ حَصَاتِي

(٩) حضرة الأستاذ عبد الحميد إبراهيم بوزارة الزراعة :

دونك نموذج اقتراحه :

بِجَدٍّ لَا بِجَدٍّ كُلُّ مَجْدٍ

(١٠) ـ حضرة الدكتور علي شافعي المتعافي بالمستشفى الأميري ببنها :

هذا نموذج اقتراحه :

فَارُوقُ الأَوَّلُ مَلِكُ مصر

(١١) ـ حضرة الأستاذ علي كنفاني مدير مصلحة مياه طرابلس ـ لبنان :

إليك نموذج اقتراحه :

وَمَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فَمَا ظَلَمْ

القسم الثانى

اقتراح اتخاذ الحروف اللاتينية لرسم الكتابة العربية

[قدمه حضرة صاحب المعالى عبد العزيز فهمى باشا عضو المجمع إلى المؤتمر فى جلستى ٢٤ و ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ م.] (١)

كلمة أولى

١ — لا شك عندى أن حضرات المستشرقين ، من بريطانيين وفرنسيين وإيطاليين وألمان وأمريكيين ، يعجبون منا نحن الضعاف الذين يطأطئون كواهلهم ، أمام تمثال اللغة ، لحمل أوزار ألف وخمسمائة سنة مضت . إنهم رجال عظماء انقطعوا للعلم والبحث فى اللغات الشرقية القديمة ، بائدها وقائمها ، لا لأنهم يريدون أن يستعملوا لغتنا العربية أو غيرها من تلك اللغات الشرقية فيما بينهم ، أو اتخاذها وسيلة للتفاهم بين أقوامهم ، بل لأنهم فى الحقيقة مؤرخون ، مهمتهم النبش فى الحفريّات اللغوية القديمة ، فهم ينبشون آثار الفراعنة لتعرف لغتهم الهيروجليفية ، وينبشون آثار الأشوريين والكلدانيين واليمنيين ، كيما يعثروا على نص منقوش فى الحجارة ، يستدلون منه على لغة كل قوم . ثم هم يقارنون ويضاهئون ، كيما يخرجوا من المقارنة ومضاهأة القديم بالقديم ، وتطبيق القديم والحاضر بعضهما على بعض ، بنتيجة يقررونها تفيد الناسَ العلمَ بماضى كل لغة وما طرأ عليها من التطور حتى وصلت إلى أهلها فى عهدهم الحاضر ، كما تفيد غالباً العلم بما طرأ على كل أمة من ناحية رقىّ حضارتها وتدهورها . وللمستشرقين لذة

(١) طبعه المجمع اللغوى أول مرة بالمطبعة الأميرية فى فبراير سنة ١٩٤٤، وهذه طبعته الثانية .

خاصة فى هذا النبش والبحث والاستقصاء . لكن عملهم هذا شىء وإمساك أية لغة بخناق أهلها دهراً طويلا شىء آخر .

حياة اللغات وتطورها

٢ — كلنا أصبح يعلم علماً ضرورياً ، أن اللغة كائن كالكائنات الحية ، ينمو ويهرم ويموت ، مخلفاً من بعده ذرية لغوية متشعبة الأفراد هى أيضاً فى تطور مستمر . ولم يستطع قوم للآن أن يغالبوا هذه الظاهرة الطبيعية ، فإن التطور يكبح شراسة من غالبه .

كان قدماء المصريين أعزّ أمة ، فذهبت ريحهم وذهبت معهم لغتهم ، وربما خلفها فى اللغة القبطية — التى ماتت هى الأخرى إلا فى بطون الأوراق — لهجةٌ بعيدة عنها بعداً شاسعاً ، ولم يستطع أحد من سلالة المصريين القدماء أن يخلّد لغة هؤلاء الأجداد .

وكانت اليونانية القديمة لغة شعر وحكمة ، فلما اشتد التبلبل فى ألسنة أهلها اضطُروا على الرغم منهم أن يتخذوا من عاميتهم لهجة جعلوا لها قواعد نحو وصرف ، وهى التى يتكلمونها ويكتبون بها اليوم .

وكانت اللاتينية لغة الإمبراطورية الرومانية ، فأتى عليها التطوّر ، فاشتقت منها الإيطالية والفرنسية والأسبانية وغيرها ، وأصبح لكل لغة منها قواعدها الخاصة .

وقل مثل هذا عن الألمانية القديمة وما تفرع منها .

٣ — وكل لغة من تلك اللغات الذرارى هى كل يوم فى تطوّر . غير أن العلماء يراقبون هذا التطور ويجارون الناس على ما آلت إليه اللغة فى بيئتهم ، حتى يوحّدوا بين لغة الكلام ولغة الكتابة جهدَ الاستطاعة .

اللغة العربيـــة

٤ — لكن حال اللغة العربية حال غريبة ، بل أغرب من الغريبة ، لأنها مع سريان التطور فى مفاصلها وتحتيتها فى عدة بلاد من آسية و إفريقية إلى لهجات لا يعلم عددها إلا الله ، لم يدر بخلد أية سلطة فى أى بلد من تلك البلاد المنفصلة سياسياً أن يجعل من لهجة أهله لغة قائمة بذاتها ، لها نحوها وصرفها ، وتكون هى المستعملة فى الكلام الملفوظ ، وفى الكتابة معاً ، تيسيراً على الناس ، كما فعل الفرنسيون والإيطاليون والأسبان ، أو كما فعل اليونان . لم يعالج أى بلد هذا التيسير ، و بقى أهل اللغة العربية من أتعس خلق الله فى الحياة .

٥ — إن أهل اللغة العربية مستكرَهون على أن تكون العربية الفصحى هى لغة الكتابة عند الجميع ، وأن يجعلوا على قلوبهم أكنّة وفى آذانهم وقراً ، وأن يردعوا عقولهم عن التأثر بقانون التطور الحتمىّ الآخذ مجراه بالضرورة — رغم أنوفهم — فى لهجات الجماهير ، تلك اللهجات التى تتفرع فروعاً لا حدّ لها ولا حصر ، والتى تتسع كل يوم مسافة الخلف بينها و بين الفصيحة جَدّةِ جَدّاتها اتساعاً بعيداً .

هذا الاستكراه الذى يوجب على الناس تعلم العربية الفصحى كيما تصح قراءتهم وكتابتهم ، هو فى ذاته محنة حائقة بأهل العربية . إنه طغيان و بغى ، لأنه تكليف للناس بما فوق طاقتهم .

ولقد كنا نصبر على هذه المحنة لو أن تلك العربية الفصحى كانت سهلة المنال كبعض اللغات الأجنبية الحيّة ، لكن تناولها من أشق ما يكون ، وكلنا مؤمن بهذا ، ولكن الذكرى تنفع المؤمنين ، فلنذكّر ببعض هذه المشقة :

بعض صعوبات العربية

٦ – (ا) إن الأفعال فيها مجرد ومزيد ، ولئن كان المزيد سهل التصريف ، فإن المجرد وهو الثلاثى له ستة أوزان ، وليس فى أى فعل منها علامة مميزة تدل على الوزن التابع هو له ، وليس لهذا التمييز من دلالات سوى قواعد معقدة لاتسمن فى غالب الأحيان ولا تغنى . ففعل (ظفِر) مثلا لا يعرف القارئ إن كان ماضيه مكسور العين أو مفتوحها أو مضمومها ، ولا إن كان مضارعه مفتوح العين أو مكسورها أو مضمومها ، بل عليه أن ينجِّم ويخمِّن ، أو يرجع لمعاجم اللغة . ومثل (ظفِر) عدد كثير من الأفعال الثلاثية .

(ب) إن الفعل الثلاثى الواحد قد يتبع أوزاناً مختلفة فيكون فى الماضى مفتوح العين أو مكسورها مثل بقَى بَقِيَ ، ويكون مضمومها أو مكسورها مثل بعِد وبعُد ، بهِت و بهُت ، بل يكون صحيحاً بالحركات الثلاث مثل بغَض و بغُض وبغِض أى صار بغيضاً ، ومثل أَنَس وأَنِس وأَنُس ، ضد توحش . وقد يكون الفعل مفتوح العين فى الماضى مكسورها أو مضمومها فى المضارع ، مثل بطش يبطِش أو يبطُش بكسر الطاء أو ضمها ، وقد يكون مكسور عين المضارع أو مفتوحها مثل بات يبات و يبيت . وفى هذا التغاير فى الماضى أو المضارع فى الفعل الواحد بعينه منتهى الحرج . وهو حرج يدعو ابن اللغة ، وبالأولى دعيّها ، أن يفر منها راضياً من الغنيمة بالإياب .

(ج) أثقل من هذا أن الفعل الواحد له جملة مصادر ، مما لا شبيه له فى أية لغة من لغات الخلق ، وهذا وقر آخر يقصم ظهر متعلم العربية . فمثلا

(بات) و (بغى) لأولهما ثلاثة مصادر : بيتاً و بياتاً و بيتوتة ، ولثانيهما خمسة : بغاء ، بغْيا ، بغًى ، بِغيــة ، بغْية ، وذلك عدا المصــدرين الميميين للأول (مباتاً) أو (مبيتاً) والمصدر الميمى (مبغًى) للثانى .

بل يجوز أن يكون للفعل الواحد تسعة مصادر ، مثل فعل لبِث ، فإن مصادره لَبْثاً ، لُبثاً ، لَبَثاً ، لَبــاثاً ، لُباثاً ، لَباثة ، لُبــاثة ، لَبَثاناً ، لَبِيْثة ، عدا المصدر الميمىّ (ملبَث) .

(د) إن الأفعال فوق كونها تبنى للمعلوم أو للمجهول ، فإن فيها الصحيح وفيها المعتل ، ونظرية الإعلال والإبدال من أشق ما يكون فى العربية .

(هـ) إنه بقطع النظر عن الحروف وعن الأفعال ، فإن الأسماء منها معرب ومبنى . و إذا كان المبنى من الأسماء عدداً ضئيلا لا صعوبة فيه فإن المعرب يكاد يشمل كل مفردات اللغة (فوق المصادر وما اشتق منها من الصفات ونحوها) . وهذا المعرب تتغير أواخر كلماته بتغير العوامل الداخلة عليها . وهى صعوبة لا توجد فى معظم اللغات الحية .

(و) فوق هذا فإن الأسماء منها المصروف ومنها الممنوع من الصرف ، ومنها ما هو مقصور أو منقوص . ولكلٍّ طريقة إعراب خاصة .

(ز) وأثقل من هــذا أن الجموع متعددة فى العربية : فمن جمع مذكر سالم إلى ملحق به ، إلى جمع مؤنث سالم إلى ملحق به ، إلى جمع تكسير للقلة ، إلى جمع للكثرة ، إلى جمع جمع . ولئن كان الخطب فى جمعى المذكر والمؤنث السالمين هيناً ، فإن جمع التكسير متعدد الصيغ ومتعدد للكلمة الواحدة ، بحيث إن دراسته لا وقاية لرأس الإنسان فيها من الدُّوار .

(ح) إن أسماء المعــانى والذوات يتشكل اللفظ الواحد منهــا جملة أشكال

فمثلا كلمة آلاء (أى نِعَم) كالوارد فى القرآن الشريف « فبأى آلاء ربكما تكذبان) مفردها إِلْى ، إِلَى ، أَلَى . ولو سألت أى متعلم عنها (ممن عدا الاختصاصيين) لما عرف لهذا الجمع مفرداً ، بَلْهَ أن يعرف أن مفرده متعدد على تلك الصور . وأنثى الأسد مثلا هى: لَبْأة . لبَاءة . لبُوَّة : لَبْوَة .لبُوَّة . لِبْوة . لَبَـة . لَباَة . لَبٌ . فهـذه تسعة أسماء من أصل واحد لحيوان بعينه . ودراسة هـذه التغيرات مصيبة على المتعلم . بل إن كلمة (اسم) قال بعضهم إن فيها عشر لغات : اسم . سم . سما . كل منها مثلثة الأول فهذه تسع ، ثم سَمَاة تكملها عشراً . لـكن البعض لم يقنع فجعلها ثمانى عشرة لغة منها العشر المذكورة وتضاف إليها ثمان أخرى .

٧ — تلك الأشواك والعقبات ، وهذا التعدد ، تريك الواقع من أن هذه اللغة العربية ليست لغـة واحدة لقوم بعينهم ، بل إنهـا مجموع كل لهجات الأعراب البادين فى جزيرة العرب من أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، جمعها علماء اللغـة وأودعوها المعاجم وجعلوها حجة على كل من يريد الانتساب للغة العربية ، ولا يعلم إلا الله كم لهجة كانت ! أفليس من الظلم البيِّن إلزام المصريين وغير المصريين من متكلمى اللهجات العربية الحديثة بمعالجة التعرف بتلك اللهجات القديمة التى ماج بعضها فى بعض فانعجنت ، ولو فرض المستحيل وأمكن عزل أية واحدة منها ، لـكانت دراستها ، بسبب قدمها ، أشق من تعلم عدة لغات أجنبية حية ، كل منها يعين الإنسان فى عمره القصير على مسايرة العالم فى هذه الحياة الدنيا ؟ .

٨ — فى كل سنة نسمع صيحة مدوية يصخ البعض بها معلمى العربيـة بالمدارس ، متهماً إياهم بالقصور أو التقصير فى تلقين التلاميذ . والحق الذى لامرية فيه ، أن هؤلاء المعلمين المساكين برآء من هذه التهمة براءة الذئب من دم ابن يعقوب ،

فإن العيب إنما هو عيب اللغة التي ليس لها في مفرداتها وقواعدها أول يعرف ولا آخر يوصف ، والتي لها في الأداء جرس ولوكة لسان يضربان صماخ أذن الطفل لبعد ما بينهما و بين لهجة أمه ، فينفر منها ومن المعلم نفور الطير روَّعته ، والظبي باغَتَه .

جرب في بيتك أن تخاطب أحد الأطفال باسم الإشارة (هـذا) بدل (ده) فإنه لا يفهمك ، بل يظنك قد طاف بعقلك مس من الجنون ، فأصبحت تهذى وتتعوّج في الكلام ، ثم تراه ولّى مدبراً يحاول تقليدك لمضاحكة أمه ، وسائر من يلقى من الأطفال ، بهذيانك !

هـذا الطفل إذا وكلته إلى معلم فكم من الزمن يلزمه بين محايلة ومخايلة ، ومحاسنة ومخاشنة ، ومعاسرة ومياسرة ، حتى يعوّد حنجرته ولسانه صحة الأداء ؟ وكم يلزمه من الزمن حتى يعرّفه أنواع الفعل وتصاريفه ومشتقاته ؟ وكم يلزمه حتى يعلّمه مرفوعات الأسماء ومنصوباتها ، ويعرّفه فعل التعجب وأفعال المدح والذم وأفعال المقاربة وغير هذا مما يطول شرحه ولا ينتهي امتداده ؟ كل هـذا فوق ما يلزمه من الزمن لتحفيظه كثيراً من مفردات اللغـة التي تعين على الإنشاء إعانة لا تقوم بها مفردات لهجة التلميذ العامية ؟ وبعد هذا لا تزال تلك الصيحة الظالمة تخرق كل سنة صماخ آذان المعلمين المساكين ؟ ! مع أن أولئك الصائحين يعلمون هم وغيرهم أن الإنسان يدرس هذه العربية الفصحى ويمارسها حتى يبلغ أرذل العمر ، وإذا حاسبته لم تجده حصّل منها شيئاً مذكورا . إلا من أعان ربك ، وقليل ما هم .

تبرؤ وشكوى

٩ — لعل البعض يتساءل : ما بال هـذا الرجل ينحى هكذا باللائمة على العربية ويصعّب من أمرها ؟ ألعله يريد نبذها والاستعاضة عنها بلغة أجنبية من

اللغات الحية ؟ حاش لله ! وبعدا لهذا الظن البليد كما بعدت ثمود ! وسحقا له ، وحجرا محجورا !.

إن حصانى الأعرج ليغنينى عن سيارة جارى ، وناقتى البازل المسنة لأحب إلىّ من طائرته وأهدى سبيلا .

إنما هى نفثة مصدور اعتاد رؤية حصانه وناقته فأغرم بهما ، والعادة مُحكَّمة ، وهى من أمهات الغرائز . اعتدت ممارسة العربية وهى حصانى وناقتى ، فتعرفت فيها جمالا رائعا مستورا تحت تلك الأشواك والعقبات الجسام ، فهى شَهد دونه إبر النحل . وهذه العربية إذا كانت نهكتها كثرة النسل فإنها أيضا نهكتها كثلى كثرة الأدواء . كلانا مريض ، وكل مريض للمريض نسيب . كلانا يشكو حاله ، ولعل أصدق ما يعبر عن شكواها قول عنترة :

فارتاع من وقع القنا بلَبانهِ   وشكا إلىّ بعبرة وتحمحم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى   ولكان لو علم الكلام مكلّمى

ولعل أصدق ما يعبر عن وقوع المكروه بنا معاً — حتى كدنا مع شدّة الإلف نفترق — قول الأعرابى :

هوى ناقتى خلفى وقدّامىَ الهوى   وإنى وإياها لمختلفان

ولئن كنت استوفيت معظم العمر ، وأصبحت كسنة الله على وشك إجابة داعى الحق ، فإنه ليحزننى أن أترك تلك الحسناء الأبيّة الحييّة التى تُوارى جمالها فى أقصى زاوية معتمة من خدرها متلففة فى أتخن الأبراد — ليحزننى مفارقتها يرثها أهلى وأهل العربية على ما بها من الضعف والانزواء . وأخشى ما أخشاه أن يمل مَن بعدنا طول مرضها وتجنيها واستعصائها ، فيملكهم القنوط فيهملوها و يعتاضوا عنها

لغة أجنبية من اللغات الحية التى يعمل ذووها على نشرها فى الشرق جهد استطاعتهم، لأسباب لا تخفى على أى بصير. أخشى هذا وأخشى أن تموت عربيتنا الحسناء، وألاَّ يدركها هذا المجمع ولا عشرون مجمعاً من مثله.

الرسم أهم أسباب مرض العربية

١٠ — لئن كان قانون التطوّر وصعوبة الأوضاع والقواعد هما وحدهما اللذان رانا على جمال العربية فباعدا بينها وبين أهلها وطلابها، وأنهما وحدهما هما اللذان يعملان فى هدم كيانها، فإنها — مع الأسف الشديد — تكون آيلة للزوال لا محالة، على الرغم مما فيها من قوة الحيوية الذاتية. إذ هذه الحيوية لن تستطيع مغالبة قانون التطوّر وصعوبة الأوضاع والقواعد إلا إلى حين.

١١ — لكن الواقع لحسن الحظ، أن السبب الحقيقى، الذى هو الفاعل الأول فى مرض هذه اللغة الجميلة وانزوائها فى كسر بيتها، إنما هو استبداد أهلها وإكراههم إياها على الظهور فى ثوب غير مقيس عليها، وصورة مبهمة مُشْكلة لا تجلّى من جمالها شيئاً. أريد رسم كتابتها.

١٢ — إن رسم الكتابة العربية هو الكارثة الحائقة بنا فى لغتنا. إنه أكبر عون لقانون التطوّر، وللإحساس بما فيها من الصعوبات، وللالتفات عما يزينها من جمال.

إنه رسم لا يتيسر معه قراءتها قراءة مسترسلة مضبوطة حتى لخير المتعلمين. وذلك لخلوه من حروف الحركات.

١٣ — لقد عالج أسلافنا الاستعاضة عن حروف الحركات بالشكلات للفتح والضم والكسر والسكون والمدّ والشدّ والتنوين، ولكن ظهر فى العمل أن هذه الوسيلة لا فائدة فيها، بل هى مجلبة لكثير من الأضرار، لأن الشكلة المنفصلة عن

الحرف كثيراً ما تقع على حرف قبله أو بعده ، لعدم ضبط يد الكاتب الأصلى أو الناسخ أو الطابع ، فيرتبك الفهم للخطأ فى استعمال وسيلة النطق الصحيح . ولذلك جرى الناس فى الكتابة العادية وفى الصحف وكتب الأدب وكافة الأعمال بالدوائر الحكومية على إهمال الشكل ، فأصبح لا يوجد فى غير القرآن الكريم ومعاجم اللغة إلا نادراً .

١٤ — وأنت عليم بأن عدم وجود علامات الحركات ولا حروف الحركات يجعل الكلمة مركبة من حروف أصوات جوهرية لا تعرف حركاتها بادئ الرأى فيصحفها القارئ غير المتمرن ، على جميع أوضاع الحركات التى تحتملها الحروف . أما المتمرن فإنه يعرض نفسه لحول عينيه ، إذ هو لا يقع بصره على الكلمة إلا وهو يجيله فيما بعدها من الكلمات حتى يعرف معنى تلك الكلمة . أهى اسم أو حرف أو فعل ، وما وظيفتها فى الجملة ، وماذا تستحقه من البناء أو حركات الإعراب .

وهذه المشقة تحملنى على الاعتقاد بأن اللغة العربية من أسباب تأخر الشرقيين ، لأن قواعدها عسيرة ورسمها مضلل . فمن تَحدُثُ فى نفسه فكرة مفيدة للناس ويحب نشرها فيهم بالكتابة أو الخطابة يأخذه خوف انتقاد عبارته فيكتم فكرته فى نفسه ويميتها ، أو هو ينشرها بلغة من اللغات الأجنبية التى أصبحت عند كثير من الشرقيين أيسر عليهم من لغتهم العربية .

١٥ — إنا ، أعضاء هذا المؤتمر وكثيراً من أمثالنا أو ممن يفوقوننا ، قد لا نحس بسخف هذا الرسم لتعودنا إياه . ولكن اكتبْ لرجل من الإنجليز حرفى H S وكلفه نطق الكلمة التى قد يشخصانها ، فإنه يقول لك إنهما لا يشخصان شيئاً ، بل قد يكونان من رموز علم الجبر أو علم الكيمياء . فإن استدرجته ورجوته أن يفكّر فيما يدلان عليه من المعنى لو أضيف إليهما بعض حروف الحركات ،

نخمن ثم قال لك إنهما يمثلان كلمة (Has) ، فإن قلت له كلا ، ففكر ثم قال لك لعلها كلمة (His) . فإن قلت له كلا إنهما يشخصان كلمة (House) ، فهذا الإنجليزى إن كان مؤدباً ولاك ظهره استحياقاً لك وانصرف صامتاً ، وإن كان غير مؤدب — وهذا نادر — قال لك God damn ، وربما ناولك ضربة على فيك بجمع يده Box . ومثل الإنجليزى الأمريكانى والفرنساوى والألمانى وغيرهم من الأمم التى تستعمل حروف الحركة فى كتابة لغتها .

لكن مصر وبابل هما موطن السحر القديم ، ومهبط هاروت وماروت ، وهما وكل الشرق موطن الإلهام والإشراقات الباطنية !

١٦— ولقد يخيّل إلىّ أن سلفنا ، من طالح قبل الإسلام وصالح من بعده ، قد اعتمد على هاتين الخصيصتين فأرسل رسم الكتابة العربية هكذا طلاسم مستغلقة مبهمة ، واكلاً أمر الناس فى فكها إلى السحر . وما ينقذف فى القلوب من الإلهامات والإشراقات . وإلا فقل لى بربك : إذا كنت أوشكت مع الإنجليزى الثانى أن تتقاتلا وترفعا أمركما إلى الشرطة وإلى القضاء ، أفلا تجد أن أمثال (hs) متكرر أمامك فى كل لحظة ، وبدل أن تتقاتل أنت وغيرك فإنك تقاتل نفسك وتضنيها ؟!

خذ أبسط كلمة مثل « قد » . إنها تصور لك حرف التحقيق ، وتصوّر لك قامة الإنسان (قدٌّ) ، وتصوّر لك فعلا ماضياً (قدَّ) بمعنى قطع ، وماضياً مبنيًا للمجهول (قُدَّ) أى قُطع ، وفعل أمر بمعنى اقطع (قُدَّ) وهى صيغة مشتركة فى النطق مع المبنى للمجهول ، وفعل أمر آخر (قِدْ) . ولا أدرى كم مدلولا آخر تصوّره أو لا تصوّره !

١٧— ألا إن المشاهدات دالة على أن جميع الأمم التى تستعمل حروف الحركة فى كتابتها هى الأمم الراقية علمياً وصناعياً . هم أهل أوربا وأمريكا إطلاقاً .

لا تحتج باليابان ، فإنهم فى علمهم وصناعتهم لم يقتصروا على لغتهم المزعنفة الرسم الكتابى ، بل إنى سمعت أنهم من زمن مديد أنشأوا فى بلادهم عدة جامعات تدرس بالإنجليزية على النظام الإنجليزى ، وبالألمانية على النظام النمساوى . فعلماؤهم وطلبتهم الجامعيون الكثيرون يعرفون الإنجليزية والألمانية وقد يعرفون غيرهما من لغات أوربا .

أما الأمم التى لا حروف حركات عندها كالصين وإيران والترك (قبل الآن) والعرب ، فكلها من الأمم المتأخرة علمياً وصناعياً . ولا تستشكل بالإسرائيليين، ولغتهم العبرانيةُ هى كالعربية لا حروف حركات فيها، لا تستشكل فإن الإسرائيليين متفرقون فى كل البلاد الراقية ، عارفون بلغاتها ! فهم قوم عالميون . وإنى وإن كنت لا أعرف شيئاً فى العبرانية إلا أنى سألت سيادة الحاخام الأكبر الموجود بيننا بالمجمع فعلمت منه أمرين : (أولهما) أن حروف كل كلمة تكتب منفصلة لا متصلاً بعضها ببعض ، و (ثانيهما) أن أواخر الكلمات تلزم دائماً حالة واحدة ولا تتغير بتغير العوامل الداخلة عليها . وهما أمران فى غاية الأهمية ، لأن أولها يوحد شكل الحروف ويمنع اللبس الناشئ عن التصاقها ، وثانيهما ، على الأخص ، يعفى أهل تلك اللغة من مصيبة الإعراب وضرورة تغيير الحرف الأخير من الكلمة تبعاً لوظيفتها فى الكلام .

وجوب تغيير رسم الكتابة العربية

١٨ — إذن فأول واجب على أهل اللغة العربية هو أن يبحثوا عن الطريقة التى تيسر لهم كتابة هذه اللغة على وجه لا تحتمل فيه الكلمة إلا صورة واحدة من صور الأداء . ولقد علمتَ أن تشكيل الكلمات ضارٌ ، فلا بد من التفكر فى طريقة أخرى تؤدّى هذا المراد .

١٩ — خطر بفكر أحد زملائنا أن يعالج المسألة لا من جهة الرسم ، بل من

جهة الإعراب ، وذلك بحذف حركاته وتسكين أواخر الكلمات . وكان من السهل إجابته إلى فكرته ، لأن موضوعها ليس غريباً عن أصل العربية ، بل هو يوافق بعض لهجاتها القديمة . وقد قرئت آية « ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى » مثلا ، من القرآن الشريف هكذا : « ويضيقْ صدرى ولا ينطلقْ لسانى » بتسكين القاف فى الكلمتين . غير أن الذى يمنع قبول هذه الفكرة أنها إذا تحققت عملا أخلّت إخلالا كليًّا بكل ما وصل إلينا من شعر الجاهلية وشعر المسلمين وغير المسلمين إلى اليوم . لأنك إذا فكرت مثلا فى تسكين كلمات البيت الأول من بيتى عنترة السابقين، وجعلته « فارتاعْ من وقعْ القنا بلبانهْ وشكا إلىّ بعبرة وتحمحمْ » لأخللت بوزنه حتما وصيرته كلاماً منثوراً عادياً لا رونق له ولا روعة . ومن جهة أخرى فإن هذا العلاج إذا كان يزيل صعوبة الإعراب، فإنه لا يفيد شيئاً فى الصعوبة الآتية من تغير الصيغ والصور للكلمة الواحدة . فقد رأيت أن لفظ (قد) له صور مختلفة، ومهما سكنت آخره فلا يفيدك ذلك شيئاً فى بيان تلك الصور المختلفة وفهم مدلولها . وأظن أن حضرة الفاضل صاحب الفكرة لاحظ ما عليها من هذه الاعتراضات فلم يقدم بها اقتراحاً للمجمع .

٢٠ — إن مجلس المجمع — لآخر مرة — أحال على لجنة الأصول اقتراحا قدم له خاصًّا بتيسير كتابة العربية ، وتلك اللجنة ندبت من بينها من يفحصون هذا الاقتراح ، فاشتغل حضرة زميلنا الأستاذ على بك الجارم بهذا الموضوع شغلا متواصلا يستحق كل حمد وثناء ، ثم قدم للجنة تقريراً أساس الفكرة فيه استبقاء رسم الكلمات العربية كما هو بحروفه المعروفة ، وأن تشكل الحروف ذاتها فى الكلمة التى هى منها بزوائد تدل على الكسر والضم والسكون والتنوين البسيط ، وأن يلصق بالشدّة المنونة حركاتها الثلاث ، على أن كل حرف لا تزاد فيه علامة يعتبر مفتوحا ، وفى التقرير استثناءات لبعض الأحوال .

اطلعت اللجنة على هذا التقرير فقدمتُ لها ملاحظاتى عليه شفهياً ثم بالكتابة ، كما قدّم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم حمروش ملاحظاته عليه كتابة . ومجمل هذه الملاحظات أن الرسم الذى فكر فيه الأستاذ الجارم بك يزعنف الرسم الحالى ويزيده ارتباكا ، ويوقع فى اللبس متى قورن ببعض طرق الكتابة الحالية . وأنه من الصعب تعويد التلاميذ إياه ، لأنه فضلا عن ارتباكه ، فإن من قواعده ما يتوقف على معرفة بعض قواعد الصرف ابتداء . وقد وعد الأستاذ بأن يدرس تلك الملاحظات مع بعض الاختصاصيين فى فن الطباعة ويبدى للجنة رأيه الأخير ، وكان ذلك قُبيل عقد المؤتمر فلم يسعه تقديم تقريره طبعا[1] .

على أنه لا محل لدرس هذه الملاحظات مع اختصاصيين أو غير اختصاصيين فإن الناس فى كتابتهم يستعملون الخط الرقعى عادة ، على اختلاف بينهم فى الجودة والقبح ، وهذه المخطوطات الرقعية لا بد ، طبعاً ، أن تتمشى عليها القواعد الجديدة ، فلا يفيدهم عمل الاختصاصى فى الطباعة فائدة ما .

٢١ — لقد فكرت فى هذا الموضوع من زمن طويل ، فلم يهدنى التفكير إلا إلى طريقة واحدة هى اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات بدل حروفنا العربية كما فعلت تركيا .

أخطر هذا فى بالى أنى عقب أن أمر المرحوم مصطفى كمال باستبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية التى كانت مستعملة فى كتابة اللغة التركية ، لاقيت أحد نظار المدارس الابتدائية بالأناضول ، فسألته عما يكون أحدثه هذا الانقلاب فى التعليم عندهم ، فأخبرنى أن اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات قد امتعض منه الأهالى فى بادئ الأمر ومنعوا أطفالهم من الذهاب إلى المدارس ،

---

(١) قدم حضرة الجارم بك ، بعد ، تقريره مفصلا لطريقته ، وتناقش فيه المؤتمر فعلا ثم قرر فى ٩ فبراير سنة ١٩٤٤ إرجاء النظر فيه للعام المقبل مع إعلان هذه الطريقة وتلقى ما يرد بشأنها من الردود والاقتراحات .

فتلطف الأساتذة بهم مبينين لهم مزية هذا المشروع ، ثم تدخلت الحكومة وابتدأ تعليم الأطفال اللغة مرسومة كلماتها بتلك الحروف ، فكانت دهشة الأساتذة ودهشة الأهالى كبيرة ، إذ وصل الطفل فى شهرين أو ثلاثة إلى قراءة أى متن مكتوب بها قراءة صحيحة ، وإن كان لا يفهم بعض المتون لأنها علمية أو فنية لمّا ينضجْ عقله لإدراك معناها . وذلك من بعد أن كان الطفل عندهم يستغرق سنين فى قراءة التركية مكتوبة بالحروف العربية ويصحفها بكل ضروب التصحيف على مثال ما هو حاصل عند أهل العربية من أطفال ورجال .

٢٢ — بقيت هذه الفكرة تشغل بالى إلى أن عرض - من نحو شهرين - أمر تيسير الكتابة على لجنة الأصول بالمجمع ، وإذ كنت من أعضائها فقد أحببت أن أعرف ماذا عسى أن تكون تجربة تركيا فى الست عشرة سنة الماضية قد أظهرت من مساوئ هذه الطريقة أو من محاسنها ، لأن النظر شىء والتجربة شىء آخر . فعمدت إلى المفوضية التركية وهى آمن مورد يُستقى منه الخبر — عمدت إليها على غير سابق معرفة بأحد فيها — فأنست بلقاء سعادة الوزير وحضرة السكرتير الأول واستطلعت طِلعهما معا ، فقال سعادة الوزير بحضور السكرتير ما حاصله : « أن طريقة الرسم الجديد قد أفادت أهل تركيا فائدة عظمى ، إذ أصبح الطفل بعد قليل جداً من الزمن يستطيع قراءة أى كتاب قراءة صحيحة لا تحريف فيها وإن لم يفهمه . وأنه بفضل هذا الانقلاب قد زالت الأمية فى تركيا تماما أو كادت . وغاية الأمر أن الكتابة بالحروف العربية كانت كتابة اختزالية فيها اقتصاد فى العمل وفى الوقت . أما الكتابة الجديدة فإنها ، بسبب حروف الحركات وأشكال الحروف الأخرى ، تستغرق عملا أكثر ووقتا أزيد » . ثم قال : « إن الضرر الحقيقى الذى شاهدناه هو أن الطريقة الجديدة قطعت الصلة بين الجيل الجديد وبين مخلَّفات السلف فى العلوم والآداب والفنون » .

فقلت لسعادته أولا : « إن الطريقة التى أزالت الأمية فى تركيا أو كادت لا أهمية ألبتة لأن يكون فيها شىء من بطء فى العمل أو تراخ فى الوقت » فأمن على قولى .

٢٣ — والواقع فى هذا الصدد أن الأمور بمقاصدها ، وأن كل تدقيق أو إتقان يستلزم بالبداهة العقلية من المدقق ومن المتقن عملا أزيد ووقتاً أطول ، فإن العالم المدقق والصانع المتقن يشتغل كلاهما أكثر من غير المدقق ومن غير المتقن ، ويستغرق كلاهما زمناً أطول . ولا يستطيع أحد أن يزعم أن فى التدقيق والاتقان محلا للملاحظة ، لمجرد كونهما غير اقتصاديين فى الفعل ولا فى الزمن . على أن فى الحق أن الكلمة إذا خلا رسمها عن علامات الحركة ، من شكل أو حروف حركة ، كان ، كما أشرت إليه آنفاً ، رسماً أبتر لايشخص لفظها أمام العين تشخيصاً استقلالياً مانعاً من صدقه على كلمة أخرى . وهذا فى ذاته نقص شنيع . ولو كان للكلمة أن تنطق لصاحت لحصان عنترة ، متوجعة مطالبة بحقها من وجوب تصويرها للناس فى صورتها الكاملة وإبرازها فى ثوبها المقيس عليها ، لا فى صورة بتراء وثوب أقصر من قدّها . فإذا كان فى الرسم العربى اختزال فإن فيه ذلك الأذى البالغ الذى عمل رجل تركيا المرحوم مصطفى كمال على توقيه ، وقد توقاه فعلا فاستفادت تركيا تحديد طريقة أداء اللفظ وسرعة زوال الأمية ، وهما فائدتان غاية فى الأهمية والجلال ، يحسدها عليهما العدو ويغبطها الصديق . على أن كل أمم أوربا وأمريكا ، وهى أرقى الأمم المتحضرة فى العالم ، لم يخطر ببال فرد من أفرادها أن حروف الحركات معوّقة لرسم لغاتها ، وأن من اللازم حذفها اقتصاداً فى الوقت وفى الزمن .

٢٤ — ولا يفوتنى فى هذا الصدد أن أشير إلى عبارة قالها لى أحد زملائنا الأفاضل ، هى أن الحروف اللاتينية لم تضبط طريقة أداء كل المخارج فى الألفاظ التركية . وهذا اعتراض صحيح ، أساسه واضح وهو أن الأتراك لم يضعوا لكل نغمة

الحرف الصحيح الدال عليها و يأخذوه ، سواء من العربية أو الفارسية أو غيرهما[١] .

٢٥ — أما الضرر الحقيقى الذى أشار إليه سعادة الوزير فقد قلت له : « إنه ضرر حقا ، ولكنه موقوت ، وعلاجه من أيسر ما يكون . هو إنفاق مبلغ من المال لطبع أمهات المعاجم اللغوية ، وأمهات كتب العلم والأدب والفنون بالرسم الجديد ، وإن بيد حكومتكم التعجيل بالإنفاق فيقصر عمر هذا الضرر ، أو التأخر فى الإنفاق فيطول عمره » . فقال : « هذا صحيح ولكنا شغلنا عنه مؤقتا بأمر آخر ، وهو تنقية اللغة التركية مما فيها من الألفاظ العربية والفارسية ، والبحث عن ألفاظ قديمة من لغتنا الطورانية لاستبدالها بها . وهذا المشروع قد فشلنا فيه نهائيا ، فإنا إذا كنا قد عثرنا فعلا على كثير من الألفاظ الطورانية القديمة ، تقوم فى دلالتها مقام الألفاظ التى أردنا الاستغناء عنها ، إلا أن الجمهور أبى استعمالها لغرابتها عنده ، ولزم الألفاظ العربية والفارسية التى اعتادها . ولا وسيلة لإكراه الجمهور فى ألفاظ اللغة وأساليبها على ما لا يريد » .

اعتذار واستئناس

٢٦ — قد يقول النابهون فيكم — وكلكم نابهون — قد يقولون أسرفت فأوجز ، وبيّن طريقتك التى ما سمعنا بها فى آبائنا الأولين ، واقصص علينا كيف نفعل وفى العربية نغمات أصوات لا تؤديها تلك الحروف اللاتينية التى تريدنا عليها ، وقد قلتَ فيما قلت إنها لم تف بمطالب كل النغمات الصوتية فى التركية ؟

٢٧ — حلمَكم أيها الرجال ! إنى لم أسرف ، ولكنى حقا أمللتكم وكدت أذهب بصبركم . وعلة هذا الملل ، كما يدركه من كان فى مركزى أمامكم ، أن لكل تجديد غضة ، وفى كل خارج عن المألوف غضاضة ، وإنما تنجع المقالة فى المرء إذا

(١) على أنه يظهر أن هذا لا يهمهم لأن لوكتهم الطبيعية هى التى تتحكم فى النطق بما اتخذوه من الحروف اللاتينية كما تتحكم لوكة الانجليزى والفرنسى والطليانى فى النطق بتلك الحروف .

صادفت هوى فى الفؤاد . على أنى لولا ثقتى بأن مهمتكم هنا هى الإصلاح ما استطعتم ، وأنكم فى سبيله أحرار الضمائر متسلَّبون من كل تعصب لعادة أو تمسك بقديم متى وضح لكم وجه المصلحة فى الجديد ، لولا هذه الثقة وأنى آوى من سماحتكم إلى ركن شديد ، لما عَنَّيتُ نفسى قط بعرض فكرتى عليكم .

هاكم طريقتى ، منها تعلمون أن تلك العقبات التى تشيرون إليها إنما هى عقبات وهمية ، وأن ما قد يعترض من هنات بسيطة هو مذلل تمام التذليل .

بيان الطريقة

٢٨ — إن فى اللغة العربية ثلاث عشرة نغمة صوت جوهرية كلها خاصة بها إلا ما ندر ، وكل منها يؤديه حرف هجائى مفرد ولا تؤدى حروف الهجاء اللاتينية المفردة شيئاً منها ، وهى نغمات :

(الهمزة ، الثاء ، الجيم ، الحاء ، الخاء ، الذال ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، العين ، الغين ، القاف) .

٢٩ — أما حرف الهمزة فإنه إنما ينطق به عرضاً فى اللغات اللاتينية الحروف ، فى أول كل كلمة مبدوءة بحرف من حروف الحركة ؛ وهو عرض ملازم ، لأن حرف الحركة إنما يشخص نبرة هوائية مطلقة خالية عن التركز والانضباط ، فهى من قبيل النفس الخارج من الرئتين لا تكيفه الأحبال الصوتية ، ولا أعضاء الفم والحلق التى تضبط مخارج النغمات الصوتية الجوهرية وتميز أنواعها . ولذلك لا تجد عندهم حرفاً خاصاً يشخِّص هذه الهمزة العرضية . على أنه لا يهمنا أن تكون الهمزة عندهم عرضاً ملازماً أو فصلا منطقياً هو جزء من ماهيـة حرف الحركة يجعله حرفاً جوهرياً متى ابتدأت به الكلمة . لا يهمنا هذا فيما نحن بسبيله أصلا . لكن الهمزة فى العربية حرف جوهرى أصيل تجب — مبدئياً — كتابته برسمه

الخاص ، سواء أكان ملفوظاً به فى أول الكلمة أم كان ملفوظاً به فى وسطها أو فى آخرها إلا ما سيتلى بعد

٣٠ — وفى اللغة الإنجليزية نغمتا (الثاء والذال) ولكن الإنجليز يؤدونهما بمركب مزجى مدغم مكون من حرفى (th) . وهذا الوضع مشترك لفظى يعين السماع كلاً من نغمتيه .

٣١ — وفى الألمانية نغمة (الخاء) ولكن الألمان يدلون عليها أيضاً بمركب مزجىّ مدغم مكوّن من حرفى (ch) .

(وأذكر الألمانية لأن كثيراً من أهلها اضطروا لاستعمال الحروف اللاتينية فى مخطوطاتهم ومطبوعاتهم بدل حروفهم الغوطية المتكسرة المتعشكلة[1] التى تمرض العين وتوقع فى التيه والضلال . ولن يمضى طويل زمن حتى يفعل قانون بقاء الأصلح فعله فيطرحون كتابتهم الغوطية برمتها وتصبح فى خبر كان) .

٣٢ — وفى كل اللغات اللاتينية الحروف توجد نغمة (الشين) ولكن ليس هناك حرف مفرد يدل عليها ، بل الفرنسيون والإيطاليون والانجليز والألمان يؤديها كل منهم بتركيب مزجى خاص به من بين التراكيب الآتية : (ch). (ci) (sh). (sch)

٣٣ — والذى عنّ لى ، بعد طول التفكير ، أن الهمزة والجيم والحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين ، هذه الأحرف العشرة يجب أن تؤدى بذات رسمها العربى . ومن المصادفات أن هذا الرسم يتمشى مع رسم الحروف اللاتينية ويتسق معها كل الاتساق ، لأنها إذا رسمت كالعربية كانت كما تراه فى الملحق (رقم ١) .

٣٤ — أما الثاء فيستعمل لها حرف (t) اللاتينى ، ويكون فى رأسه شرطتان متصالبتان مع عموده بدل شرطة واحدة (انظر الملحق) .

---

(١) هى أيضا لاتينية ولكنها فى الطباعة مزوّاة وفى الخط اليدوى متواشجة متشاولة كالخط الديوانى (الفرماناتى) عندنا .

٣٥ — وأما الذال فيستعمل لها حرف الدال (d) مع وضع شرطة أفقية فوقه أو يستعمل لها حرف (d) المعقوف العمود ، وأفضل ذا الشرطة فإن المخطوطات يسهل فيها دائماً استعمال الدال (d) معقوفة ، فلو استعملنا هذه المعقوفة للذال فلا يؤمن التباس الذال بالدال .

٣٦ — وأما الشين فيستعمل لها حرف (s) مع شرطة أفقية فوقه .

٣٧ — وأما القاف فيلاحظ أن من الحروف اللاتينية ثلاثة هى : (q. c. k) أولها (k) متمحّض فى جميع استعمالاته لنغمة الكاف ، وثانيها (c) يستعمل لهذه النغمة فى بعض الصور ويستعمل فى صور أخرى لنغمة السين عند الفرنسيين والإنجليز والألمان أو لنغمة الشين عند الإيطاليين ، فهو مشترك بين نغمتين أو أو ثلاث . وثالثها (q) لايستعمل فى أية لغة من تلك اللغات إلا مصحوباً بحرف (u) ، وهو وهذا الحرف يستعملان دائماً فى نغمة الكاف فقط عند الفرنسيين . أما عند الإنجليز فيدلان معاً على نغمة كاف ساكنة تتبعها نغمة واو ، وعند الألمان على كاف ساكنة تتبعها نغمة (v) أى واو تنطبق فيها الشفتان مبسوطتين قليلا وتنفذ بينهما — آتيةً من الداخل — نبرة هوائية قوية فتفرقهما ، كما إذا حاولت أن تنطق بالواو والفاء فى آن واحد .

وأرى أن يستعمل حرف (k) عندنا للدلالة على الكاف ، وأن يستعمل حرف (q) منفرداً للدلالة على القاف ، وذلك كالمستعمل الآن فى مصلحة المساحة المصرية. أما حرف (c) فيترك استعماله كحرف من حروف الهجاء العربية الأصلية . ولقد فكرت فى استعماله عندنا لنغمة الشين بما أنه يستعمل لها عند الإيطاليين متبوعاً بحرف (i) ، إلا أنى وجدت استعماله لتلك النغمة لا يخلو من اللبس كما سترى .

٣٨ — وأستلفت النظر إلى أن نغمة حرف الجيم عندنا معطشة فى الفصحى ، وهى نغمة قد يقرب من تأديتها من بين الأحرف اللاتينية حرف (j) عند الفرنسيين

والإنجليز دائماً ، كما يؤديها حرف (g) فى بعض الصور ، وفى صورة أخرى لا يؤدى حرف (g) هذا إلا نغمة صامتة كنغمة القاف التى يقلبها أهل الوجه القبلى عندنا جيما صامتة .

فمن الخير استبعاد هذين الحرفين معاً ، أولا لأن نغمة الجيم عندنا هى فى الحقيقة نغمة (dj) . وثانيـاً لأن حرف (g) رأسه وجزء من ساقه تشتبه بحرف (q) الذى اخترناه للقاف ، فاستبعاده يقى من اللبس . ثم لنستبق حرف ج العربى كما أسلفنا .

٣٩ — وأما حرف الواو فقـد اخترت له حرف (w) كما ينطق به الإنجليز دون الفرنسيين والألمان ، إذ هؤلاء يعتبرونه (v) مكررة أو مفردة .

ترتيب أحرف الهجاء

٤٠ — يكون ترتيب حروف الهجاء على ما هو عليه عنـدنا الآن تماماً وبأسمائها العربية من الألف إلى الياء . مع ملاحظة أن الألف هو فى الحقيقة صوت مدّ أى حرف حركة مستطيلة النبرة تنتهى نبرته بالسكون ، ولهذا يجب أن توضع فوقه علامة مميزة تفيد هـذا المعنى كالعلامة القرنوسية (^) الفرنسـية ، أو مجرد شرطة أفقية فوقه وهو الأولى ، ثم يستمر الترتيب على حاله إلى حرف (لا) الذى يجب استبعاده ووضع حرف الهمزة مكانه فتبقى حروف النغمات الصوتية الجوهرية عندنا ثمانية وعشرين ، وتبقى عدة حروف الهجاء تسعة وعشرين كما هى الآن ببقاء حرف الحركة الممدود وهو الألف ضمنها ، وإن كان لا يمثل نغمة صوتية جوهرية إلا عرَضاً كما سيأتى :

٤١ — بعد هـذه التسعة والعشرين حرفاً العربية الأساسـية توضع للحركة حروف ثلاثة من بين حروف الحركة اللاتينية هى : (a) خالية من الشرطة للفتحة و (u) للضمة و (e) أو (i) للكسرة .

٤٢ — وبما أن الحركات فى الفصحى المعتبرة الآن فى كل البلاد العربية هي حركات خالصة موزونة مقدرة الوقت وكيفية الأداء، لا إمالة فيها ولا إشمام، فيلزم أن حرف (a) المختار للفتحة يؤدَّى كما ينطق به الفرنسيون فى مثل كلمة (Parachute) وأن حرف (u) المختار للضمة ينطق به كما فى الألمانية والإيطالية دون الإنجليزية والفرنسية، أى كما ينطق الفرنسيون حرفى (ou)، وأن حرف (e) إذا اختير للكسرة يؤدى كما ينطق به مفرداً فى الإنجليزية. على أنه لا لزوم لمثل هذا التمثيل فإن مقادير الحركات تلقن للمبتدئين فى التعليم تلقينا، وأى رسم، عربيًا كان أو غير عربى، لا يفيد فيها شيئاً بدون تلقين.

٤٣ — ومن يختار للكسرة حرف (e) دون حرف (i) الذى يُظن أنه المتعين، فالسبب عنده أن من الخير أن تكون حروف الهجاء مجردة من النقط وغيره من العلامات جهد الاستطاعة، وأن يكون لكل نغمة أو حركة هيكل خاص مفرد قائم بذاته متصل الأجزاء لا ينسحب على غيرها من النغمات والحركات. إذ كثرة النقط والعلامات الإضافية تربك الرسم كثيراً. وبما أن حرف (i) منقوط والكسرة كثيرة فى الكلمات، والنقطة لا يؤمن انحدارها إلى غيره، فاستعماله رابك موقع فى اللبس. وإذا اتخذ بغير نقط التبس الأمر فى الكلمات التى يجاورها فيها حرف أساسى فيه جرة تشبهه. وإن كثيراً من الناس يهملون فى كتابتهم نقط الحروف، وكثيراً منهم يكتبون حرف اللام بعمود بسيط خال من العقفة هكذا (l)، وفى هاتين الصورتين يكون المحظور نفسه واقعاً. أما حرف (e) فإن أكثر ما يشتبه به هو حرف (c)، وهذا الحرف الأخير ممنوع بتاتاً من أن يكون ضمن الحروف الهجائية.

لكن الغير يرون وجوب اتخاذ حرف (i) كما ينطق به الفرنسيون للكسرة، لأنه يشخص مثل حركتها فعلا فى معظم اللغات، وإنى أرى معهم أن يكون حرف (i) للكسرة.

حروف الهجاء جميعها وحروف الحركة

٤٤ — وخلاصة ما تقدم أن رسم حروف الهجاء التسعة والعشرين يكون كما هو فى الملحق رقم (١).

٤٥ — ورسم حروف الحركة هكذا: كسرة (i) ضمة (u) فتحة (a)

٤٦ — (ا) أما السكون فلا محل لوضع أية علامة له[1] لأن المقاطع التى تعتبر فى الكتابة والقراءة وتعليمها وتعلمها — على خلاف الأسباب الثقيلة والأوتاد المعتبرة فى تقطيعات العروض — هى على صور ثلاث: فإما (١) أن يكون المقطع منها حرفاً متحركا واحداً كما فى فعل (ضرب) المبنى للمجهول المفرد، فإن فيه ثلاثة مقاطع كتابية هي: (ضُ — رِ — بَ)، و (٢) إما أن يكون حرفاً متحركا يتلوه حرف ساكن واحد مثل كلمة «مضرِبٌ» فإن فيها ثلاثة مقاطع هى (مَضْ، رِ، بنْ) منها المقطعان الأول والأخير كل منهما مكون من حرف متحرك يليه حرف ساكن واحد. و (٣) إما أن يكون المقطع حرفاً متحركا يتلوه حرفان ساكنان أو ثلاثة أحرف ساكنة مثل (ماْءْ، عِلْمْ، كريم، حافْ ـ فين، بارْ) مع ملاحظة أن الألف الممدودة ساكنة بأصل وضعها.

(ب) وقليل من التأمل يكفى لإدراك أن هذه الصورة الثالثة لا تتحقق إلا فى حالتين:

إحداهما: حالة المقطع الأخير من كلمة موقوف عليها متى كان قبل

---

(١) الأمثلة الواردة بهذه الفقرة وما بعدها تجد رسمها بالأحرف اللاتينية فى الملحق المرافق لهذا التقرير.

حرفها الأخير الموقوف عليه (ألف) أو (واو) أو (ياء) ممدودة ، أو حرف نغمة مفرد غير متحرك مسبوق أو غير مسبوق بحرف مدّ من هذه الأحرف الثلاثة، وذلك كما فى الأمثلة السابقة، وفى مثل المقطع الأخير أيضاً من كلمات :

(كبار . يعملون . يؤمنون . يمرّ . يفرّ . فارّ) .

وثانيتهما : أن يكون المقطع فى أول الكلمة أو فى وسطها متى كان مركباً من حرف متحرك بألف ممدودة بعدها مباشرة حرف نغمة مشدّد أى مضعّف ، نغمته الأولى تالية مباشرة لسكون الألف ، وذلك مثل مقطعى كلمتى (حاقّين. ضالّين) ومثل المقطع الثانى من كلمة (مشاحّين) ومن كلمة (يوادّون) .

مع ملاحظة أن حرف (الألف) إذا كان بأصل وضعه هو حرف مدّ كما أسلفنا فإن حرفى (الياء) و (الواو) ليسا بأصل وضعهما — كما يبدو لى — من حروف المد ، إذ هما لا يعدان شيئاً فى مثل : (أين . لولا . مَيْن . أوَد) وهكذا . غاية الأمر أن (الياء) إذا وقعت بعد حرف مكسور و (الواو) إذا وقعت بعد حرف مضموم فإن سكونهما يثقل النطق به فيسهل بمد (الياء) لحركة الحرف المكسور الذى قبلها و (الواو) لحركة الحرف المضموم الذى قبلها . ولن يزال اللافظ بهما فى هاتين الصورتين مستصحباً نغمة الياء أو الواو فى كل المَدّة ، ولا زالت الياء والواو ساكنتين لأن كل مد ينتهى حتما بالسكون[١] .

(ج) مفاد هذا أن حرفى النغمة كلما تجاورا سواء أكانا من نغمة واحدة

---

(١) أى أنهما من حروف النغمة بوضعهما وقد يكونان حرفى مد عرضاً يعطيان لما قبلهما حركة تناسبهما .

كالحرف المشدّد الذى هو حرفان مدغمان ، أم كانا من نغمتين مختلفتين ، فان أولهما يكون ساكنا حتما ، ويكون من جهة أخرى ، وحده أو مع ما يسبقه من حروف المد — (ألفا) أو (واوا) أو (ياء) — جزءا متمما للمقطع المبتدئ بالحرف المتحرك الذى قبله أو قبل حرف المدّ السابق عليه . أما ثانى حرفى النغمة المتجاورين فيكون متحركا حتما إلا فى حالة الوقف عليه ، ذلك الوقف الذى قد يحدث معه أن يكون المقطع الأخير من الكلمة منتهياً بثلاث سكنات كما فى كلمتى (موادّ . بارّ) .

ومع وضوح هذه القاعدة التى لا تلتبس معها معرفة الحرف الساكن ، فلا محل لوضع علامة خاصة للسكون .

٤٧ — وأما الشدّ فلا لزوم لوضع علامة له بل يجب تضعيف الحرف المشدد[١] .

٤٨ — وأما التنوين فإنه دائماً يلى حرف حركة ، وأبسط الأمور فى تشخيصه هو إتباع حرف الحركة هذا بحرف نون صغيرة أمام حرف الحركة من أعلى . ويجوز أيضاً أن يرسم التنوين بعلاماته العربية المعروفة[١] ، فتوضع علامة الضم أو الفتح أمام الحرف المتحرك كذلك ، وعلامة الكسر أسفله .

بعض ملاحظات

٤٩ — (١) ما دامت الألف هى وأحرف الحركة الثلاثة (i. u. a.) إذا وقع حرف منها فى أول الكلمة أو كان منفرداً فلا يمكن النطق به إلا

---

(١) يلاحظ أن هذا من الأمور التفصيلية التى يمكن تعديلها عند الاقتضاء ، بعد زيادة التأمل .

بالاعتماد على همزة جبرية تسبقه ، فأرى أن الهمزة إذا وقعت فى أول الكلمة ممدودة كانت أو مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة بدون مد ، فإنه لا لزوم مطلقاً لرسمها ، بل يكتفى بالألف أو بحرف الحركة . ويستوى فى هذا أن تكون الكلمة اسماً أو فعلا أو حرفاً . وعلى ذلك فكلمات : (آمين . أمَرَ . أوتى . إقبال .) وحرف الشرط (إنْ) وأمثال هذا ، وأداة التعريف (ألْ) متى كانت همزتها همزة قطع ، ترسم كما فى الملحق (رقم ٢) .

(ب) همزة الوصل فى (أل) وكل همزة وصل أخرى تسبق اسما أو فعلا يرمز لها بعلامة شولة مثل الشولة الفرنسية (virgule) (،) توضع مكان الهمزة عالية نوعاً عن سطر الكتابة الملىء كيلا يلتبس بها الترقيم . فأداة التعريف (أل) وكلمات : اسم . اكتب . استقم . انتقل . التى تسقط همزتها فى القراءة المسترسلة وتصير همزة وصل ، ترسم كما فى الملحق (رقم ٢) .

بحيث إذا دخلت أداة التعريف فى هذه الحالة على اسم أوله همزة وصل أيضاً ، فلا بد من وضع الشولة بالشكل المذكور نفسه قبلها ثم بعدها . فعبارة « بالاستقامةِ » تكتب هكذا (bi'l'stiqâmati) (كما فى الملحق) .

(ج) حرفا (الواو w) و (الياء y) هما على خلاف حرف الألف ، حرفان جوهريان يشخص كل منهما نغمة صوتية جوهرية كما سبقت الإشارة إليه . وإذن فلا يجوز استعمالها مطلقاً لتحريك الحرف الذى قبلهما بالضم أو الكسر أو المد بذاتهما ، بل يجب أن توضع قبلهما علامة ضم الحرف أو كسره . فكلمة سرور مثلا وحرف الجر (فى) ،

وكلمة (هي) ضمير المؤنثة الغائبة إذا وقف عليه ، وكلمة (نيل) تكتب جميعها كما فى الملحق .

(د) ما عدا ماتقدم فإن كافة حروف المعانى تكتب كاملة الحروف الهجائية بحسب أصل وضعها اللغوى تماماً ، مع كتابة حرفى (إلى) و (على) بصيغتى إلىْ ، علىْ (كما فى الملحق) . وهى الصيغة الوضعية التى يأخذانها عند دخولهما على الضمائر .

(هـ) وكل ما يصح التجوز فيه هو أن تلاميذ المدارس متى عرفوا أنواع حروف المعانى من عاطفة وجارة ونافية وغير ذلك ، فهناك يمكن حذف الحركة من واو العطف وواو المعية ، ومن فاء العطف وفاء السببية ، ومن باء الجر وكاف التشبيه والجر ، والاكتفاء بالرمز لهذه الحروف بحرف هجائى واحد (w. f. b. k.) لأن كلا منها كلمة مركبة من حرف متحرك واحد ملازم دائماً لحركة واحدة . ومتى جرت العادة برسمها كذلك عرفت فلا يقع فيها لبس[١] .

أما واو القسم ولام الجر فتجب كتابة أولاهما كاملة (wa) تميزاً لها عن العاطفة وعن التى للمعية ، وكتابة ثانيتهما بحسب صيغتها أيضاً (li.la) لأنها تكون تارة مكسورة وأخرى مفتوحة فلا يؤمن اللبس إن رمزلها بحرف لام (l) فقط غير متبوع بحرف الحركة (i أو a) .

(و) وكذلك تكتب الأسماء والضمائر والأفعال بكافة حروفها ، ولا يسقط منها شىء مما يسقط فى درج الكلام .

(ز) والغرض من كتابة الحروف والأسماء الظاهرة والضمائر والأفعال بكافة حروفها أن تعرف على حقيقتها . إذ لو حذف منها ما يسقط بالدرج

(١) وهذا الحذف لا يكون إلا فى كتب المدارس فقط .

لسقط ضمير المتكلم وضمير الغائبين والمخاطبين فى مثل : (جاء أبى اليوم . ا كتبوا اليوم . واسمعا الكلام . اسمعوا الكلام . لا تقولوا الباطل) وهكذا . وفى هذا منتهى العبث والتضليل .

وصحيح الأمر أن سقوط بعض الحروف فى درج الكلام إذا كان حاصلا فى العربية فهو حاصل أيضاً فى غيرها من اللغات . والمعول فيه لا على اختزال الرسم بل على ضرورات النطق وعلى التلقين . ويتبع هذا أحوال الحروف الشمسية والقمرية ، فإن المعول فيها أيضاً على التلقين ، ولا ينبغى مس لام التعريف أو أول حرف فى الكلمة الشمسية الحرفِ الأولِ بشىء .

(ح) كافة الحروف والأسماء الظاهرة والضمائر والأفعال تكتب منفصلا بعضها عن بعض بقدر الإمكان ، فلا يتصل منها بالفعل الماضى سوى ضمير المثنى الغائب (ضربا) و (ضربتا) وضمير جمع الغائبين المذكر (ضربوا) . أما المضارع فيتصل به ضمير المخاطبة (تضربين) وضمير المثنى مطلقاً (يضربان . تضربان) وضمير جمع الذكور مطلقاً (يضربون. تضربون). أما نون جمع الإناث (يضربن . تضربن) فلا تتصل لأنها مقطع واحد من حرف متحرك واحد ، وتمكن كتابته والنطق به منفصلا ، ومثله ضمير الغائبات فى الماضى (ضربن) .

(ط) كافة أسماء الذوات والمعانى يكون حرفها الأول من النوع الكبير ، وذلك فقط فى كتب الهجاء والتمرين التى توضع للأطفال . أما باقى أنواع الاسم من ضمير ومصدر مفيد للحدث وصفة وما أشبه ، وكذلك كل الأفعال وحروف المعانى فيكون كل حروف رسمها من نوع أصغر ، ما عدا الكلمة التى تقع فى أول الجملة المنفصلة عما قبلها فصلا تاما ،

فإن الحرف الأول من رسمها يكون كبيراً بقطع النظر عن كونها اسما أو فعلا أو حرف معنى .

أما بعد المرحلة الأوّلية من مراحل التعليم فلا يكتب فى الجمل بحرف كبير سوى الحرف الأول من العَلَم ومن المسند إليه أى الفاعل أو المبتدأ ، ومن أول كلمة فى الجملة .

حروف إضافية

٥٠ — فى اللاتينية أربعة حروف ليس لنغمتها مقابل فى العربية الفصحى وهى (g.j.p.v.) ثم حرف (C) الذى تركناه . وفيها حرف نغمة وهو (x) ، ونغمته وإن كان يؤديها فى العربية الكاف والسين ، إلا أنه يجب الاحتفاظ به على هيئته اللاتينية والتعرف به هو والخمسة السابقة ، وذلك لأن هناك أعلاماً أجنبية ومصطلحات علمية وغيرها مما نعرّبه ، فإذا لم نكتب العلَم والمصطلح بأصل نغماته وهيئته الإجمالية تنكّر علينا وعلى أربابه الأصليين .

وفيها كذلك حروف حركة غير ما اخترنا ، وهى كثيرة جدا لا محل لتفصيلها هنا[١] .

المقارنة بين هذه الطريقة وطريقة تيسير الكتابة مع التزام الأحرف العربية

٥١ — إن طريقة حضرة الجارم بك تقتضى أن تكتب عبارة : « خير البر ما تعهد به المرء نفسه ، وخير بر النفس أن تربأ بها عن مواقف الاعتذار » . وكذلك مثل بيت أبى تمام :

---

(١) لأنه لا لزوم لها إلا فى الأعلام الأجنبية ونحوها .

السيف أصدق إنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

على الهيئة التى تراها فى الملحق (رقم ٣) .

٥٢ — يكفي أن يطلع الإنسان على هذا التيسير حتى يستعسره ويغمض بصره من دونه . وقد قلت لسيدى الجارم بك شفهيا يوم أن عرض مشروعه على اللجنة فى الشهر الماضى : إن هذا الرسم مشوه لجمال الرسم الراهن ، فقال : إنا لا نبحث عن الجمال ولكنا نبحث عن (المنفعة) . لكنى أؤكد لكم أنى أربأ بنفسى وأفر بها عن كل منفعة تأتينى من هذا الرسم الذى لا يلبث أن يذهب بما فى قوة احتمالي وجلدى من بقية . ولقد أشرت إلى هذا المعنى فى تقريرى الذى قدمته للجنة فى هذا الصدد إذ قلت : « إن تلك الزوائد الواردة فى هذا الرسم ترد البصر حسيراً لتشويهها جمال الرسم الأصلى ، إذهى تبدو كالزعانف فى الجسم السوىّ أو كالعجر والعقد فى جذوع الأشجار المهملة التثقيف ، وإنى لا أوافق عليه مطلقاً » . ولقد اطلعت أول من أمس بعد انصرافى من جلسة المؤتمر على تقرير يرد به الأستاذ الجارم على ملاحظاتى ، فإذا هو يردد قوله الشفهى السابق مستبدلا كلمة (الصحة) بكلمة (المنفعة) . ولست أرى أنى استفدت من هذه الكلمة شيئاً غير نقيضها وهو المرض .

٥٣ — وأقول لكم الآن إن المسلمين إذا كانوا من مبدأ أمرهم نظروا إلى فن النقش والتصوير بعين الكراهة لأنه يذكر بأصنام الكعبة التى نعى عليها نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، فإنهم وجهوا ملكتهم الفنية فى مجرى آخر هو مجرى فن العمارة وتزويقها ، وعلى الخصوص إلى فن الكتابة ، فنبذوا خط الجزم وهو الخط الكوفى الأصلى البدائى العسر القراءة، وصبوّا خيالهم الفنى فى الخط العربى المستعمل الآن بأنواعه من ثلثى ونسخى وفارسى ورقعى وغير ذلك ، مما تجدون نماذجه مجموعة فى آخر معجم « المجد » الحاضر بين يديكم . وكل نوع من هذه

الأنواع له جماله الخاص الفاتن كما ترون .

والناس لا يعيشون بالعقل فقط ، بل العواطف والخيال الفنى لهما قسط عظيم فى تهوين الحياة وتيسيرها على الإنسان . فإذا كنت أقول إن تلك الطريقة ترد بصرى حسيراً فإنى متفق مع نفسى وشعورى ، ولا أريد حقيقة أن أقبلها مهما يكن فيها من تحقيق منفعة أو صحة أداء .

٥٤ — على أنه ما هى تلك المنفعة أو الصحة التى سمعت ذكرها . أهى تجعل الناس يقرءون العربية قراءة مضبوطة ؟ كلا ثم كلا . إنها ، كما ترون مما رسمته لكم بحسبها ، موقعة فى اللبس الشديد . إذ تلك الزوائد تشتبه الكسرة منها بالميم أو الهاء الساقطة . أو كما قال الأستاذ الشيخ حمروش فى رده الذى وزع علينا أيضاً ضمن ما وزع أول من أمس : إنها تشتبه بالياء فى إحدى طرق الرسم العربى ، وإن الضمة فيها تشتبه بالدال ، خصوصاً إذا كانت فى آخر الكلمة . ويشتبه التنوين المضموم بالهاء الأخيرة فى بعض طرق الرسم ، كما قال الأستاذ الشيخ حمروش أيضاً . وتشتبه الواو الساكنة بالفاء والمضمومة بالقاف ، وهكذا مما ترون أمامكم من ملاحظاتى وملاحظات الأستاذ الشيخ حمروش .

٥٥ — كلنا يعلم أن الكتابة إما مخطوطة باليد وإما حاصلة بآلات الطباعة . فلئن كان المشروع مقترحاً فيه من جهة الطباعة أن تسبك قوالب خاصة لهذه الحركات والسكنات والشدّات والتنوينات توضع فى مواطنها إلى جانب الحروف منفصلة قائمة بذاتها — لئن كان هذا ، فإن الذى يكتب بيده لا يضع هذه العلامات منفصلة بل حركة يده المستمرة هى التى تؤديها فتصلها حتما بالحروف فتخرج الكتابة الخطية فضلا عن تشويهها مرتبكة معقدة داعية إلى اللبس والاختلاط .

٥٦ — ثم إذا كان ما يلاحظ على طريقة الحروف اللاتينية أنها غير اقتصادية فى الوقت ولا فى العمل ، فإن طريقة هذا المشروع بما فيه من الزوائد

تربى كثيراً على ما يزيد فى العمل والوقت إذا استعملت الحروف اللاتينية .

٥٧ — ومن جهة أخرى فإننا جميعاً نشكو من الطباعة ومن التصحيف الذى يجرى فيها فيحرف الكلمات ويشوش المعنى على القارئ . لكننا لو فكرنا قليلا لوجدنا أن العلة الأساسية لهذا التصحيف إنما هى ملل عامل الطباعة عندنا من صعوبة عمله . إذ بينما قوالب الحروف اللاتينية لا تزيد على (٢٥ أو ٢٦) خمسة وعشرين أو ستة وعشرين وهو عدد حروف أبجديتها ، فإن حروف الهجاء العربية فيها ثلاثة وعشرون حرفاً لكل واحد منها قوالبُ أربعة بحسب ما يكون منفرداً ، أو فى أول الكلمة ، أو فى وسطها ، أو فى آخرها . فهذه (٩٢) اثنان وتسعون قالباً . ثم الستة الباقية وهى الألف والدال والذال والراء والزاى والواو لكل منها قالبان بحسب ما يكون متصلا بغيره أو منفرداً . فهذه اثنا عشر قالباً بها تكون جملة قوالب الهجاء العربي (١٠٤) مائة قالب وأربعة قوالب ، أى أربعة أمثال قوالب اللاتينية . فتعدد القوالب يكسر قلب العامل ، ويورثه السآمة والملل ، فيخاطر بفضيلة الإتقان ويهرب منها ، لأن وقته فى العمل محسوب عليه ، وتردده بين صناديق القوالب المختلفة للحرف الواحد يوقعه حتما فى الخطأ ووجع الدماغ . لكن المشروع يلزم عاملنا فوق هذه المشقة بمشقة أخرى ، هى أن يرجع أيضاً لصناديق الضمة والكسرة والسكون والتنوين البسيط والتنوين المشدد مضموماً ومفتوحاً ومكسوراً !!

كل ذلك إذا فرضنا أن مراد المشروع هو استبقاء قوالب الحروف العربية بحسب ما هى عليه اليوم ، فى عددها وهيكلها الموجودين الآن ، وأن تلك الزيادات إنما تأتى مجاورة لها غير متصلة بها . أما إذا فرضنا أن المراد هو أن تعمل فى قوالب الحروف فجوات تتلبس بها هذه الشكلات ، أو فرضنا أن المراد أن تكون بعض تلك الزوائد جزءاً أصليا من بنية الحروف — إذا فرضنا ذلك فإن

المصيبة على عامل المطبعة تكون أدهى وأمر .

لئن كان كل كتاب من كتبنا الأدبية أو العلمية التى تطبع الآن ينتهى بصحيفتين أو أكثر لبيان ما وقع فى الطبع من الخطأ و بيان صوابه ، فإن زيادة العمل التى أتى بها المشروع ستضاعف الأغلاط والتصويبات .

٥٨ — هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الحروف اللاتينية إذا كانت تقطع بين الجديد والقديم ، كما أشار إليه حضرة الأستاذ الجارم بك فى رده الكتابى علينا ، فإن طريقته تقطع بينهما أيضاً ، لأن من يتعودها لا يستطيع أن يقرأ رسم الكتابة الحالى . على أنى كنت أود من صميم قلبي أن توجد طريقة لتيسير الكتابة العربية مع استبقاء حروفها الحالية ، ولا زلت أتمنى هذا ، ولكنى لم أظفر ، وأتخيل أنى لن أظفر بتحقيق هذه الأمنية المحببة لنفسى ولأنفس أهلى وأهل العربية . ومن يحقق لى هذه الأمنية — وهى جعل كل حرف فى الكلمة يدل بذاته على صورته الصوتية دلالة صادقة — فإنى أعده وعداً حقا بمكافأته جهد استطاعتى على أحسن وجه يكافأ به فاعل هذا الخير العميم .

مزايا استعمال الحروف اللاتينية

٥٩ — (١) مزية طريقتنا على طرق اللغات الأخرى أن الحروف الهجائية بحسب ما وضعناها لا تخل بشىء من نغمات الحروف العربية ، بل هي تبرزها جميعاً بلا استثناء ، وكل نغمة منها يشخصها كما هو الحال الآن حرف واحد لا يشترك غيره معه فى أدائها ، خلافاً للحاصل فى بعض النغمات التى يستعمل الإنجليز والفرنسيون والألمانيون والإيطاليون مركباً حرفيا لإبرازها . ثم هى لأدائها جميع نغمات العربية تفضل الطريقة التركية التى لا تؤدى الحروف المتخذة لها

كل ما فى اللغة التركية من نغمات اللسان التركى الأصلى ، ولا من نغمات بعض حروف النغمات التى كانت مستعارة من العربية وغيرها .

(ب) أن حروف الهجاء العربيـة الموجودة الآن عدّتها ثمانية وعشرون حرفاً بعد استبعاد اللام الف (لا) التى لا تؤدى نغمة خاصة . من هذه الثمانية والعشرين حرفاً ثلاثة عشر فقط غير منقوطة ، أما الخمسة عشر الباقية — وهى أكثر من النصف — فكلها منقوطة ، منها ما له نقطة واحـدة من تحته أو من فوقه ، ومنهـا ما له نقطتان من تحته أو من فوقه ، وما له ثلاث نقط من فوقه .

أما الحروف المقترحة فعدّتها تسعة وعشرون حرفاً . منها عشرون غير منقوطة . أما التسعة الباقية فمنها خمسة حروف فقط هى المنقوطة ، وهى (ج ، خ ، ض ، ظ ، غ) وكلها مأخوذة من العربية ، ولـكن كلا منها ليس له إلا نقطة واحدة من فوقه ما عدا الجيم ، أما الأربعة الأخرى فقد أضيف للأصل اللاتينى لـكل منها شرطة أفقية لتحديد النغمة التى اتخذلها ، كما أن حروف الحركة ليس منقوطاً منها سوى (i) المتخذ للـكسرة .

وبما أن كثرة النقطات ، واختلاف أعـدادها ومواضعها هى ، كالشكل ، من الأسباب المشوشة للرسم المضللة للقارئ الموقعة فى ضروب من الخطأ والتصحيف ؛ فلا شك أن طريقة الحروف اللاتينية ، التى لا يكثر فيها النقط ولا تختلف أعداده ولا جهات مواضعه ، بل ينزل إلى وحدته الصغرى وتقل مواضعه وتتوحد جهتها (ما عدا الجيم) — لا شك أن لها فائدة كبرى من هذه الناحية التى تعم فيها بلوى الرسم العربى وتكثر منه الشكوى وعلى الأخص فى المخطوطات .

(ج) أن اتخاذ حروف الحركة يضبط كيفية أداء الكلمة ويحصر هذا الأداء فى وجه واحد بعينه لا يحتمل شكا ولا اشتراكا . فأوزان الأفعال المجردة والمزيدة والماضى منها والمضارع والمبنى للمعلوم والمبنى للمجهول وأوزان الاسم ، والممنوع من الصرف ، وحركات البناء وحركات الاعراب جميعها من فتح وضم وكسر وسكون وشدّ وتنوين بسيط وتنوين مشدد ، ومواطن الشدّ فى الأسماء والأفعال والحروف ، كل ذلك يؤديه رسم الكلمة بذاته على ذلك الوجه المعين الموحّد بدون احتياج لشكلات أو زيادات أو أية وسيلة أخرى . وهذا منتهى ما يتمناه كل محب للعربية .

(د) أن الحروف اللاتينية ترسم فى المطبوعات كلٌّ بأصل هيكله المعين له ، وتوضع فى الكلمة الواحدة متجاورة فقط لا متصلا بعضها ببعض ولا مجنياً على أصل هيكلها باتصال متعدد الهيئات ، كما هو الشأن فى الرسم الحالى . ثم هى فى المخطوطات اليدوية ترسم كذلك غير متصلة إلا بذنباتها الطرفية مع بقاء جوهر هيكلها سليما محفوظاً من كل تغيير مضلل . هذا الرسم البسيط المدرجة فى غضونه حروف الحركات ، فيه مالا غاية بعده من تسهيل القراءة الصحيحة على الكافة . وحسب معلمى الأطفال أن يفهموهم نظرية المقاطع — وهى بسيطة كما أسلفنا — حتى يستطيع الطفل أن يقرأ أى مطبوع بعد نحو شهرين أو ثلاثة فقط ، كما دلت عليه التجربة فى تركيا وكما هو مشاهد كل يوم فى أولادنا الذين يتعلمون لغة أجنبية فى مدارس الحكومة أو غيرها . فإنهم بعد زمن وجيز جداً يستطيعون قراءة أى نص مطبوع منها قراءة مضبوطة لا تحتمل شكا ولا تصحيفاً . بينما هم

قبل ابتدائهم تعلم اللغة الأجنبية ، أو فى الوقت نفسه الذى ابتدأوا فيه تعلمها ، يكونون قد حُوول تعليمهم العربية ، لكنهم مع الجد فى تعلمها وزيادة ساعات الحصص المقررة لها ، يقضي الواحد منهم كل سنى الدراسة من أوّلىّ وابتدائى وثانوى وعال أو جامعى ، ويخرج بعد هذا الزمن الطويل العريض غير مستطيع ، بسبب سوء الرسم ، قراءة أى نص مطبوع — بله المخطوط — من لغته العربية قراءة صحيحة . وهى خصوصية جهل لا تتحقق فى أمة من الأمم المجاورة لأوربا إلا فى أهل العربية ، حتى ليصح أن يعرّف الواحد منهم — أنا أو غيرى ممن ليسوا هنا — بأنه (كائن عريض الأظفار كاتب قارئ جاهل قراءة ما يكتب هو وما يُكتب له قراءة صحيحة) ! ! ! يا للخسار ، ويا للعار والشنار ! !

وبعد هذا يتهمون المعلمين بالقصور أو التقصير ، ويفرضون لهذا المجمع اللغوى قوّة سحرية لم يهبها له الله ولم يكسبها أحد من أعضائه بعمله ، فيطلبون إليه تحسين شأن العربية ! ! كيف يكون هذا التحسين والوسيلة الأساسية إليه خائبة كما ترى ؟ ! !

(ﻫ) أن طريقتنا التى توجبُ كتابة كل كلمة قائمة بذاتها من أسماء ظاهرة وضمائر وصفات وظروف وحروف ، وعدم وصل كلمة بأخرى إلا عند التعذر كما سبق البيان ، وأن يكون رسم كل كلمة مستوفياً صورته اللغوية الوضعية ، وأن يكتب الحرف الأول من الأسماء وحدها بخط كبير (فى كتب الهجاء والتمرين للأطفال فقط) — هذه الطريقة فيها كل تسهيل للتعليم والتعلم . إذ المبتدئ بمجرد نظرة يلقيها على النص المكتوب يدرك الاسم ويدرك الضمير ويدرك الظرف ويدرك كل

حروف المعانى التى اعتادها ، فتضيق الدائرة التى يبحث فيها عن الفعل وعن المصادر والصفات ، وهى فائدة لا تخفى على أحد .

(و) إن المعلمين ليخدعون أنفسهم عند ما يصححون ورقة الإنشاء الذى هو أهم ما يقصد من التعليم . ذلك بأن التلاميذ لا يستعملون الشكل ، بل يكتبون الكلمة محتملة لأوجه مختلفة من الأداء . فالمعلم يقرأها على الوجه الصحيح ، فيظن أن التلميذ كتبها على هـذا الوجه ، وغالباً ما يكون هذا غير موافق للواقع من نية التلميذ . فإذا كتب التلميذ فعل (ظفِر يظفَر) من غير شكل فإن المعلم يقرأه على هـذا الوجه الصحيح (المشكول هنا) . ولو أنه سأل التلميذ قراءته فغالباً ما يقرأه (ظفَر يظفِر أو يظفُر) على هذا الوجه غير الصحيح . لكن الأستاذ لا يسأل أحداً من تلامذته قراءة ورقة الإنشاء . وهذا كتم للدم على القيح . أما لو أن كتابة التلميذ كانت بالحروف اللاتينية لما انخدع المعلم ولما بقى التلميذ قارّاً على خطئه .

(ز) بل كما يخدع التلميذ معلمه بقصد أو بغير قصد فإن رسم العربية الحالى ييسر لكثير من الكُتّاب أن يعيشوا بجهلهم على حساب سلامة نية القراء . فبعض من يضعون مقالات ويرسلونها ، مثلا ، إلى الأستاذ أنطون الجميل بك لنشرها فى جريدة الأهرام التى يديرها ، إذا هم كتبوا فعل (ظفِر) ماضياً أو مضارعاً كما كتبه التلميذ ، فإن حضرة أنطون بك يقرأه صحيحاً كما يقرأه المعلم ، ويظن أن نية محرر الرسالة عند الكتابة إنما هى تعمد الوجه الصحيح . فيستمر محرر الرسالة على جهله لأن المدير فى الغالب لا يراه ولا يلاحظ له على رسالته شيئاً . لكن لو أن الكتابة هي بالحروف اللاتينية لألفى كل كاتب باله لما

يكتب ، لأن خطأه يكون بارزاً يلحظه مدير الجريدة وغيره عند القراءة ويقدّر درجة علمه بالأوضاع العربية أو جهله بها . والإلقاء البال مفيد جدا فى تعويد الكتاب أوضاع الفصحى ومفيد فى تعميمها .

(ح) أن الطفل متى انتهى فى زمن وجيز — بسبب الحروف اللاتينية — إلى صحة القراءة ، توافر له الزمن ولو للعب وتنمية جسمه . ومتى شب وقراءته صحيحة استفرغ مجهوده للعلم دون سواه . وهذه مزية كبرى .

(ط) أن هـذا الطفل متى تعوّد من صغره صحة النطق بالألفاظ العربيـة أصبحت هذه الصحة عادة له فى كتابته وقراءته ، وامَّحت من خلايا مخه الأوضاع الخاطئة ، وأصبح ينكر كل خطأ منها ويعدّه شذوذاً . وهذه من أكبر المزايا المرقية للعربية والداعية لتعميمها .

(ى) أن بلاد العربيـة بسبب موقعها الجغرافى وكونها الممر الطبيعى بين الشرق والغرب ، وزيادة طرق المواصلات العالمية ، وعدم إمكان إغلاق حدودها أبداً دون الأجانب ، لا بد لأهلها من تعلم لغـة من اللغات الأجنبية الحية حتى يسايروا غيرهم من الأمم وينقلوا عنهم ما عنـدهم من العلوم والفنون والصناعات التى تيسر سبيل الحيـاة . وهـذه حقيقة أدركتها مصر وغيرها ، فلا تخلو بلد منها من تعليم لغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية ، بل وكالإيطالية والألمانية وغيرها — على التوزيع — فى معظم مدارسها . فالطفل الذى يتعلم العربية على الطريقة التى نقترحها يسهل عليـه جدا سرعة تعلم أية لغـة من تلك اللغات الحية ، وذلك بسبب توحيد أشكال الحروف بينها وبين العربيـة ، وعدم وجود ثنائية[1] فى هـذه الحروف وفى طريقة

(١) بوجه الاجمال .

الكتابة تتعب الطفل وتوقعه فى الارتباك ، كما نشاهد جميعاً فى أطفالنا الذين يتعلمون لغة أجنبية مع العربية فى آن .

(ك) طريقة الحروف اللاتينية تسهل قراءة الأعلام الأجنبية والكلمات المعرّبة ومنها الاصطلاحات العلمية وهى كثيرة ، وتسهل على الأخص ما كان من تلك الكلمات والمصطلحات فيه جزء من أصل يونانى أو لاتينى ، إذ هى تعين على فهم معناها فهماً صحيحاً بفهم ذلك الجزء اليونانى أو اللاتينى القديم . وهذه ميزة من أكبر الميزات ، فكلنا يعلم أن كتابة تلك الأعلام والمصطلحات بالرسم العربى تنكّر المعنى وتشوه طريقة أداء الأصل بحسب مايؤديه به أهله المنقول هو عنهم .

(ل) من مزايا هذه الطريقة أنها تسهل على الأجانب تعلم العربية ، وقد تمنعهم من تشويه أعلامنا وتنكيرها علينا ، نحن أهل العربية ، كما شوهوا أسماء : محمد و ابن سينا وابن رشد والقاهرة مثلا ، فجعلوها (مهمت . أفيسين . أفيرويس . كيرو أو كير) . ولا شك أن للعربية ولأهلها مصلحة كبرى فى نشرها بين الأجانب ، كما أن لها ولهم مزية كبرى فى عدم تشويه أسماء رجالها العظام وتنكيرها هى والأعلام الجغرافية وغيرها ، لدرجة أن قارئها منا بلغتهم لا يفهم غالباً حقيقة عَلَمنا المشوّه .

(م) أن بعض النغمات الخاصة بالعربية ما دام لها حرف مفرد واحد فالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها لا بد أن يفكر أهلها يوما ما فى اتخاذ حروفنا المفردة بدل مركباتهم المزجية فيستعملوا حرف t (وعليه شرطة ثانية) وحرف (خ) بدل (Kh. Ch. Th.) . ويستعملوا (ح . ع) فيما ينقلونه عن العربية بدل استعمالهم حرفى

a , h اللذين لايؤديان النغمة . وفى هذا تسهيل علينا لفهم مايقصدون .

(ن) أن طريقة الحروف اللاتينية تسهل الطباعة تسهيلا كلياً علينا وعلى غيرنا ممن يطبعون شيئاً من نصوصنا العربية ، ففيها اقتصاد عظيم فى العمل وفى الزمن ، ثم فى النفقات أيضاً لاشتراك معظم الحروف بيننا و بين غيرنا .

(س) أنها تطمئن مؤلفى الكتب الأدبية وتؤمنهم مما يتقون من تصحيف الطابعين والقارئين، وتوفر عليهم مانجده فى كتبهم من قولهم — تحديداً لنغمة حروف الكلمات وحركاتها — : (بالنون . بالتاء المثناة . بالثاء المثلثة . بالباء الموحدة . بالقاف المثناة) ، وقولهم فى ضبط كلمة (وَضَم) مثلا : (بفتح الواو تتلوها ضاد موحدة الفوقية وزان قمر) ، وهكذا من التوصيفات التى تشغل بالهم وتزيد عملهم وتضيع وقتهم ، والتى لا نجد لها مثيلا فى أى كتاب أدبى أجنبى نقرؤه .

(ع) أنها تعفى كتبنا الأدبية والعلمية من الدلالة الإشارية لعبارة (جل من لا يسهو) ، أى من معرة الأخطاء الكثيرة والتصويبات التى لا يخلو منها آخر أى كتاب عربى . وتعفينا من تصوير مصحح الكتاب لمله وحرق نابه على الطابعين ، إذ يقول بعد صحف الخطأ والصواب : (وهناك بعض أخطاء مطبعيــة لا تخفى على القارئ) ، والواقع أن الذى هناك لا بعض أخطاء بل جمهرة من الأغلاط يخشى صاحب الكتاب أو مصححه أن يلح على الطابع فى تصحيحها فلا يلقى منه إلا المهاترة والإعنات .

خلاصة

٦٠ — ها قد علمتم أضرار الرسم الحالى ، وأنه هو علة العلل فى صعوبة لغتنا العربية وأنه هو المنفر منها والمانع من جريان الألسن بها ، ورأيتم ضرر رسمها المقترح بالأحرف العربية المستعملة الآن مع وصلها بجميع الشكلات ما عدا الفتحة وقليلا من غيرها فى صور استثنائية قليلة ، وأن هذا الرسم ، فوق كونه قاطعاً أيضاً بين الحديث و بين القديم من آثار السلف سواء فى المطبوعات والمخطوطات، فإنه دميم الديباجة ظاهر التعسير بعيد عن التيسير .

علمتم ورأيتم هذا وذاكم ، ورأيتم طريقة الحروف اللاتينية التى أقترحها ، وعلمتم أنها الوسيلة الوحيدة المتعينة لتجلية لغتنا الفصحى فى جلالها وجمالها على الوجه الواحد المتعين من أوجه النطق بكلماتها ، وأن هذا متى تحقق اعتادها الناس من أول تنشئتهم بدور التعليم ، وامتنعت الاشتراكات اللفظية والمداورات والتصحيفات المتفشية ، وسهلت أعمال الطباعة فى المطابع أو بالآلات الكاتبة ، وأن هذا هو خير ما ييسر الفصحى ويعممها فى بلاد العربية ويستميل لها من يريد من الأجانب . وفى اعتقادى أن هذا خير ما يخدم به مجمعكم لغتنا الجميلة الأبيَّة المستعصية على طلابها ، وأن كل الأبحاث الأخرى التى يشتغل بها هى دون هذا فى الأهمية بمراحل .

كلمة أخيرة

٦١ — إنى أحس أنكم ، وإن كنتم متبينين صحة اقتراحى وأنه هو الطريقة الوحيدة التى تخدم بها العربية وأبناؤها ، إلا أنكم تقفون أمامه متهيبين أن ينسب لكم الأخذ به .

٦٢ — أحس هذا مما أراه الآن فيكم من الإمساك عن الاعتراف بصدق

شيء من المزايا التي بينتها ، هذا الإمساك الذى ليس فى نظرى سوى محاكاة لمن ينكر ضوء الشمس وهى طالعة — أتحسسه وأتحسس علته أيضاً عند الحاضرين منكم والغائبين .

فأما أحدكم حضرة الأستاذ الجارم بك ، ذلكم الرجل اللغوى النحوى الأديب الشاعر العالم الذى لا يكل من العمل ولا يمل ، فعلة انكماشه أن (كل فتاة بأبيها معجبة) !

٦٣ — وأما حضرة الأستاذ جب ذلكم المستشرق العلامة الكبير الذى تحفز فى الجلسة الماضية لإيصاد الباب دفعة واحدة فى وجه اقتراحى ، فإنه رجل من أهل التدقيق والتمقيق والتحقيق ، ورسم الكتابة إذا تغير انهارت الأرض واختفى موضوع عمله ، وأنس من نفسه عدم الرضا لأن مشاقه أصبحت هينة . والرجل العظيم لا يرضى عن نفسه إلا إذا حملها أشد المشاق ، و (على قدر أهل العزم تأتى العزائم) .

٦٤ — وأما رجلنا النابغة الدكتور طه بك حسين فإنه من خير عشاق العربية . وهو شخصيا يود أن لو استطاع تعليمها للناس وتفقيههم فيها فى يوم واحد وليلة . لكنه بإغراقه فى تمنى هذا المستحيل أصبح ، كما أشرت إليه فى بعض الجلسات السابقة ، لا يمل المحاردة والمناكفة بسببها كلما طاف به طيفها فقارن بين حالها وحال ما يتقنه من لغة أجنبية حديثة أو قديمة . حتى لقد أصبحت هذه المناكفة بسبب العربية ديدناً له ، ومن أخص لوازمه البادية للناس أجمعين . فلكأنى به يريد استبقاء الرسم الحالى كيما تبقى الفرصة سانحة لمحاردة معلمي العربية بالمدارس فى كل سنة وإسماعهم من قبل رجال وزارة المعارف وغيرهم تلك العبارة التى توجه لهم بقصد استنهاضهم من أنهم قاصرون أو مقصرون ، ولو اتخذت الحروف اللاتينية لضاعت عليه تلك الفرصة المحببة إلى نفسه المتوثبة . لكنى أعود فأقول إنه متى

جد الجد زار وحارد نفسه ، وأبى أن يجعل عقله مطية لهواه .

٦٥— وأما أستاذنا صديق لطفى باشا السيد فإن له فى الأشياء والأحداث نظرة تعلو نظرتى ونظرة غيرى . إنه رجل حكيم تحمله فلسفته على اعتبار كل ما فى هذا الوجود مستغلقاً ، وأن النافع والضار إنما هما وصفان لحقيقتين اعتباريتين أو على الأكثر نسبيتين ، وأن الحقيقة الحقة عنقاء مُغرب لا يعلمها إلا واجب الوجود . أما ابن آدم فلا يستطيع بعقله المحدود إدراك كنهها ، بل إن شأنه فى الحياة إنما هو محاولة تعليل ما يزعم أنه الحق ، وإن كان هذا الحق الذى يزعم بعيداً عن حقيقة الحق بعد الأرض عن السماء !

ومن أجل هذا نسمع أستاذنا لطفى باشا كثيراً ما يردد قول شيخ المعرّة جليس الدكتور طه بك وأنيسه :

إنما نحن فى ضلال وتعليـــــل فإن كنت ذا يقين فهاته

ومن أجل هذا فسيان عنده أن تبقى حروف العربية كما هى أو تستبدل بها الحروف اللاتينية أو الصينية .

٦٦ — أما باقى إخواننا الأجلاء وهم فى الطليعة من علمائنا وأدبائنا وشعرائنا فعلة إمساك أغلبهم الخوف من قيام قيامة الناس — لا قيامة الحق — عليهم لو مسوا القديم . وكأنى بهم يحبون ألا يذكروا من القواعد المعروفة إلا قاعدة (بقاء القديم على قدمه) ، وعلى الأخص الأستاذ الشيخ المغربى الذى تحفز هو أيضاً فى الجلسة الماضية للحيلولة دون استيفاء بيانى. لكنى أصارحهم بما يعلمون و يهملون، أصارحهم بقاعدة (الضرر يزال) وقاعدة (الضرورات تبيح المحظورات) وقاعدة (درء المفاسد أولى من جلب المصالح) وأصارح الأستاذ المغربى بما تكرر وروده فى القرآن الشريف من النعيِ على من يقولون (إنا وجدنا آباءنا على أمة . . .) ؛ وأستغفر الله من أن أريد بالإشارة إلى الآيات الكريمة مثلَ المقام الذى نزلت فيه ،

وإنما ما ذكرت هو خير عبارة عربية أقتبسها للتعبير عن مرادى . ثم أصارحه بأن رسم العربية الحالى لم ينزل الله به من سلطان .

٦٧ — أصارح بهذا ثم أسترعى سمعكم إلى أن قصور رسم الكتابة العربية يحز فى صدور أهل العربية من زمن طويل . ولو أعدتم الاطلاع على محاضر الجلسات التى وزعت عليكم من نحو عشرة أيام لرأيتم بمحضر جلسة ٨ فبراير سنة ١٩٤١ أن نادى دار العلوم — وكل رجاله من معلمى العربيـة — قد اهتم من عهد بعيد بشىء بسيط من مسألة تيسير الكتابة العربية ولم يسفر اهتمامه عن نتيجة . ثم رأيتم أن هـذه المسألة عرضت على مؤتمر المجمع فى دورة سنة ٣٨ — ٣٩ أى من نحو خمس سنوات . وأن المؤتمر عين لبحثها لجنـة مشكلة من حضرات الأساتذة المحترمين : الجارم بك ، وإبراهيم حمروش ، والخضر حسين ، وعبد القادر المغربى ، وأنه بجلسة ٢ فبراير سنة ١٩٤١ تجدد اقتراح النظر فيها ، بل إن وزارة المعارف أصدرت قراراً فى ٦ فبراير سنة ١٩٤١ عهدت فيه إلى المجمع بحثها كيما تصبح الكتابة بحيث « لا يتعرض قارئها للخطأ واللحن » وطلبت إلى المجمع أن يفيدها بنتيجة بحثه لغاية سنة ١٩٤١ ، ولكن لم يستطع أحد إجابة وزارة المعارف بشىء . على أن البحث استمر ، وبعد كل هذا الزمن الطويل لم نظفر إلا بذلك المشروع الذى قدمه حضرة الأستاذ الجارم بك بعد الكد والجد والاستعانة بثقة من الثقات الاختصاصيين فى فنى الخط العربى والطباعة . ولئن كنت اعترضت على ذلكم المشروع ، إلا أنى عند ما يأتى دور النظر فيه سأبين لحضراتكم عيوبه تفصيلا ثم بالكتابة أيضاً إذا شئتم [١] .

٦٨ — على أنى إذ أصارحكم بما قدمت ، فإنى فى قرارة نفسى أشكو إلى الله وحده بثى وحزنى من أن تلجئنى ظروف العربية إلى اقتراح العدول عن رسمها إلى

---

(١) عند المناقشة فيه قدمت ، كتابة ، ملاحظات مستفيضة ، وقد تضمنتها محاضر جلسات المجمع .

رسم أجنبي لا نحن منه ولا هو منا . إنها مرارة أتجرعها وأطلب إليكم أن تتجرعوها ، وهـذا علينا جميعاً كثير جداً وجد أليم . غير أن المسألة مسألة حياة للعربية أو إزمان مرض ، ثم موت يعجل به ما يبدو من الأمم القوية من العمل المتواصل على تبسيط لغتها لنشرها بين أمم الشرق الضعيف . وعملها هذا إذا كان — كما هو الواقع — من الضرورات الحيوية لنا سياسياً واجتماعياً ، فإن ثمنه ، بالبداهة العقلية ، تراخينا فى خدمة لغتنا ، فإنه ما جعل الله لرجـل من قلبين فى جوفه . واللغات كالسلع ينفق منها البسيط الرخيص ويكسد الغالى المتين . وليس بنافع فى عـلاج لغتنا أن يقترح حضرة الأستاذ كرد على بك — عقب مقاله التاريخى الضافى الذى تلاه على المؤتمر بالجلسة الماضية — إيجاب تعليم العربيـة تعليما عملياً بالتخفيف من قواعدها وبمضاعفة العناية ، فى المدارس ، بتعويد الأطفال صحة النطق بها (أى سجية) كما كان ينطق الجاهليون أو أهل صـدر الإسـلام . إنه اقتراح نظرى ظريف ، ولكن ما السبيل إلى تحقيقـه مع تعقد الرسم الحالى ؟ .

٦٩ — لقد فكرت كثيراً فى إمكان تعديل الرسم العربى بصورة تؤاتى الناس فى صحة النطق بالكلمات ، فعجزت بعد طول التفكير ويئست من إمكان تحقيق هذه الأمنية إلا «بالشكل» المتعذر فى المخطوطات والجالب للضرر فى المطبوعات ، ورأيت أن لا سبيل سوى اتخاذ الحروف اللاتينية وما فيها من حروف الحركات ، فاعتقدت بضرورتها . والضرورات ، كما أسلفت ، تبيح المحظورات .

٧٠ — ألا إن الأفراد بائدون ، كلٌّ فى ميقات يوم معلوم . أما النوع فباق إلى يوم يبعثون . ألا وإن أم العربية أمامها فى الوجود دهور ودهور لا يحصيها إلا ربك واجب الوجود الذى لا يعلم الغيب إلا هو .

ألا وإن الأحياء الذين يبغون استبقاء ما ألفوا ، لو أرخَوْا أوكية صـدورهم

وخلّوا بين دخائل أنفسهم وبين ألسنتهم ، لنطقت هذه الألسن فشهدت عليهم أنهم إنما يحافظون لا على اللغة العربية بل على ما فى قماطرهم من ذخائر مؤلفات كلفتهم هم وأسلافهم الهيل والهيلمان ، وأن هذه الكتب بعينها لو وجدوها ، بين غمضة عين وانتباهتها ، قد رسمت لهم بأى رسم جديد ضابط لصحة أداء كلماتها ، واق من شر التصحيف ومرارة التأويل ، لهللوا وخروا لله سجدًا على ما أفاء عليهم من هذا الفضل العظيم الذى وضع عنهم وطأة الإنفاق ، وكفاهم شر الإملاق ، وأن المسألة عندهم إنما هى مسألة مالية بحتة لا شأن لها باللغة التى يفيدها الرسم الجديد بما ييسر من صعوبتها . ثم لاستطردت فقالت — مترجمة عن باطنهم — إن كثيراً منهم أثِرون مبدؤهم : (أحْينى اليوم وأمِتنى غدا) !

ألا إن باطنهم هذا الذى تشهد به ألسنتهم لو أطلقوها من عقالها ، إنما هو وهم وخطأ بعيد ! ليعش منهم من كتب الله له أن يعيش عمر نوح ، ليعش ما شاء عاكفاً على خزائن كتبه وليقرأها بذاتها إلى أن يموت . فإن أحداً لن يصادرها ولن يحرمه تسريح عينيه وتقريحهما فيها ، ولن يسلبه ملكة قراءتها . ولكن ليشفق على العربية وعلى بنيه وذراريه وعلى أمته وبلاد العربية جميعاً ! وهذه الشفقة لا تكلفه فى حياته شروى نقير . وهو إذا مات فقد فات وانقطع عمله من الدنيا . وربما غفر الله ذنبه بدعوة صالحة يفيض بها قلبُ واحدٍ ممن أراحهم الله من سوء رسم العربية !

٧١ — ألا إنى أحب العربية حبًا جما ، وأحب وطنى وأرجو الخير له ولسائر بلاد العربية . وقد بدا لى أن ما أعرضه حق تدفع إليه الضرورة ، فماذا أنتم فاعلون ؟

٧٢ — لئن كنتم لاحظتم أنى صريح فى القول لا ألف ولا أداور ، فإنى أيضاً لاحظ هذا كمثلكم وعلى غراركم .

وليت شعرى ما مبعث هذا الذى نلاحظه معاً ؟ أهو ضعف من جانبى فى أدب

السلوك ؟ أم هو استحياء من الحق ألا آخذ بيده فى مأزق يصطرع فيه مع الباطل ؟ أم هو ضعف أمام نفسى التى تزعم لى أنها أكبر منى سنًا وأسدّ رأيًا ، فتشمُس علىّ وتتأبى أن أجشّمها شيئًا من المصانعة فى الحق أو المداورة فيه ؟ لا أدرى !

٧٣ — ولكن الذى أدريه يقينًا هو أنى أومن بالله وحده وأكفر بآلهة التاريخ المعبودة من دونه . فسيان عندى ما تُبْرِم تلك الآلهة فى مغاوِر تزييفها من القالات والأساطير وما تنقض ، وما تسجّل فى ألواحها الهبائية وما تمحو . ولكأن هذا هو مبعث ما لاحظتموه .

والآن فالخِيَرة لكم . إن شركتمونى فى وجهة نظرى فذاكم ، وإلا فبحسْب نفسى رضا أنى صدعت فى قومى بكلمة أراها حقًا . والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم (١) .

عبد العزيز فهمى

(١) بعد أن تلوت على مؤتمر المجمع بيان اقتراحى هذا الخاص بتيسير الكتابة العربية ، وبعد المناقشة فيه ، أصدر المؤتمر بجلسة ٢١ فبراير سنة ١٩٤٤ قرارًا هذا نصه :

« يطبع كل ما قيل حول تيسير الكتابة فى هذا المؤتمر ، ويذاع بالطرق المعروفة ، فيرسل إلى الهيئات المختصة ، وينشر على الجمهور ، وتتلقى لجنة الأصول ما يرد إليها من ملاحظات ، وتعرض تقريرها على المؤتمر المقبل . ويطلب إلى الحكومة أن تضع جائزة مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح فى تيسير الكتابة العربية . على ألا يكون لأعضاء المؤتمر الحق فى دخول المسابقة » .

ملحق رقم ١

بيان أحرف الهجاء العربية مرسومة بالأحرف اللاتينية وما لزم من العربية مع أسمائها

الاسم	الحرف	الرسم
ألف	ا	a
باء	ب	b
تاء	ت	t
ثاء	ث	t
جيم	ج	ج
حاء	ح	ح
خاء	خ	خ
دال	د	d
ذال	ذ	d
راء	ر	r
زاي	ز	z
سين	س	s
شين	شـ	s
صاد	ص	صـ
ضاد	ضـ	ضـ
طاء	ط	ط
ظاء	ظ	ظ
عين	ع	ع
غين	غ	غ
فاء	ف	f
قاف	ق	q
كاف	ك	k
لام	ل	l
ميم	م	m
نون	ن	n
هاء	ه	h
واو	و	w
همزة	ء	3
ياء	ى	y

أما أحرف الحركة فهي: (a) للفتحة و (u) للضمة و (i) للكسرة.

وأما الأحرف التي لا شبيه لنظيرها في العربية فهي: e, g, j, p, v, x.

ويلاحظ أن الحروف المرسومة هنا هي حروف عادية أما الكبيرة اللاتينية (majuscules) فمعروفة، وتكبير الحروف المأخوذة من العربية يكون بتكبير رسمها عالية رؤوسها دون كاساتها.

ملحق رقم ٢

طريقة رسم بعض الأمثلة الواردة بالاقتراح

—·:·—

(ا) أنواع مقاطع الكلمات: (١) متحرك واحد. و(٢) متحرك وساكن. و(٣) متحرك وساكنان. و(٤) متحرك وثلاثة سواكن. وقد وضع تحت كل مقطع رقم نوعه إن كان من النوع الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع. (فقرة ٤٦)

ḍu-ri-ba، maḍ-ri-bun، māṣ، ʿilm، ka-riym، ṣāf-fiyn، yaʿ-ma-luwn، ya-murr، yu-wād-duwn، bārr، fārr، ma-wādd.

(ب) الهمزة في أول الكلمة ممدودة أو غير ممدودة: (فقرة ٤٩)

ā-miyn، amara، uktub، uwtiya، iqbāl، al

(ج) همزة الوصل في درج الكلام: (فقرة ٤٩)

l. ism. ktub. staqim. ntaqil. bil istiqbāl.

(د) وجوب وضع حرف حركة الضمة أو الكسرة قبل الواو أو الياء الممدودتين: (فقرة ٤٩)

suruwr. fiy. kiy. niyl.

ملحوظة: في التنوين يمكن أن يستغنى عن حرف الحركة والنون بوضع علامات العربية الضمتين والفتحتين فوق الحرف المنون متى كان مفرداً أو فوق الحرف الثاني من المشدد وبوضع الكسرة تحت المفرد أو الثاني من المشدد، فكلمات بكرٌ. بكراً. بكرٍ. وبرٌّ. برًّا. برٍّ ترسم هكذا (Bakr̊, Bakr̊, Bakr̥, birr̊, birr̊, birr̥)

ملحق رقم ٣

مقارنة الطريقة المقترحة بطريقة تيسير الكتابة مع الاحتفاظ بالحروف العربية

هناك عبارة ثم بيت شعر مرسومة بالطريقة الحالية ثم بطريقة التيسير مع الاحتفاظ بالحروف العربية ثم بطريقة الحروف اللاتينية .

(١) - خير البر ما تعهد به المرء نفسه ، وخير بر النفس أن تربأ بها عن مواقف الاعتذار .

السيف أصدق إنباءً من الكتب . في حده الحد بين الجد واللعب

∴

(٢) خير البرّ ما تعهّد به المرءُ نفسه ، وخير برّ النفس أن تربأ بها عن مواقف الاعتذار

السيف أصدق إنباءً من الكتب

في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

∴

(٣) - ẑayru'l birri mā taɛahhada bi hi'l marɛu nafsa hu, wa ẑayru birri'l nafsi an tarbaɛa bihā ɛan mawāqifi'l ɛtidār.

Al sayfu aṣdaqu inbāɛan min'l kutubi

fiy ḥaddi hi'l ḥaddu bayna'l ǰiddi wa'l laɛibi



